

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية الآداب و الحضارة الإسلامية
قسم التاريخ

جامعة الأمير محمد القادر
للعلوم الإسلامية

مدينة وهران خلال العصر الوسيط
(290 - 915 هـ / 902 - 1509 م)
(دراسة مونوغرافية)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ
تخصص: المدينة والحياة الحضرية في الغرب الإسلامي.

إشراف الدكتور:

عبد العزيز فيلاي

من إعداد الطالبة:

شرقي وردة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
1- أ.د. ملاوة عمار	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير محمد القادر	رئيسا
2- أ.د. عبد العزيز فيلاي	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري قسنطينة	مقررا ومشرفا
3- أ.د. محمد فرقاني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير محمد القادر	عضوا
4- د. مفتاح خليفات	أستاذ معاصر	جامعة المسيلة	عضوا

السنة الجامعية: 1433-1434 هـ / 2012-2013 م



جامعة الأميرة
الاسلامية

شكر خاص الى :

- الأستاذ الدكتور عبد العزيز فيلاي على مساعدته لي في اختيار و انجاز هذا البحث من خلال توجيهاته العلمية والمنهجية .
- الأسرة العلمية لجامعة الأمير عبد القادر خاصة الأساتذة الذين أفادونا في الدراسة النظرية لتخصص المدينة والحياة الحضرية في الغرب الإسلامي.
- أخواتي الطالبات اللاتي قدمن لي الدعم المعنوي والعلمي خاصة إلى سناء عطابي ،سمية مزدوري ،زینب ، خديجة، وخليدة وبلقيس من وهران.
- كما لا أنسى كل عمال المكتبة الوطنية "الحامة" ، وعمال الأرشيف و المركز الثقافي في وهران.

إهداء

إلى طلبة العلم .

إلى أسرتي الكبيرة أمي , وأبي، أخواتي ، وأخي الأزهر .

إلى أسرتي الصغيرة زوجي جمال، وابنتي أماني ، و ابني رائد إبراهيم .

وإهداء خاص إلى روح شقيقة روعي "صديقتي ميهوب مونيا".

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر
العلوم الإسلامية

مقدمة:

شكلت المدينة محور حياة الإنسان و الدولة معا، حتى أن البناء و اختطاط المنازل هو من منازع الحضارة¹، و لما كانت المدينة مجالا مفتوحا لدراسة المجتمع و خصائصه و تطوراته، فقد حظيت بأهمية كبيرة في الدراسة كتلك التي حظيت بها في التشييد و البناء عبر جميع العصور وفي مختلف الأمكنة.

والحضارة الإسلامية هي حضارة استمدت مرجعيتها الروحية والمادية من تشريعات إسلامية ابتداء من القرآن الكريم ثم السنة النبوية، فالاجتهاد ثم القياس. فأنج ذلك فكرا إسلاميا خصبا، ساهمت المدينة الإسلامية في إثرائه، لما تمثله من مجال حيوي استوعب العديد من الإشكاليات النظرية، والواقعية التي شكلت جزء كبير من المنتج الفلسفي² والفقهية فأنج ذلك تأليف متنوعة منها كتب الحسبة والنوازل والتي واكبت التطورات الحاصلة في المدينة من خلال إصدار فتاوى جديدة تستند إلى قاعدة أساسية للعمارة تضبط سلوكيات المجتمع الحضري، وتنظم مجاله العمراني هي قاعدة فقهية مختصرة الكلمات ولكنها متشعبة المعاني والدلالات العمرانية "لا ضرر ولا ضرار". وحقبة القاعدة هي حديث نبوي شريف لذا فصيغة نفي الضرر والضرار كان الهدف منها تأطير حياة الإنسان في أي بيئة ينتمي إليها ومنها الحياة الحضرية والاجتماعية³. لذا فالمدينة الإسلامية عبرت عن هوية وانتماء حضاري نتج عن الحاجة إلى الاجتماع الإنساني و بمنظور إسلامي يراعي العلاقات الإنسانية في المعاملات المختلفة وفي شكل البناء مما استوجب استمرارية طرح مختلف المشاكل أمام السلطة السياسية للمدينة، والتي أوكلت مهمة البحث عن الحلول المناسبة لوظيفتي القاضي و المحتسب

¹ - عبد الرحمان بن خلدون؛ المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، سنة 1426هـ/2005م. ص276.

² نذكر في هذا الموضوع على سبيل المثال لا الحصر، كتاب "مبادئ وآراء أهل المدينة الفاضلة لصاحبه المفكر و الفيلسوف الإسلامي أبي نصر الفارابي (ت 339هـ/951م)، والذي ناقش فيه آراء وأفكار فلسفية خصص القسم الثاني من الكتاب الى حال احتياج الانسان الى الاجتماع و التعاون في العضو الرئيس، في خصال رئيس المدينة الفاضلة، وفي الصناعات و السعادات في أهل هذه المدن، وغيرها من المسائل الفلسفية. فاروق سعد، مع الفارابي و المدن الفاضلة، دار الشروق، سنة 1402هـ/1982م. ص57.

³ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللخمي بن الرامي البناء؛ الإعلان بأحكام البنين، تحقيق فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، سنة 1999. ص09.

في إطار الشرعية الدينية الإسلامية التي تلقى القبول و الرضا من جميع السكان المسلمين الحضريين . وهذا ما أوجد تفاعل واتصال ملحوظ بين العلماء المسلمين الذين استفادوا من تأليف بعضهم البعض في مواجهة إشكاليات المدينة الإسلامية المتجددة دوماً، حتى أن توارد الأسئلة والفتاوى بين العلماء في المغرب و الأندلس كان جد نشط ، وذلك للتشابه الكبير في مختلف القضايا المطروحة على العدوتين المغربية و الأندلسية¹ من جهة ولخضوعهم في معظم الفترة الوسيطة لنفس السلطة الفقهية "الفقه المالكي" من جهة ثانية.

والمغرب الإسلامي شكل بدوره جزء من الخريطة العمرانية للعالم في العصر الوسيط وكان ذلك ابتداء من إنشاء القيروان ، والتي شكلت النموذج الإسلامي المغربي للعمارة الداخلي البعيد عن الساحل لتتوالى عمليات بناء المدن المغربية ، والتي استفادت من ظهور دول مغربية عمدت إلى إنشاء عواصم لها ففي المغرب الأوسط أنشئت تاهرت كواجهة للدولة الرسمية ، كما كانت القلعة ، و فيما بعد بجاية كعاصمتين للحماديين² ، وتلمسان توجت عاصمة للزيانيين³ . وقد اختصت هذه العواصم بدراسات أكاديمية في إطار الدول التي أنشأتها أو طورتها ، ووسعت من مجالها الحضري . ومن هذه الدراسات القيمة استطعت التعرف على منهج دراسة المدن ، كما أفادني ببعض المعلومات التي تميزت بها المدن المغربية في تكوين عمرائها المادي و البشري وتطوره .

وان كانت هذه العواصم قد حظيت بأهمية الدراسة فان بعض المدن الأخرى في المغرب الأوسط عرجت عليها بعض الدراسات ضمن موضوعاتها المختلفة ولكن بنظرة فيها نوع من الشمولية والتعميم ، فالمصادر اهتمت بوصف المدن والمسالك ، أما المراجع فقد نقلت المعلومات المصدرة دون تعمق اكبر في دراسة معطياتها المختلفة . و من المواضيع التي تطرقت لها الأبحاث،

¹ . جاسم العبودي ؛ ناظر الاحباس في الاندلس والمغرب في القرنين الثامن و التاسع الهجريين حسب المعيار المغرب للونشريسي

، الاندلس قرون من التقلبات و العطاءات ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، القسم الخامس ، سنة 1996 ص 311.

² . وهنا نشير إلى الدراسة القيمة لصالح بعيزيق ، بجاية في العهد الحفصي ، والتي تناولت في القسم الثاني دراسة المدينة و المجالات الاقتصادية ، وما يلاحظ أن الدارس تفاعل مع المعطيات بطريقة منهجية جيدة أوصلته إلى معلومات مهمة . كتاب منبثق عن أطروحته التي نال بها الدكتوراه .

³ . وقد خصص الباحث عبد العزيز فيلاي في دراسته لتلمسان الزيانية جزء لدراسة المدينة جغرافيا و عمرانيا واجتماعيا ج 1 . موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، سنة 2002.

"عمران المغرب الأوسط المدن، الطرق وإمكانيات البلاد الزراعية"¹، و في بعض البحوث الأخرى تم التطرق إلى إبراز المدينة من زوايا مختلفة، فهناك من حاول عزلها كتجربة خاصة مثل النموذج المذهبي الشيعي الفاطمي في العمران والذي أطلق عليه في الفترة السرية للدعوة "دار الهجرة"²، والبعض من الدارسين ربط تطور المدينة بمسار عام انطلاقاً من النظرة الشمولية لها، وعلى سبيل المثال دراسة "قلعة بني حماد" نشأة وأفول حاضرة إسلامية"، وركز الباحث في دراسته على "ربط نشأة المدينة و تطورها العمراني بالسياق العام للتطور العمراني لدار الإسلام"، وذلك بالاعتماد على مصادر تنوعت بين المنتج المادي الأثري و المنتج الأدبي³.

ومن الدراسات التي أفادتني في إعطاء نظرة واقعية لتفاعل مختلف العناصر المادية و البشرية المركبة للمدينة، وتأثيرها على شكلها وتخطيطها و توسعاتها كتاب "عمارة الأرض في الإسلام مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوصفية"⁴. ومن تتبع تاريخ تأسيس المدن في المغرب الأوسط، وخاصة منها الساحلية نجد أن مدينة وهران من بين أولى المدن نشأة مما يعطي أهمية للموضوع في ظل قلة الدراسات عنها في هذه الفترة الوسيطة إذ لا نجد دراسة أكاديمية تسلط الضوء على حياة المدينة و توسعاتها و نشاطاتها المختلفة في العصر الوسيط، ونلمح فقط بعض الإشارات المتقطعة، والتي تحمل وصف عام للمدينة سواء في الجانب السياسي أو الاقتصادي، وغير ذلك.

ومن التأليف التي اطلعت عليها "طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر"⁵. وصاحب الكتاب نقل عن أبي راس الناصري، الذي ألف "عجائب الأسفار"، و"الحلل السندسية"⁶، ونقل معلومات تاريخية عن المدينة، إضافة إلى أنني اطلعت

¹ . لمحمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 2010. ص 145. 180.

² . تقدم وتنسيق، بوبة مجاني، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، دالر بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، سنة 2007. ص -ص 147. 162.

³ . علاوة عمارة؛ دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 2004. ص 83، 84.

⁴ . لجميل عبد القادر أكبر، ط 3. مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر والتوزيع بيروت، سنة (1419هـ/1998م).

⁵ . للأغا بن عودة المزاوي، حقق الكتاب، يحي بوعزيز، ج 1. دار الغرب الاسلامي بيروت، سنة 1990.

⁶ . اعتمدت على التأليف الأول محقق أما الثاني فهو مخطوط في خزانة المخطوطات، المكتبة الوطنية، الحامة تحت رقم 3182.

على "مخطوط دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران"¹. والذي بدوره أخذ عن أبي راس. وهذه التآليف أرخت لوهران ، وربطت تاريخها بمسار قبيلة مغراوة ومشيختها في البيت الحزري ، وذلك من التأسيس (ق 3/ 10) و حتى الحكم المرابطي لوهران (ق 6/ 13) ، وفي ذلك جاء في دليل الحيران على سبيل المثال "... اعلم أن الذين ملكوا وهران من مغراوة هم الحزريون

ومن المراجع الأخرى التي خصصت جزء من دراستها لتاريخ وهران في الفترة الوسيطية ، نجد كتاب "مدينة وهران (دراسة في جغرافية العمران)" ، وتكمن أهمية هذا البحث في إعطاء تطور سكاني و عمراني للمدينة بتتبع تاريخها القديم إلى العصر الحديث ، وقد أفادني هذا البحث كذلك في تتبع الخرائط الأثرية الأولى للمدينة ، والتي تعود إلى العهد الاسباني لسنة (1732)² والملاحظ حسب الدراسة أن المدينة الاسبانية في وهران تموضعت على أنقاض المدينة الإسلامية ، وقد زاد الاسبان من تحصيناتها بتشييد القلاع والحصون في مختلف الجهات. ومن الكتب الأجنبية التي اهتمت بدراسة مدينة وهران كتاب للباحث³ Henri Lèon fey ، هذا الأخير اعتمد على بعض المصادر الجغرافية الإسلامية الوسيطية إلا أن قراءته لها سطحية و اكتفى بالوصف العام للمدينة في الفترة الوسيطية الإسلامية ، ولم ألمح الغوص في أبعاد المعطيات المصدرية المقدمة رغم أهميتها ، وربما يعود ذلك لاهتمامه أكثر بالجانب الأثري والمقاربة الجغرافية للمدينة الرومانية ، ونفس الملاحظة نجدها في تأليف غزال الذي ركز على الجانب الأثري للمدينة و البحث في إشكالية هويتها الرومانية . وكل هذه الأبحاث الأثرية أفادتني في التعرف إلى جانب مهم من تاريخ المدينة القديم ، وخوض إشكالية هل المدينة قديمة أو مستحدثة؟. كما أفادتني في الحياة التجارية للمدينة.

- أسباب اختيار موضوع البحث:

تحتاج منطقة المغرب الأوسط إلى الكثير من الدراسات التاريخية الجادة لكشف الحضارة الإسلامية الوسيطية لهذه المنطقة ، وخاصة كشف شبكتها التمدنية الداخلية و الساحلية ، من مدن و مسالك ، ومن ثمة يسهل رسم خريطة حضرية للمغرب الأوسط في فترة حرجة من تاريخه الإسلامي لذا

¹. لمحمد بن يوسف الزياتي ، مخطوط ، نسخه البشير بن قدور محمودي ، تاريخ النسخ (1380هـ/ 1961م) ، عدد الأوراق 124

ورقة ، رقم المخطوط 3324. دائرة الحفظ والمخطوطات ، المكتبة الوطنية الجزائرية .

². بشير مقيس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة 1983 ، ص 94.

³ - *histoire d'Oran (avant ; pendant et après la domination espagnole ; édition dar el-gharb*

فقد جذبتني هذه الفترة "الوسيطة" من تاريخ المغرب الأوسط بسبب نقص الدراسات المنجزة حولها مقارنة بما أنجز في الدول المجاورة "كما ونوعا"، كما كانت رغبتني قوية في التعرف على أولى المدن الساحلية نشأة بعد تنس وهي "مدينة وهران" في الساحل الغربي للمغرب الأوسط والتي تطورت ولعبت أدوار متعددة طيلة الفترة الوسيطة. ورغم غياب شبه تام للآثار المادية الخاصة بالمدينة الإسلامية قبل الوجود الإسباني، وذلك بشهادة بعض الرحالة الأوروبيين المحايدين مثل ما أورده هاينريش فون مالتسان في قوله، "...فليس هناك في الجزائر كلها مدينة فقدت طابعها العربي مثلما فقدته مدينة وهران"، وسبب ذلك الأسبان¹، وأعمالهم. إضافة إلى ذلك هناك سبب آخر جعلني اختار هذا الموضوع، ويكمن في الرغبة في التعرف على حياة مدينة غير عاصمة، ومن ثمة البحث عن نشأتها؟ وتطورها؟، وغيرها من التساؤلات الفضولية التي شجعتني على الخوض في هذا البحث.

- إشكالية البحث:

يحمل هذا البحث إشكالية رئيسية منهجية و معرفية تتمثل في " الدراسة المونوغرافية لمدينة وهران في العصر الوسيط"، وهذه الإشكالية الرئيسية جمعت عدة إشكاليات جزئية ارتبطت بالفترة التاريخية المحددة للدراسة، وهي من سنة التأسيس للمدينة 915/290 الى سنة الاحتلال الإسباني لها 1509/902، وما تعلق بها من الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية التي عرفتھا مدينة وهران والتي ذكرتها مختلف المصادر المعتمدة في الدراسة. وقد أدرجت إشكالية جزئية سبقت هذه الفترة حول قدم المدينة أم أنها مدينة حديثة؟. كما طرحت إشكالية الفتح الإسلامي للمنطقة، وهذه الأحداث تسبق سنة تأسيس المدينة إلا أنني لا يمكنني تجاوز دراستها لأهميتها في إعطاء معلومات تاريخية وجغرافية وبشرية سرعان ما تفاعلت مع مستجدات الفترة الوسيطة المحددة للدراسة. وقد عاجلت الإشكاليات الملحة، وأقصد بها البحث عن الدلالات الاصطلاحية المنبثقة من المادة المصدرية الجغرافية منها، والاقتصادية، وغيرها، وذلك لما تتطلبه المدينة من الإحاطة بمختلف تركيباتها البنيوية البشرية والمعمارية و المتموضعة جميعها في مجال جغرافي و قبلي متميز أحاطته الظروف التاريخية بخصوصيتها، كل ذلك أثر في حياة المدينة، وعلاقاتها الداخلية والخارجية طيلة الفترة

¹. كتاب، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، ترجمة العيد دودو، ج2. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، سنة

المدرسة . وهنا نقف عند إشكاليات محورية اعتمدها تباعا في فصول البحث وذلك لسببين موضوعيين:

السبب الأول لما وفرته المادة المصدريّة من معلومات ، والسبب الثاني لضرورة فهم التطور والتوسع الذي عرفته المدينة بمنظور ذلك العصر، وهذا ما سيفسر بروز إشكاليات معينة في الدراسة دون أخرى، على سبيل المثال لا الحصر إشكالية النشأة الإسلامية للمدينة، وطبيعة الأحداث القبلية والسياسية التي عرفتها ؟

إشكالية الوضع الاقتصادي؟. إشكالية الموضع وعلاقاته بشكل المدينة وتوسعاتها؟ وغيرها من التساؤلات التي سأخوض فيها بقدر المستطاع للإجابة ان أمكن ذلك أو لإثارة البحث فيها مستقبلا (ان شاء الله).

- المنهج المتبع :

امتاز الفكر العمراني الإسلامي بالشمولية في مبادئه العامة و بالتخصّصية في جزئيات التطبيق¹، لذلك فدراسة مدينة ضمن فترة تاريخية يحتاج إلى قالب منهجي يستوعب إطارها الزماني ويرصد جوانب متعددة من نشاطاتها، وتطوراتها؟. وهذا يفتح المجال للدراسة المونوغرافية التي تسمح بتتبع تاريخ المدينة و الإحاطة بمختلف جوانبها الحياتية. كما عمدت التعامل مع الإشكاليات المطروحة بنوع من المرونة المنهجية . إن صح التعبير . ففي مواضع من البحث نعتمد على استقراء وتحليل المعطيات المصدريّة وفي مواضع نعتمد على المنهج التاريخي السردى أو الوصفى وذلك لإبراز مختلف الظواهر التي عرفتها المدينة أو الأوصاف التي نعتت بها . كما استندنا إلى مقاربات في بعض الحالات التي تستوجب ذلك نظرا لعدم توفر المعلومات من جهة ، وللتقارب الجغرافي و الظرفية التاريخية للمدينة مع الحواضر الأخرى من جهة ثانية.

- خطة البحث:

تعتمد خطة البحث على أربع فصول تسبقها مقدمة ، و أوضحت فيها أهمية الموضوع والأسباب الكامنة وراء اختيار الموضوع كما طرحت إشكالية الدراسة ، والمنهج المتبع في عرض المعلومات إضافة إلى استعراض لخطة البحث ، وعرض لأهم المصادر المعتمدة في الدراسة .

¹ - محمد عبد الستار عثمان؛ المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ص22.

ففي الفصل الأول أدرجت فيه المعلومات التي تحمل البعد التاريخي و السياسي والقبلي للأحداث التي شهدتها مدينة وهران ، فأبرزت تاريخها القديم وهل هي مدينة قديمة أم مستحدثة ثم تتبع الفتح الإسلامي للمنطقة ، وقد استعرضت إشكالية النشأة الإسلامية البربرية /الأندلسية، ثم أوردت الأحداث السياسية والقبلية التي تأثرت بها المدينة طيلة الفترة المدروسة، كما ركزت على مجريات بعض المواقف التاريخية العلمية التي برزت في أحداثها المدينة خاصة في قضية تغلب الموحدون على المرابطين في وهران، وبداية دولتهم . وركزت كذلك على الأحداث السياسية التي عرفت المدينة المتعلقة بالفترة الزيانية ، وذلك لتوفر ، وتنوع المعلومات المصدرة التي تؤرخ لها.

الفصل الثاني ، وهو الفصل الذي أبرزت فيه مختلف الجوانب الاقتصادية بداية من توفر ظروف الإنتاج الفلاحي والصناعي إلى استعراض الحرف والصناعات، مع التركيز على أهمية الدافع التجاري الغذائي في نشأة المدينة وإبراز تعدد علاقاتها التجارية التي استفادت من توفر شبكة مسالك برية وبحرية عززت هذا النشاط التجاري المتعدد الأبعاد المغربي ، الأندلسي ، المتوسطي.

الفصل الثالث حاولت فيه جمع الحياة الاجتماعية بعناصرها المتعددة مع الحياة الثقافية والتي عرفت حركية في تنقل العلماء من وإلى مدينة وهران ، وقد خصصت جزء من الدراسة للخوض في ظاهرة التصوف الاجتماعي التي عرفت المدينة ، ودور العالمان "سيدي الهواري" و "ابراهيم التازي" في ذلك.

الفصل الرابع وخصصته للمعطيات الجغرافية والعمرانية للمدينة وخصوصية مرساها في الحصانة الطبيعية وما شكله من أهمية في حركة الملاحة المتوسطية كما خضت في إشكالية نواة المدينة وحقيقة الاتفاق الحاصل بين الجماعات المؤسسة لها، وذلك لإبراز تخطيط المدينة وتموقع الجماعات المؤسسة داخل الحيز التمدني . وأدرجت قراءات عن توسعاتها طيلة العصر الوسيط . وقد خصصت جزء من الفصل لدراسة مختلف المنشآت التمدنية الخاصة بالمدينة ، والتي لا تختلف كثيرا عن النموذج المغربي الإسلامي في الفترة الوسيطة. وهذا الفصل احتوى على أكبر قدر من الصور بنوعها الحقيقية و التخطيطية وذلك لإبراز المعاني الجغرافية للمكان والتخطيط التقريبي للمدينة و لإعطاء صورة حقيقية عن الموضع المتوعر من الجبل وكذلك لإبراز حصانة وشساعة المرسى الكبير، هذا الأخير الذي رسمه ابن حوقل على خريطته المشهورة ، وقد شبهه بمرسى موسى، والذي خص له وصف في كتابه "صورة الأرض" وأبرزه حتى في رسمه على الخريطة .

خاتمة للبحث ،وهي تحصيل الأفكار والمعلومات المستنبطة من الدراسة المونوغرافية لمدينة وهران في العصر الوسيط والتي اعتبرها الأرضية المعرفية الوسيطة التي استغلت فيما بعد كمخزون حضاري استفادت منه مدينة وهران في فترتها الحديثة وحتى المعاصرة .

ملاحق توضيحية ومدعمة لجوانب البحث إضافة إلى إدراج فهرسة تسهل الوصول الى مختلف المصطلحات الجغرافية و الأعلام التي تضمنتها الدراسة ، وآخر فهرس هو للموضوعات والإشكاليات المعتمدة في البحث .

عرض لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

كأي دراسة علمية تاريخية استوجب انجاز البحث الاطلاع على مصادر مختلفة كل صنف منها يسلط الضوء على جوانب مهمة من الدراسة المونوغرافية لمدينة وهران في العصر الوسيط ، وما لاحظته على المصادر التي ذكرت مدينة وهران أنها ركزت بالخصوص على إبراز دورها ووظيفتها الحيوية لنشاط اختصت به المدينة في فترة ما . حتى أن دراسة المدينة طيلة تاريخها الوسيط لاحظنا فيه توفر لمعلومات في جانب معين ،وقلته في جانب آخر ، فأحيانا يغلب على فترة ما الحدث السياسي و القبلي للمدينة دون ذكر لبقية الجوانب ،وفي مصادر أخرى يبرز الدور الاقتصادي لفترة أخرى وتقل المعلومات التي تستوفي الجوانب الأخرى، أما الفترة الأخيرة من العصر الوسيط فتبرز حياة المدينة الدينية التي يغلب عليها نفوذ متصوفتها وولوجهم في الحياة الاجتماعية و العمرانية والسياسية للمدينة ،لذا حاولنا استغلال المصادر إلى أقصى حد ممكن ،وتفعيل الدلالات التاريخية لمختلف المعطيات المصدرية مع ربط حياة المدينة مع محيطها المغربي و المتوسطي و الإسلامي .وسنتطرق إلى عرض المصادر التي وفرت أكبر كما ونوعا من المعطيات حسب أهميتها دون أن ننقص من قيمة أي مصدر معتمد في الدراسة .

- المصادر الجغرافية:

تعتبر المصادر الجغرافية من بين أهم المصادر التي اهتمت بوصف المدن وإعطاء نبذة تاريخية عن تطورها ، كما بينت هذه المصادر امتداد الطرق و المسالك الرابطة بين المدن ،والتي حظيت بأهمية اقتصادية واجتماعية وسياسية هامة . وتجدر الإشارة هنا إلى ضياع تأليف جد هام خاص بأخبار وهران للمؤرخ الأندلسي الشهير محمد بن يوسف الوراق (ت 363هـ/)والذي يرجع له الفضل في جمع الجغرافيا بالتاريخ ،وهي الطريقة التي سار عليها البكري ،الذي نقل عليه كثيرا من المعلومات

التاريخية والجغرافية في كتابه "الممالك و الممالك". ونعتقد أن المعلومات الخاصة بوهرا ن البعض منها نقلها البكري عن الوراق. لذا ففي مقدمة المصادر الجغرافية المعتمدة في الدراسة جزء من كتاب المسالك والممالك المعنون بـ : " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب " ،لأبي عبيد البكري (ت 487/1094)، وقد أفادني هذا الجزء كثيرا في نقل المعلومات الخاصة بتأسيس المدينة ،وفي تتبع بعض الأحداث التي عرفتھا المدينة بعد تأسيسها كما بينت الطريق الرابط بين مدينة وهران و القيروان ،وربطتها كذلك بالمراسي المغربية وما يقابلها من المراسي الأندلسية، والمعلومات المتوفرة في هذا التأليف سمحت لي بطرح عدة إشكاليات أفادني في التعمق في دلالات المعطيات الجغرافية و السياسية وغيرها ،وقد تم نقل هذه المعلومات (البكرية إن صح التعبير) في مختلف المصادر الأخرى مثل كتاب الاستبصار، والذي يذكر معلوماته عن المدينة نقلا مباشرا عن البكري ويصرح بمصدره مما لم يضيف للدراسة الكثير من المعطيات الجديدة.

والتأليف الجغرافي الذي أفادني أيضا خاصة في المجال الاقتصادي "صورة الأرض" لابن حوقل(ت997/387)، و الإدريسي (ت 1164/560) حيث أبرز كل منهما أهمية المدينة بالنسبة للأندلس خاصة دورها في تمويله بالحاجيات الغذائية التي كانت تشحن من موانئها إلى العدو الأندلسية وهذا يرتبط مع "النظرية التي تربط نشأة المدن بتوفر الغذاء الزائد عن حاجة المنتجين ،مما يوضح أن نشأة كثير من المدن الإسلامية كانت في مناطق متوسطة من أقاليم زراعية تزود هذه المدن بحاجاتها الغذائية"¹ كما تم الاعتماد على هذه المدن التي شكلت مستودعات لجمع أكبر كمية من الإنتاج الفلاحي الغذائي لتموين مدن أخرى خاصة في فترات القحط و الاضطرابات وحالة اللأمن ،وهذا ما ينطبق على مدينة وهران بالنسبة لمدينة الأندلس .

- كتيب الرحلة:

استطاعت كتب الرحلة إعطاء مشهد حي عن حياة المدينة في فترة معينة مما ساهم في إثراء بعض الجوانب الدراسية من حياة المدينة ،فالرحالة العبدري (ت ق 13/7) وصف تغير أحوال وهران ،وغياب ضوءها ،وذهاب صباحتها في القرن السابع الهجري². وفي رحلة عبد الباسط(ت 920/1514) تعرفنا على كيفية دخول السلع إلى المدينة، كما اطلعنا على بعض الأحداث السياسية و

¹ - محمد عبد الستار عثمان ؛ نفس المرجع ،ص24.

² . الرحلة المغربية، حققه أحمد بن جدو ،ص131.

الثقافية داخل وهران خاصة حالة الخطر القادم من البحر، والحركة التجارية من وإلى المدينة. كما أفادتني رحلة الحاج عبد الله بن الصباح في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (ق 8/ 13) في التعرف على خيرات وهران والأخلاق الحميدة لسكانها¹.

- كتيب التاريخ العام :

ومن الكتب المعتمدة أكثر في الدراسة كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر" لعبد الرحمان ابن خلدون تاريخ ابن خلدون²، والذي أفادني كثيرا في تدوين الأحداث التاريخية التي عرفتھا المدينة من تأسيسها إلى القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، والمهم من هذا التأليف انه أجاب على بعض الإشكاليات الخاصة بالتأسيس وحتى الخاصة بموضع المدينة وما تتطلبه المدن الساحلية من ضرورة الاحتماء، وغيرها وهذه المعلومات توفرت في تأليفه الفكري الخصب " المقدمة"³. تأليف آخر أفادني في الدراسة هو "بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب" لابن عذاري المراكشي (ت 1312/712)، والذي نقلت عنه معلومات سياسية بالخصوص.

ومن كتب التراجم اعتمدت بصورة رئيسية على تأليف "روضة النسرین في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين" ⁴، والذي أعطى معلومات مهمة عن متصوفة وهران، وأعمالهم في المدينة.

- صعوبات البحث:

يمكن حصرها في النقاط التالية:

- في ظل غياب شبه كلي للمصادر المادية من آثار وغيرها و الخاصة بالفترة الوسيطة، هذا ما استغله الباحثون الأثريون الفرنسيون سلبا حيث ربطوا المدينة الرومانية بالمدينة الاسبانية ثم الفرنسية، و حاولوا طمس ملامح الحقبة الإسلامية ماعدا ذكر بعض الآثار عن الفترة العثمانية مما جعل جل الدراسة صعبة وانصبت على المصادر الثقيلة الإسلامية بالخصوص .

¹ . أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، هذها وأصلح خللها وعلق حواشيها، محمد بن شريفة، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، سنة 2008.

² . عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، منشورات محمد علي بيضون (دار الكتب العلمية)، بيروت، سنة 1413هـ 1992م.

³ . عبد الرحمان بن خلدون؛ المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، سنة 2005/1426.

⁴ - محمد بن صعد الانصاري التلمساني، مراجعة و تعليق و تحقيق يحيى بوعزيز، منشورات anep، الجزائر سنة 2002.

- التكرار الممل للمعلومات في المصادر والمراجع ، أعطى محدودية المجال البحثي خاصة في ظل عدم وجود دراسات أكاديمية كثيرة تلمس المدينة بطريقة مباشرة.
- نقص المادة الأرشيفية التي توضح الخرائط القديمة للمدينة. كما واجهتني مشكلة قلة الوثائق الأرشيفية الخاصة بالمدن التي تعاملت مع المدينة.

الفصل الأول

نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

1. وهران قبل الإسلام

1/1. التواجد البشري في المنطقة منذ القديم :

عرفت المنطقة الوهرانية التواجد البشري منذ ما قبل التاريخ¹، وذلك ما أثبتته المواقع الأثرية المنتشرة في المنطقة. منها الموقع الموجود على الحدود الجنوبية الغربية (لبلدية الحالية). وبالاعتماد على مخطط مسح الأراضي ، فالمكان يسمى افرن (Ifren) ، وهو اسم ذو أصل بربري ، مشتق من تيفريت (Tefrit) ويعني المغارة، و هذا الموقع الأثري هو مغارة كانت مأهولة في فترة ما قبل التاريخ معروفة باسم أكمهيل (Eckmühl)².



مغارة (Eckmühl) متعددة الأضلاع

وحسب الباحث قزال (Gsell) ، فان وهران احتوت على كهوف كثيرة كانت مأهولة ، منها كهف تروغلديت (Troglodytes)³، وقد احتوت هذه الكهوف، على عدد كبير من الأدوات المصنوعة من الحجارة المصقولة، وعظام لبعض الأنواع من الحيوانات التي لازالت

1 -Bulletins DE la Société archéologique de Sousse Extrait, imprimerie française, Boulevard pichon, 1904, p 03.

2 - Robert tin thon; Histoire d'Oran, Document obtenu à partir du Guide agréé par la municipalité, édition, 1949,1950, p 01.

3 - ويشيد بدور الباحثان الأثريان بالي (Pallay) وتوماسيني (Tommasini) في كشف الكثير من المواقع الأثرية التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، وكذلك بالباحثان الاثريان :-(Doumergue et garrière) .

Stéphane Gsell, les Monuments Antique de l'Algérie, ouvrage publie sous les auspices du gouvernement Général de l'Algérie, tom 1^{ère}, paris, 1901, p08.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

تعيش في المنطقة، أو هاجرت منها مؤخرا¹، مما يدل على أن الإنسان القديم سكن كهوف وهران ، ومارس إلى جانب الصيد، الزراعة حيث تم اكتشاف أداة حادة لقطع السنابل² تشبه المناجل. كما وجدت كذلك قطع من الحجارة المصقولة على التلال ، وعلى حواف الهضاب التي تشرف على الأودية و الينابيع ؛وهي منتشرة في أماكن عدة من وهران . وهذا ما يؤكد ممارسة السكان للنشاط الزراعي منذ القدم³. وتشير البقايا المكتشفة - حسب بعض الدراسات - الى انتماءها الى للحضارة القفصية العليا⁴.

1/2. المدينة الفينيقية و الرومانية :

أ. المدينة الفينيقية:

يذكر أحد المؤرخون الإغريق أن المغاربة القدماء رحبوا في البداية بالتجار الفينيقيين نظرا لأهدافهم السلمية، التي كانت لا تتعدى إنشاء مراكز تجارية، تتم فيها المبادلات على امتداد السواحل المتوسطية والأطلسية ، وهذا ما دفع بالسكان المغاربة منذ أقدم العصور نحو النشاط التجاري⁵، وتبادل المنتوجات مع التجار الفينيقيين. والذين قاموا بتحويل مراكزهم التجارية إلى مستوطنات ، ثم إلى مدن قارة ، وذلك بعد تأسيس قرطاج ، فنشأت بذلك منظومة تمدنية فينيقية ، على طول السواحل المغربية المتوسطية و الأطلسية ، وذلك مقابل دفع ضريبة مالية سنوية للمغاربة ضمانا للأمان وريعا للمكان الذي أسست فيه مدنها⁶.

1 - ومن البقايا المكتشفة لهذه الحيوانات: الأغنام، الماعز، الخنازير البرية، والغزلان، الطباء، النعام، الثيران.

Stéphane Gsell, op.cite, p03.

2- هذه الأداة هي عظم يعود لضلع عجل قوي وجد في وسطه حفر صغير ، اعتقد بعض الباحثين انه يمكن ان تكون قد رتبت في هذه الحفرة الصغيرة شظايا حجر الصوان لتعمل كأسنان حاد لقطع السنابل . محمد الصغير غانم ؛ معالم التواجد الفينيقي ، البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، ص 248.

3 - *Gsell; op.cite, p04.*

4- حارث محمد الهادي ؛ التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا (منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول (203-46 ق م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ص 96.

5 - حيث كانت" الملاحه حذرة،الا بمحاذاة السواحل وكانت بين نقاط مرئية ، فالطرق المستقيمة التي كانت تسلكها السفن لتبحر ، على نحو استثنائي في وسط البحر لم يكن يتجاوز طرقا ثلاثا أو أربع ، كانت معروفة ومألوفة منذ زمن بعيد". سحر عبد العزيز سالم ، أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، الناشر مؤسسة شباب الجامعة سنة 2006، ص 445.

6- محمد الصغير غانم؛ مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى ، الجزائر، ص 57.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

وعثر في وهران على عدد كبير من بقايا الحلي، أساور، حلقات معدنية، أدوات الزينة و ذلك ضمن أثار جنائزي يعود للفينيقيين¹، خاصة في منطقة الأندلسيات (Les Andalous) القريبة من وهران²، وسبب إطلاق هذه التسمية "أندلسيات" ترجع إلى إظهار التقارب والتشابه الحضاري بين العدوتين المغربية و الأندلسية، فمعظم بقايا المحطات البونية التي وجدت في سواحل الغرب الجزائري كانت متأثرة إلى حد بعيد بمستوطنات شبه جزيرة ايبيريا³ وجنوب غربي أوروبا أكثر منها بقرطاجة⁴.

والملاحظ أن الدراسات التاريخية الخاصة بالفترة القديمة تعطي مصطلحات مزدوجة لنفس المعنى ؛ فمثلا وهراني لبوري وفوفري هي نفسها مصطلح موريسكي - اسباني لبلاري⁵. مما يجعل المنطقة الوهرانية و جنوب غرب الأندلس يخضعان لنفس المؤثرات الحضارية المتوسطية القديمة . ويذكر الباحث هنري " ليو في " أن وهران بنيت على أثار مدينة قرطاجية⁶، ويستدل بالنقود البونيقية المنتشرة بعدد كبير في المنطقة مما يعطي حسبه دليلا على صحة الفرضية ، وعلى نقيض ذلك تحفظت بعض الدراسات الأكاديمية على إدراج موضع مدينة وهران ضمن

الخريطة التمدنية الفينيقيية لعدم التأكد من التواجد الفعلي لها¹.

¹ - خوخة عياي؛ التعدين القديم في شمال الجزائر (دراسة الأدوات المعدنية المحفوظة في متحف سيرا والباردو) رسالة لنيل الماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، سنة 2001-2002، ص 175.

² - محمد الصغير غانم ؛ معالم التواجد الفنيقي ، ص 53.

³ - ويرجع ذلك إلى قرب المسافة بينهما خاصة عند مضيق جبل طارق، كما أن وقوف الحاجز الطبيعي (جبال البرانس) شمال الكتلة الايبيرية جعلها معزولة طويلا عن أوروبا وتركها مفتوحة منذ أقدم العصور للمؤثرات الشرقية من جهة البحر المتوسط . كولان، الأندلس، لجنة الترجمة من دائرة المعارف الإسلامية ، ابراهيم خورشيد وغيره ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتب المصري ، ط 1 ، سنة 1980 ص 61.

⁴ - محمد الصغير غانم؛ مقالات وآراء، ص 72.

⁵ - شارل أندري جوليان؛ تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي ، والبشير سلامة، النشرة الرابعة، الدار التونسية للنشر، سنة 1983، ص 49. ومن الجانب الأثري فقد عثر في الأندلسيات على نقود في قبور تحمل اسم قادس (Gades) وسيكس (Seks) الاسبانييتين. محمد الصغير غانم ، معالم التواجد، ص 188.

⁶ - محمد العربي عقون ؛ الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر سنة 2008، ص 64.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

ب. المدينة الرومانية :

تعرضت إفريقيا الشمالية لاستعمار روماني استيطاني حاول بسط نفوذه، وربط اقتصاد إفريقيا باقتصادها عن طريق الموانئ الإفريقية² لذا فهذه الجهة جزء مهم من العالم الإداري الروماني. ووهران إداريا تقع ضمن الإقليم الإداري لموريتانيا القيصرية (Mauritanie césarienne)، من بين سبع (07) أقاليم أساسية³؛ وتم العثور على آثار رومانية معتبرة على طول الساحل الوهراني خاصة في المكان المسمى سانت لو (Saint-leu) أي (القديس لو) أو ما يسمى كذلك بورتيس ماغنيس (portus-magnus)، كما عثر اسم مرفأ ساحلي هو بورتيس ديفيني (portus divini) (مرسى الآلهة) والذي يشبه لحد كبير مواصفات المرسى الكبير⁴، وسمي بذلك لشجاعته وأمن مرساه⁵، وهناك من الباحثين من يعتبر بورتيس ديفيني هو الخليج الممتد بين مرسى الكبير ومرسى وهران⁶، وبالاكتفاء على الجغرافي بطليموس الذي ذكر أن هناك بين المرسى الكبير (portus magnus) ومرفأ أرزيو (Arzew) الذي هو الميناء المسمى تيوليمان (théon-limen)، ذكرت مدينة باسم كويزا (kouiza)، والوضعية الجغرافية المطبقة من طرف بطليموس تنطبق على وهران بحيث تستحيل أن توضع هذه المدينة خارج عمق هذا الخليج الواسع، وذلك باستعمال نظام المقاربة الجغرافية فبعكس الأطراف التي اعتمد عليها بطليموس في تحديد مؤشراتته وتحويل المرسى الكبير لأرزيو والعكس كان بإمكاننا استنتاج موقع كويزا (kouiza)⁷. لكن بعض الدراسات الأثرية تشير إلى أن موقع كويزا هو قرب مدينة الشلف.

1 - Nicolas Carayon ; Les Ports Phéniciennes Et Puniques
Géomorphologie et infrastructure, thèse de doctorat en science de l'antique –
archéologie, université Strasbourg, marc bloch u f r des sciences historique ; p83.

² - عقون ؛ المرجع السابق، ص 141.

3 -A. Ber BEUGGER; « l'Afrique septentrionale après le partage du monde romain », revue africaine N °02, décembre 1856,p83.

4 - Tinthoin; op.cit, p01

5 -Henri Léon fey ; histoire d'Oran (avant , pendant et après la domination espagnole), édition dar el- gharb, p08

6 -commandant l. demaeght ; géographie comparée de la Maurétanie césarienne correspondant à la province d'Oran,P 157 .

7 - Henri Léon fey; op.cit,p.34,35.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

وعثر في جنوب وهران على آثار رومانية، عند شمال مسرغين¹ (misserghin)، والتي اكتشفت بها بقايا أنابيب للمياه ، و نقود رومانية في نفس الموقع²، وعثر أيضا على بقايا قلعة رومانية قريبة من بوتليس، كما عثر على بقايا مراكز عسكرية منها قلعة رومانية على هضبة يحيط بها سور³، وذلك لتعزيز السيطرة العسكرية على الطرق البرية والبحرية⁴ وكذا حمايتها من هجمات البدو ، وقد كان لهذه الطرق⁵ دور اقتصادي فقد سهلت المبادلات بين القطاعات والأقاليم والأرياف والمدن، وساهمت في ظهور أسواق ريفية على الطرق مثل سوق القمح على أطراف السهل في ريجيا⁶، (المدينة النوميديّة القديمة).

وكانت الطرق البرية الرومانية ضيقة جدا لا تتسع للعربات الكبيرة، وكانت الحيوانات المستعملة في النقل باهضة الثمن. هذا انعكس على أسعار النقل خاصة للمسافات الطويلة مما جعل النقل البحري يعتمد عليه أكثر في المسافات البعيدة رغم خضوعه لضرائب (الحكومة) المستمرة⁷. وكل ما يصدر من الموانئ الإفريقية يأخذ اتجاهه نحو روما تحت مراقبة الإدارة الرومانية، فبالإضافة إلى القمح كانت تصدر الموانئ الإفريقية، الصوف، الخشب، الزيوت، وقد اعتمد في النقل البحري على مراكب (naviculariti) من الرومان والإفريقيين، اللذين انضموا في جمعيات تضمن النقل الدائم للسلع⁸، مساهمين بذلك في إنشاء سوق محلي كبير للإمبراطورية الرومانية التي سيطرت على المتوسط وعلى تجارته⁹.

1 -Tinthon; op.cite. ,p01.

2 -Gsell,Atlas; Feuille n°21 oran.

3 -Gsell,Ibid,n21.

4 - استعمل الرومان المنشآت العسكرية من الأسوار والقلاع في حماية الطرق التجارية برا ،وبحرا.عقون ، المرجع السابق ، ص140 .

5- قد كان لمدينة وهران الرومانية ، طرق أساسية هي : طريق في اتجاه الغرب الى حمام بوحجر (hammam bouhdjar) او (addracones) والى (albule) وهي عين تموشنت (ain temouchent)، الثانية نحو الشرق تجاه (jasaccora) او (saint denis du sig) ، الثالثة نحو الجنوب الشرقي تجاه واد مكارة (mekerra) Gsell, op. cite, Feuille n°21 oran.

6- عقون؛ نفس المرجع ،نفس الصفحة.

7 - روبرت لوبيز؛ ثورة العصور الوسطى التجارية (950-1350)م، ترجمة وتقديم، محمود أحمد أبو صبرة، مراجعة صلاح الدين حسن السوري، منشورات ELGA، سنة 1997، ص 23.

8- عقون؛ المرجع السابق، ص 141.

9- روبرت لوبيز؛ المرجع السابق، ص16.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

ويرى قزال أن المدن الساحلية الرومانية، احتضنت حضارتهم، لكنه في نفس الوقت يتأسف بمرارة للخطأ الكبير الذي وقعت فيه الكنيسة الإفريقية لأنها لم تشغل الظروف لتوسيع الخريطة المسيحية في البلاد¹ التي ظلت حبيسة السواحل فهي تقف عند خط الحصون العظيمة جنوب المنطقة الساحلية² (خط الليمس)، وتحتوي منطقة وهران على قبور مسيحية على هيئة أهرام داخلها داخلها نقوش مسيحية³، كما توجد آثار كنيسة صغيرة في المنطقة⁴، و تذكر مدينة كويزا (kouiza) القريبة من وهران على أنها كانت من بين 129 أسقفية في موريتانيا القيصرية وقد حفظ لنا التاريخ اسم اثنين من الأساقفة هما: تيريانيس (tibérianus)، (priscus) وبرسكيس فالأول كان يحضر احتفالية؛ ؛ كما ذكر في السجل كأسقف في مدينة ريجيا Regiae، في بنده 484(51-1)⁵، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل مدينة ريجيا هي نفسها مدينة كويزا ؟

وبعد السيطرة الرومانية تخضع السواحل المتوسطية للسيطرة البيزنطية التي احتفظت بحدود الإمبراطورية الرومانية في الشمال الإفريقي، وقد تم العثور على نقود بيزنطية في المنطقة الوهرانية⁶، ويرى هنري في (Henri Fey) "أن الرومان عند إنشائهم لمؤسساتهم بإفريقيا لا ينشئون مدن على أراضي غير زراعية، وغير مسكونة، بل كانوا يستفيدون من تجارب القبائل المهزومة ومن الآثار القرطاجية"⁷.

من الدراسات الأثرية يتضح أن المنطقة الوهرانية شهدت الحياة المدنية (الحضرية) منذ القدم، وقبلها كانت محطة مهمة للتجمع البشري في الكهوف والمغارات كما شهدت المنطقة ممارسة للنشاط الزراعي والرعي، ولعبت مدينتها أو مدنها دور هام في التجارة المتوسطية، ورغم توفر الدراسات الأثرية فهناك صعوبة في تحديد المواقع التاريخية خاصة

1- محمد البشير الشنيتي ؛ تاريخ الجزائر في القدم من خلال المؤرخين الفرنسيين ،مجلة الباحث ،المطبعة المركزية للجيش، العدد 03. سنة 1985، ص. ص 06-09.

2- حسن أحمد محمود ومنى حسن محمود؛ تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة، دار الفكر العربي سنة (1419هـ-1999م)، ص 12.

3-حسن مؤنس ؛ فتح العرب للمغرب، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، ص29.

4-Gsell; op.cite,N°21.

5 -Gsell; ibid, N°21.

6-Gsell; ibid ,N°21.

7-fey; op.cite,p36.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

موقع المدينة، وذلك يرجع لكون الأثرين ليسوا بجغرافيين وبالتالي فقدان الإسقاطات الوصفية للجغرافيين مع أبحاث الأثرين.

3/1. تاريخ القبائل البربرية في المنطقة وإشكالية الاستقرار:

عرفت المنطقة الوهرانية تواجد البربر منذ القدم ونخص بالذكر هنا: المور (Maur)¹ ومنهم سكان المنطقة الوهرانية، أما الجيتول Gaetulii فهي مجموعة قبلية كبيرة لا تمثل عرق متميزا، فهم مور في منطقة الجنوب الوهراني والمغربي²، فالاختلاف بين المور والجيتول لا علاقة له بالعرق، فالاختلاف يكمن في نمط العيش بين المجموعتين. فحياة المجتمعات المتوسطة تميزت بظاهرة الانتجاع في الشمال، والبداءة في الجنوب فالحياة الرعوية المنظمة التي كانت تنتقل بين مراعي الشتاء في السهول، ومراعي الصيف على المرتفعات³ ومثلوا الرحالة الصغار، وإلى جانب الرعي كانوا يقومون بأعمال الزراعة، أما البدو أو الرحالة الكبار (grands nanades) فهم ينتقلون في طرق متغيرة غير معروفة تقع ما بين سهوب القربية من الصحراء والسهول المرتفعة مجتنبين الجبال أثناء الذهاب والإياب⁴.

وقد عرفت الفترة الرومانية إقامة خط الدفاع (الليمس) للاحتماء من ضربات البدو، ويذكر الباحثون أن منذ القرن 6 م، نجح ماسوناس (Masson)، في تكوين مملكة بربرية⁵، وذلك بعد اختفاء الحكم الروماني في المنطقة وهذا ما سهل للزناتيين الأوائل أن يستقروا وأن يكونوا خلايا سياسية وباقي المجموعات الأخرى أن يتجولوا عبر المناطق التي تصلح لنمط حياتهم، ونعني السهول العليا متصددين للقبائل الأخرى الثابتة، لأنهم كانوا يرون فيهم تمديد وتوسيع للهيمنة

1- مصطلح للدلالة على سكان أقصى الشمال الإفريقي ما بين وادي مولوشا (ملوية) والمحيط الأطلسي، يمكن الرجوع إلى الباحث عقون، المرجع السابق، ص 10.

2- عقون؛ نفس المرجع، ص 10.

3- بورديل؛ المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وإيجاز، مروان أبي سمرة، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، سنة (1413هـ/1993م). ص 31.

4- محمد بن عميرة؛ دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، سنة 1984. ص 21، 22.

5- وهو بدون شك الأمير الموري الذي نجده في نقائش ألتافا (ALTAVA) بتاريخ 508 م تحت اسم ماسونا (Massonas). شارل أندري جوليان؛ المرجع السابق، ص 380.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

الرومانية¹، فكبار البدو كانوا يتنقلون في مساحات واسعة وصولاً إلى شواطئ البحر حيث يبدؤون رحيلهم، في كل سنة من الجنوب إلى الشمال، بحثاً عن المراعي التي كانت تيبس نباتاتها بالتدريج ابتداءً من الجنوب إلى الشمال. وقد اصطدموا بجواجز حضر البربر، والتي لم تكن منيعة أمام هجماتهم المتكررة²، وهذا ما يشرح تخوف ماسينا (MASUNA) منهم، مما جعله يشيد القلاع للدفاع عن مملكته ضد قبائل الجنوب³. ومملكته امتدت على كامل المنطقة الوهرانية، حتى الأوراس، وعاصمته كانت تيارت⁴، التي تقع بين التل والسهول المرتفعة⁵.

ومن هذه المعطيات التاريخية يتضح وجود مجموعتان من القبائل البربرية في وهران، أحدهما جنوبية من الرحل وأخرى ثابتة ومستقرة في الشمال، ونرجح أن المجموعتين من زناتة فابن خلدون يذكر مواطن زناتة في المنطقة الممتدة ما بين غدامس والسوس الأقصى، ويورد أيضاً عن زناتة "... والأكثر منهم بالمغرب الأوسط، حتى أنه ينسب إليهم، ويعرف بهم فيقال وطن زناتة... وكان لهم فيه دول أخرى في القديم"⁶، وهنا يربط ابن خلدون جغرافية المغرب الأوسط بتاريخ زناتة القديم في المنطقة، وفي بطون هذه القبيلة يذكر: "... ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة، وبني يفرن وجراوة، وبني يرنان..."، بالنسبة لطبيعة معيشتهم، فيرى ابن خلدون "... أن مغراوة لهم مع إخوانهم بني يفرن اجتماع وافتراق ومناغاة في أحوال لبدو"⁷ فابن خلدون يصنف مغراوة وبني يفرن من قبائل البدو، وهذا يكشف هوية القبائل المرتحلة، والتي ارتادت المنطقة الجنوبية من وهران.

1 -M. MAHDAD « le pays Orano -Tlemceniel du 6eme siecle, » centre national d'études , majallat-El-Tarikh,ns,Alger,1980, , p74.

2-بروديل؛ المرجع السابق ، ص52.

3-M.MAHDAD; op.cite, p44.

4 يذكر ابن عذاري المراكشي: "... أن تيهرت القديمة بنيت بما لا يعرف أوله...". البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق و مراجعة إحسان عباس ، دار الثقافة.ج1، ص25.

5- والتي كانت بفضل موقعها الدفاعي وحالتها الاقتصادية قلعة حصينة ومركز تجاري مرموق. شارل أندري جوليان المرجع السابق، ص380.

6- عبد الرحمان بن خلدون؛ تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب في تاريخ العجم والبربر والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7. منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت سنة (1413-1992) ، ص03.

7- ابن خلدون، نفس المصدر، ج7. ص. ص 09-29.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

ويشير أحد الباحثين أن بنهاية السيطرة الرومانية عرفت المنطقة الوهرانية قدوم موجبتين متعاقبتين من البربر مغراوة وبني يفرن¹، وإن كانت الكثير من المصادر تشير أن موطن مغراوة كان ناحية طرابلس قبل الإسلام ثم تصرف في شمال إفريقيا²، والإشكال الذي يطرح هنا : متى كانت الهجرة المغراوية و غيرها من المجموعات القبلية نحو الغرب؟ وماهي أسبابها؟ هل ذلك راجع لظروف ترجع إلى زوال السيطرة الرومانية على الشمال الإفريقي، وبالتالي حرية التنقل، نحو الغرب، وحتى نحو الشمال في ظل ضعف السيطرة البيزنطية، وبالتالي التوسع أكثر بحثا على المراعي خاصة أن المنطقة الغربية أكثر اتساع في المجال الرعوي فتكون هذه الأسباب كقيلة بهجرة قبائل تعرف بأنها من كبار القبائل البربرية، والتي مارست الرعي على نطاق واسع.

لكن الإشكال يبقى حول هوية القبائل المستقرة في وهران، والتي شكلت جزء من مجال مملكة ماسونا، والتي تركت بقايا من أطلال منازل بنيت من الحجر الجاف، وتشبه لحد كبير أكواخ سكان القبائل حاليا (Kabyles)³. وهذه يدل على استقرار ساكنيها عكس حياة البدو البدو التي تتخذ من الخيام مساكن لتسهيل الترحال عندما يحين الوقت .

ويورد ابن خلدون معلومة عن "قبائل ازداجة" والتي استقرت في وهران، ويقول في ذلك: .. ويعرفون أيضا وازداجة، فمن بطون البرانس، وكثير من نسابة البربر يعدونهم في بطون زناتة،... وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط بناحية وهران⁴ فهل هذا يعني أن ازداجة هي التي استقرت في وهران، ومارست الزراعة، وشكلت جزء من مملكة ماسونا ؟ . خاصة أن ابن خلدون يفصل في الفرع الازداجي الذي سكن وهران: "وكان من بطون ازداجة بنومشقين، وكانوا مجاورون وهران"⁵. وعن ديانتهم، فقد ذكر أن ماسوناس كان رجل مسيحي، وإن صح

هذا الاحتمال، فالمرجح أن هذه القبائل المستقرة دانت بالمسيحية أثناء الفتح الإسلامي على

1 -M.MAHDAD; op. cite ,p72.

2-أبو راس الناصري؛ عجائب الأسفار، تحقيق، محمد غانم، ص40.

3 -Gsell, Les Monument, p04.

4 - عبد الرحمان ابن خلدون؛ تاريخ ابن خلدون، ضبطه ووضع حواشيه خليل شحادة، مراجعة ، سهيل زكار، ج06، دار الفكر، لبنان، سنة (1421هـ/ 2000م)، ص 191.

5 - عبد الرحمان ابن خلدون؛ نفس المصدر ، ج 6 . ص 191.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

غرار المناطق الشمالية لإفريقيا¹، كما تم العثور على نقوش مسيحية في منطقة وهران كانت تعود إلى الفترة الممتدة من سنة 450 م إلى 651 م، أي خارج سيطرة الإمبراطورية الرومانية آنذاك، فيبدو أن هناك علاقة بين التنصير وحركة التمدين²، ويرى غزال أن الكنيسة الإفريقية لم تعمق نفوذها في الريف ولم تغلغل في الأوساط الشعبية³، واكتفت بالمدن خاصة الساحلية منها. ونأخذ ذلك بتحفظ لأن وهران حمل اسمها البربري بعد ديني بربري فمكان الأسد يوحى بمكان مقدس، فالأسد كان من معبودات البربر⁴.

لقد اتضح من الدراسات الأثرية وجود آثار رومانية، وقرطاجية قريبة من الموضع الذي أسست عليه المدينة، كما أن المعلومات التاريخية والجغرافية تحدثت عن مدينة قرطاجية ثم مدينة رومانية في موضع المرسى.

وبالرجوع إلى الكتابات العربية الإسلامية، فقد أشارت إلى وجود آثار قديمة في المنطقة الوهرانية، والتي ترجع إلى فترات زمنية قديمة، فيذكر صاحب الاستبصار: "...ولها وهران نظر كبير فيه قرية كبيرة فيها آثار قديمة..."⁵، أما الحميري فيذكر عنها: "...ولها نظر كبير فيه قرى كثيرة وآثار قديمة..."⁶.

ويبدو أن القرية الكبيرة، والتي تحتوي على آثار قديمة ما هي إلا "مسرعين misserghin"، والتي حملت الاسم القديم "جيلفا كولونيا gilva colonia حسب بعض الدراسات⁷. وتتفق مع أحد الرحالة الأروبيين، والذي يرى أن مسرعين هي التي حملت سم

1- حسين مؤنس؛ المرجع السابق، ص 30.

2- عبد الله العروي؛ يحمل تاريخ المغرب، ط3، الناشر المركز الثقافي العربي، سنة 1996، ص، ص 79، 80.

3- البشير الشنيتي؛ المرجع السابق، ص 06.

4- للاستزادة في معاني كلمة وهران، وعلاقتها بالديانة البربرية القديمة. يرجع للفصل الرابع.

5- كاتب مجهول؛ الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة، مصر وبلاد المغرب) نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد؛ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 134.

6- ابن عبد المنعم محمد الحميري؛ الروض المعطار في أخبار الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، طبع على مطابع هيدلبرغ، بيروت، ص 612.

7 - géographie comparée, op. cite. p157

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

قصر ابن سنان الازداجي¹ في الفترة الوسيطة من تاريخ المنطقة .لذا فمدينة وهران تأسست في موضع استقرار القبائل البربرية نفزة ،وبني مسقن، وبعض المؤرخين يعتبرون بني مسقن هم مسرقين² ،وهذا المصطلح إن صح يعبر ربما على مسرغين³ المنطقة الموجودة جنوب مدينة وهران ،والتي يحتمل أنها موضع استقرار قبائل بني مسقن.والتي تحوي على آثار رومانية نرجح أن بني مسقن احتلوا هذا الموضع بعد زوال السيطرة الرومانية مباشرة ،وربما هذا ما جعل حسن الوزان يعتبر أن مدينة وهران بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر⁴ .

لكن بعض المؤرخين اعتبروا أن مدينة وهران هي من بناء الروم ،ومن ذلك جاء عند أبو القاسم الزياني أن "... وهران من بناء الروم قبل الإسلام..."⁵ .وهذا الاحتمال لا ينطبق على موضع المدينة الأولى.

-فالمدينة إذن تأسست بعيدة عن أنقاض المدينة الرومانية .

2. الفتح الإسلامي للمنطقة ورد فعل القبائل التي تستوطنها:

1/2. الفتح الإسلامي للمنطقة:

إن المعلومات المتعلقة بالفتح الإسلامي لمنطقة وهران شحيحة إذ لم تركز على المجال الجغرافي بدقة لأن في نظرها المنطقة تعبر عن مجال قبلي أكثر مما تشكله من مجال جغرافي،لذلك سنتتبع المجال القبلي المنتجع ثم المستقر في المنطقة الوهرانية ،و ذلك لان القبائل المنتجعة هي القبائل الزناتية القوية و المؤثرة في كامل المجال الجغرافي للمنطقة الوهرانية ،ولأجزاء كبيرة من المغرب الأوسط .

1-هاينريش فون مالتسان ؛ثلاث سنوات في شمال إفريقيا ،ترجمة أبو عبد العيد دودو ،ج 2. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر، سنة 1979. ص 41.

2- محمد بن يوسف الزياني؛ دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الناسخ البشير بن قدور محمودي، تاريخ النسخ 1380/1961، عدد الأوراق 124، رقم المخطوطات 3324 المكتبة الوطنية الجزائرية الحامة، دائرة الحفظ والمخطوطات، ص05.

3- ورد اسم الفرع القبلي بني مسقن في بعض المصادر باسم "بني مسكين" (وإذا أضفنا حرف الراء بعد السين فإننا نحصل على كلمة مسرغين) . صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص133.

4- حسن الوزان ؛وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ،محمد الأخضر ، ج2. دار الغرب الإسلامي ،سنة 2000.ص30.

5- أبو القاسم الزياني؛ الترجمانة الكبرى (في أخبار المعمور برا وبحرا)، حققه وعلق عليه، عبد الكريم الفيلاي ، سنة 1967، ص 147.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

من المعلوم أن أولوية الفتح الإسلامي كانت نحو الداخل¹، لذا فسؤال المطروح هنا عن موقف القبائل التي انتجعت جنوب المنطقة الوهرانية، ونقصد قبيلة مغراوة، والتي كانت محلاتهم بأرض المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان إلى جبل مدبولة وما إليها²، وهذا المجال يشمل جزء كبير من المنطقة الوهرانية.

2/2. إسلام مغراوة والقبائل الازداجية :

وعن إسلام مغراوة، فهو مرتبط بإسلام ملكها وزمار بن صقلاب. والتي وردت روايتان في إسلامه . الأولى تتحدث عن أسره من طرف الجيش الفاتح، وفي ذلك "...وانساح المسلمون في البسائط بالغارات، ووقع بينهم وبين البربر أهل الضواحي زخوف وقتل، وسي، حتى لقد حصل في أسره يومئذ من ملوكهم وزمار بن صقلاب جد بني خزر، وهو يومئذ أمير مغراوة وسائر زناتة، ورفعوه إلى عثمان فأسلم على يده، ومن عليه وأطلقه، وعقد له على قومه³، والرواية الثانية ترجع إسلامه إلى رغبته وهجرته إلى دار الخلافة وعودته مسلماً⁴. ويبدو أنه حافظ على مركزه في قبيلته، كما ربطته علاقة جد حسنة مع المسلمين، ويورد ابن خلدون إشارتان عن ذلك "... وكان لمغراوة هؤلاء في بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الإسلام فأقره لهم، وحسن إسلامهم"⁵.

والإشارة الأخرى وردت في مساعدة مغراوة لعقبة في مواجهته للمصامدة في المغرب الأقصى، وجاء في ذلك: "... ثم أجاز (عقبة) إلى ويلي ثم جبال درن⁶، وقتل المصامدة، وكانت بينهم وبينه حروب، وحاصروه بجبل درن، ونهضت إليهم جموع زناتة وكانت خالصة للمسلمين منذ

1- تغلغل الفتح الداخلي لبلاد المغرب عن طريق حملات متوالية مع توجيه غزوات متفرقة تجاه الساحل وحتى إلى جزر متوسطة مثال ذلك ما يذكر ابن عذاري المراكشي "... أول من غزا صقلية معاوية بن حديج، بعث إليها عبد الله بن قيس ففتحها وأصاب فيها أصناماً من ذهب وفضة..." المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص18، ويبدو أن الحملات البحرية كانت لإضعاف شوكة الروم، وكسر التحالف بينهم وبين البربر، ولكسب الغنيمة.

2- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج7، ص33.

3- ابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج6، ص، ص140، 141.

4- للتوسع أكثر يمكن الرجوع لابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص34.

5- ابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج7، ص29.

1- هو الجبل الذي يخترق شمال افريقية المعروف الآن بجبل أطلس نقلاً عن الإفرنج (Atlas). قاموس الجغرافية القديمة تأليف أحمد زكي بك، المطبعة الكبرى الأميرية، ببلاط، مصر المحمية، سنة (1317هـ-1899)، ص40.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

إسلام مغراوة فأخرجت المصامدة عن عقبة، وأثنى فيهم حتى حملهم على طاعة الإسلام¹. ويتضح من هذه الإشارة أن مغراوة، وحلفائها القبائل الزناتية لم يدخلوا كحلفاء مشاركين في الجيش الفاتح، واقتصر دورهم - حسب المعلومات المتوفرة - على فك حصار عقبة وجيشه، بمعنى قيامهم بدور جيش إنقاذ. وهذا يطرح التساؤل حول حقيقة إسلام مغراوة، وعلاقتها بالجيش الفاتح. فهل الفاتحون المسلمون كان هدفهم مجرد تحييدها في معركة الفتح لضمان عملية الاختراق و المرور إلى أقصى الغرب؟ خاصة أن مغراوة كانت تنزع معظم بطون زناتة؟.

كما أن مسألة إسلام زعيم مغراوة، والظروف المحيطة بهذه العملية تطرح إشكالية أخرى حول حقيقة إسلامه فهل أدرك وزمار قوة المسلمين في السيطرة على المنطقة والوصول بالفتح إلى أقصى الغرب، ومن ثمة استبق الأحداث، و أراد تحقيق مصلحة شخصية وقبلية بمعنى المحافظة على مكانة وزمار كزعيم لمغراوة وفي نفس الوقت إبقاؤها (مغراوة) تترأس زناتة؟

هذا عن مغراوة التي اختارت الإسلام و مسالمة المسلمين، والتي نعتقد أنها تكفلت بضمان إسلام المنطقة الساحلية لوهران، وفرضت توجهها الديني على القبائل الازداجية على اعتبار أنها من أكبر القبائل البربرية في المنطقة. ورغم أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب واجه مقاومة شديدة، خاصة في المناطق الساحلية بسبب أن البربر والروم وقع بينهم الصلح قبيل الفتح²، ووجود سلسلة عظيمة من الحصون الساحلية من برقة إلى طنجة³، إلا أننا نعتقد أن المنطقة الوهرانية كانت تحت هيمنة مغراوة، وقد دخلت إلى الإسلام مبكرا.

3. نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها.

1/3. النشأة الإسلامية للمدينة .

ترجع نشأة المدينة الإسلامية إلى عدة أسباب تختلف من سياسية، واقتصادية، وطبيعية وغيرها. و تأسيس مدينة وهران لا يخرج عن هذه الأسباب⁴، ونستعرض في هذا العنصر الأسباب الأسباب السياسية التي كانت وراء النشأة، وتفاعلها مع المجال القبلي البربري .

1- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص 142. كذلك يمكن الرجوع لأبوراس الناصري، المرجع السابق، ص84.

2- أبو العباس أحمد بن علي القلقشدي؛ صبح الأعشى في صناعة الانشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر القاهرة، ج5، ص 179.

3- حسن أحمد محمود ومنى حسن محمود؛ المرجع السابق، ص12.

4- يمكن الرجوع للفصل الثاني و الرابع للوقوف على بقية الأسباب الكامنة وراء عملية التأسيس.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

3/1/1. روايتا التأسيس:

وبالرجوع للكتابات التاريخية التي أرخت لنشأة المدينة نجد اختلاف في ذكر هوية الجماعة المؤسسة لمدينة وهران مع الاتفاق الواضح على الرعاية و الولاء السياسي للجماعة المؤسسة للأمويين في الأندلس، والإشكالية هنا تتعلق بروائتين أساسيتين ؛ فالرواية الأولى ترجعها إلى الجماعة الأندلسية بالاشتراك مع القبائل المحلية الإزداجية المستقرة في المنطقة والثانية ترجعها إلى عوامل داخلية متعلقة بكبرى القبائل الزناتية في المنطقة ألا وهي مغراوة، ودور زعيمها خزر بن حفص في تأسيس المدينة؟.

وسنحلل المعلومات المتعلقة بكل رواية مع إبراز الظروف التي كانت محيطة بالأطراف الفاعلة في عملية التأسيس ؛ أو بمعنى آخر استقرار الحادثة التاريخية المتعلقة بالتأسيس في قالب الظرفية الزمنية، والمكانية على المستوى القبلي المحلي و على المستوى السياسي الأموي الأندلسي

أ. الرواية الأولى و ظروف التأسيس:

ويذكر الرواية الأولى مصدران هما البكري ، و صاحب الاستبصار ق (12/6) حيث يورد : "...مدينة وهران هي مدينة على ضفة البحر بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى باتفاق منهم مع قبائل البربر المجاورين لها فسكنوها قبائل مع البربر يقال لهم بنو مسكين "مسقن"...¹، وأما البكري ق (11/5)، فيعطي معلومات عن الجماعة الأندلسية بقوله : "...وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مسقن، وهم من إزداجة وكانوا أصحاب القرشي سنة تسعين ومائتين..."² والملاحظ أن الاتجاهان يرجعان النشأة إلى جماعة من الأندلسيين باتفاق مع بني مسقن و نفزة، لكن السؤال المطروح هنا هو هوية محمد بن عبدون ومحمد بن أبي عون ، هل هما أندلسيان أم بربريان؟ فالبكري لم يجمعهما مع الأندلسيين، وهذا يوحي بأنهما غير أندلسيين، أم أنهما يمثلان الخاصة، وذكرنا منفردين بهدف إبراز مكانتهما السياسية أو غيرها؟

¹ - كاتب مجهول؛ المصدر السابق، ص 133.

² - البكري؛ المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، يطلب من مكتبة المثنى ببغداد ص 70.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

وقد أجاب ابن خلدون عن هذا التساؤل حيث أورد: "...نزل مرسى وهران من رجال الدولة الأموية محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون، فدخلوا بني مسكن، وملكوا وهران سبع سنين (07 سنين)، مقيمين فيها للدعوة الأموية...."¹، وهنا يتضح أن محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون هما من رجال الدولة الأموية بمعنى أن الدافع السياسي كان وراء نشأة مدينة وهران. لكن هل كانت الظروف السياسية الأموية في الأندلس تسمح بإنشاء مدن جديدة في العدو المغربية؟ وبالرجوع إلى الأوضاع السياسية الأندلسية في تلك الفترة، والتي تميزت بالاضطراب وانتشار الفتن والتمردات في حكم عبد الله بن محمد (275/ 300) حيث اضطرت نواحي الأندلس بالثوار، حتى أنه قل الخراج لامتناع أهل النواحي من الأداء"². فهل يمكن في ظل هذه الظروف السياسية المضطربة، وتدهور الأوضاع المالية بسبب قلة الجباية أن تؤسس مدن جديدة تتطلب الدعم المالي إضافة إلى الدعم السياسي؟.

وقد أشارت بعض الدراسات على أن الأمراء الأمويين، ومن بينهم عبد الله قد نجحوا في تحمل نفقات تجنيد الجيوش، وسوق الحملات العسكرية لإخماد الثورات الداخلية، وكذلك للجهاد ضد الدول النصرانية في الشمال بصورة مستمرة يرجع لمقدرة القاعدة الاقتصادية التي يستندون إليها، من حركة الإنتاج، والتبادل التجاري مع الدول المجاورة³. وإذا علمنا أن الأمراء يجمعون في العادة الشبان لتجنيد الجيوش، فهذا ينقص، ويخل بالإنتاج الفلاحي⁴، والصناعي، ومن ثمة يبرز دور التبادل التجاري كحل لتموين المناطق المضطربة في الأندلس خاصة عاصمة الإمارة "قرطبة".

ومن خلال الكتابات التاريخية الوصفية للمدينة، يبرز الدافع الاقتصادي، حيث أورد الجغرافي الشيعي ابن حوقل (كان حيا سنة 977/367) أن وهران: "فرضة الأندلس، إليها ترد السلاح ومنها يحملون الغلال..."⁵. فاعتبار وهران فرضة للأندلس مع نشاط تجارتها يجعل من الدافع

1- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ص 191.

2- ابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج 4. ص 170، حيث تولى عبد الله بن محمد بن الحكم سنة خمس وسبعين ومائتين (888/275) وتوفي في شهر ربيع الأول آخر المائة الثالثة لست وعشرين سنة من الإمارة أي (913 / 301)، المصدر نفسه، نفس الجزء، ص. ص 170-176.

3- شاكر مصطفى؛ الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الأوقاف، دمشق. ص/ص 38/ 89.

4- حسين مؤنس؛ المرجع السابق، ج 1. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، سنة 1416هـ/1996م. ص 228.

5- ابن حوقل النصيبي؛ صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة 1992. ص 07.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

التجاري سبب وجيه لتأسيس المدينة، خاصة أن وهران عرفت كميناء نشط في التبادل التجاري بين العدوتين، فقد كان ضمن شبكة تجارية ازدهر فيها التبادل التجاري، وأدت إلى ثراء التجار والمدن التي كانت ضمن هذه الشبكة. وقد كانت وهران مرفأً للرستمين، والذين كانت لهم علاقات اقتصادية وسياسية قوية مع أمويي الأندلس¹، وحسب الباحث عبد العزيز فيلاي فقد وقع تحالف بين الرستمين الخوارج في المغرب الأوسط والأمويين في الأندلس للوقوف في مواجهة أخطار الاغلبة و الادارسة². و بالتالي فتأسيس الأندلسيين لمدن على العدو المغربية جاء لربطها بحلفائها الرستمين من جهة و لقطع الطريق أمام الهيمنة الادريسية على مرفأئ المغرب الأوسط واحتكارهم لتجارتهما من جهة أخرى .

لذا فإن الثراء وتوفر المال لدى التجار الأندلسيين، والذين استفادوا من الخطوط الملاحية المغربية الأندلسية، كان سببا قويا في دعمهم المادي لإنشاء مدن قريبة من الساحل لتحقيق الاستقرار وحماية مصالحهم التجارية والمالية المترتبة عن هذا النشاط التجاري التمدني³. فجاء تأسيسهم لعدة مدن مغربية ساحلية ضمانا لدوام هذا النشاط على المدى البعيد⁴. خاصة أن العدو المغربية كانت تفتقر إلى المدن القريبة من الساحل في ظل كثرة المراسي، ونشير هنا إلى ما أورده ابن حوقل (كان حيا سنة 977/367) ومنها (مدينة تنس) إلى وهران مراس لا مدن لها مشهورة كمرسى عطا وليس به أحد يسكنه وقصر فلوس...⁵، وابن حوقل جاء في فترة متأخرة عن تأسيس مدينتي وهران وتنس⁶، واللذان لم تكونا كذلك سوى مرسيان فقط. ومن هنا تتضح

1- الحبيب الجناحي؛ المجتمع العربي الإسلامي، عالم المعرفة، صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني، سنة (1423-1990)، الكويت، ص 136.

2- وقد كانت الأحقاد العلوية الأموية قديمة، يرجع إلى العداء إلى عهد الخليفة علي بن أبي طالب (4035/655-660) ومعاوية بن أبي سفيان. عبد العزيز فيلاي؛ العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، سنة 1982، ص96.

3- وقد أكد الفكر الإسلامي على أن "الملك بالجد، والجند بالمال، والمال بالعمارة"، ومن هنا تتضح العلاقة المتداخلة بين العمارة، وتحصيل المال و حفظه. محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، ص23.

4- هذا يذكرنا بما قام به الفينيقيون بتأسيس مدن على السواحل المتوسطية لضمان تجارتهم، ومن ثمة احتكار هذا النشاط خاصة على المستوى البحري "المتوسطي".

5- ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 78.

6- أسست تنس من طرف بحارة أندلسيين سنة اثنين وستين ومائتين (875/262)، البكري، المصدر السابق، ص 61.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

حاجة الأندلسيين إلى تأسيس مدن مغربية ترعى المراسي التجارية القريبة منها ، وذلك لوضع شبكة تجارية أندلسية قارة ونشطة .

ب. الرواية الثانية

فهي تختلف في شأن هوية منشئ المدينة، وترجعه إلى زعيم القبيلة الزناتية القوية مغراوة، وهو خزر بن حفص بن صولات، وفي ذلك جاء: "...بأن بناءها كان سنة تسعين أو إحدى وتسعين (ومائتين)، وخزر هذا كان عاملا بالمغرب الأوسط لبني أمية، فمدن مغراوة وهران، وتبحرت في العمران".¹

ومن ذلك جاء البيت الشعري: (البيت في صدره من البحر الطويل أما العجز يفتقر إلى الوزن)

وملكهم في غاية العز والشمس آخر ثالث اختطها خزرهم²

وفي دليل الحيران لابن يوسف الزياني ذكرت النشأة ب: "...اعلم أن أول من اختط وهران أي بناها أسسها ومدنها هو المغراوي خزر بن حفص بن صولات بن وزمار بن صقلاب، وذلك عام اثنين وتسعين، وقيل إحدى وتسعين وقيل تسعين من القرن الثالث للهجرة³ (290 أو 902/291 أو 903)، ويبدو أن هذه المعلومة بها خلط ما بين خزر الأول والثاني. وذلك لعدم توافق حكم خزر بن حفص مع تاريخ تأسيس المدينة، فابن خلدون يورد: "لما هلك خزر"⁴، قام بملكه ابنه محمد وخلص إلى المغرب إدريس الأكبر بن عبد الله بن حسن بن الحسن سنة سبعين ومائة..... ثم نهض إلى المغرب الأوسط سنة أربع وسبعين ومائة فتلقيه محمد بن خزر هذا وألقى له المقادة وبايع له قومه...⁵، أما خزر المقصود الذي يوافق تاريخ حكمه لمغراوة مع تاريخ

1- محمد بن أحمد أبو راس الناصري؛ عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم تحقيق، محمد غالم، ج 1، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية صدر من منشورات، ORASC، ص 25.

2- عبد الرحمان التوجيني؛ عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس، عدد الأوراق 155، المخطوط رقم 3323، المكتب الوطنية الجزائرية "الحامة" مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة، ص 14.

3- محمد بن يوسف الزياني؛ المرجع السابق. ص 04.

4- يذكر ابن خلدون الحكم في مغراوة: "...لما هلك صولات قام بأمره في مغراوة وسائر زناتة من بعده، ابنه حفص وكان من أعظم ملوكهم، ثم لما هلك قام بأمره ابنه خزر ". عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 34.

5- عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر نفسه، نفس الصفحة.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

تأسيس المدينة فالمرجح هو خزر بن محمد بن خزر، ووردت إشارة في هذا التسلسل من الحكم عند ابن الخطيب بقوله عند استعراضه للحكم في مغراوة: " حفص بن خزر المغراوي هو جد ملوك مغراوة كلهم، ولم تنزل ولده يتوارثون الملك من بعده إلى أن ولي منهم خزر بن محمد بن خزر فملك جميع بلاد زناتة وملك تلمسان وتاهرت وجميع بلاد القبلة، وكانت بينه وبين ملوك الشيعة، حروب عظيمة...¹ "ومما سبق فإن سبب تأسيسها حسب هذه الرواية فهو سياسي وفي ذلك جاء أيضا شيدها مغراوة بإذن موالهم الأمويين أمراء الأندلس²، ويذكر محمد بن يوسف الزياتي: بنوها مغراوة لكونهم موالى لبني أمية، وهم الذين أذنوا لهم في بنائها لما كانوا عمالا عليهم، بهذه العدة³. ومن المعروف أن العلاقة بين مغراوة والأمويين هي علاقة متينة ووطيدة ترجع إلى قصة الإسلام المبكر للزعيم المغراوي وزمار على يد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويورد ابن خلدون فيها يخص هذه العلاقة: "...فاختص صولات هذا وسائر الأحياء من مغراوة بولاء عثمان، وأهل بيته من بني أمية، كانوا خاصة لهم دون قریش، وظاهروا دعوة المروانية، بالأندلس رعيًا لهذا الولاء..⁴ "

لكن السؤال المطروح هل يمكن لمغراوة أن تؤسس مدينة ساحلية وهي تعتبر من القبائل الداخلية التي تتجنب القرب من الساحل؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون مد نفوذ دون سيطرة فعلية، وتواجد حقيقي في المدينة؟ كما أن السؤال الآخر المطروح هل ظروف الأندلس في فترة تأسيس المدينة كانت تسمح بصدور قرار سياسي يتضمن إنشاء مدن جديدة؟ فحسب الروايتين فإن التوافق الموجود بينهما جاء في: التقارب الزمني لتأسيس المدينة، أما الاختلاف فهو يظهر في هوية منشئ المدينة، لذا فمرجح أن تكون الرواية التي أوردها ابن خلدون هي الأقرب للأسباب التالية:

1- لسان الدين بن الخطيب؛ تاريخ المغرب العربي (في العصر الوسيط)، القسم الثالث من كتاب أعمال الإعلام، تحقيق وتعليق، أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع، دار الكتاب، الدار البيضاء، سنة 1964، ص 153.

2- محمد أبو راس الناصري؛ شرح الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، الناسخ، الخرشاوي، تاريخ النسخ 14 أوت 1886، عدد الأوراق 132 ورقة، رقم المخطوط 3182، المكتبة الوطنية الجزائرية - الحامة، دائرة الحفظ والمخطوطات، ص 25.

3- محمد بن يوسف الزياتي؛ المرجع السابق، ص 04.

4- عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 7، ص 134.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

- أنها الرواية التي قدمتها المصادر الأقدم ، وقدمت لنا بعض المعلومات عن التأسيس.
- أن تسلسل الأحداث السياسية والقبلية التي ستعرفها المدينة بعد تاريخ التأسيس تتماشى مع معلومات الرواية الأولى.
- أن تأسيس مدينة وهران كمدينة قريبة من الساحل جاء ضمن إستراتيجية أندلسية¹ وكان للدافع الاقتصادي دور مهم في ذلك، خاصة في الاعتماد على التاجر الأندلسي المقيم، وأحسن وسيلة لتحقيق ذلك هو إنشاء المدن التجارية المستقرة و الدائمة و المحمية.
- كما أن هيمنة مغراوة على المرائى و المدن القريبة من الساحل كان في فترة الصراع الأموي الشيعي² على المغرب وعلى إمكانياته المختلفة .

3/1/2. طبيعة الاتفاق الحاصل بين الجماعات المؤسسة للمدينة:

يرجع تأسيس مدينة وهران إلى الاتفاق الحاصل بين الجماعات المؤسسة لها، فالجماعة البربرية المستقرة تعاونت مع الجماعة الأندلسية الوافدة ، والتي كانت تنتجع المرسى. وهذا ما يطرح عدة أسئلة حول حقيقة الانتجاع الأندلسي في المراسي المغربية؟ وطبيعة الاتفاق الحاصل بين الجماعتين البربرية و الأندلسية في تأسيس المدينة؟ أي أساس قدمت الأرض البربرية لتكون المجال الحضري للأندلسيين؟ هل بالبيع؟ أو منحت للأندلسيين؟ أو أن الاتفاق كان بشكل آخر يتعدى الاحتمالين إلى احتمال ثالث متعلق بتبادل المنفعة بين الجماعتين، وتكلف كل جماعة بمهام خاصة بها انطلاقاً من المعطيات السياسية و الدفاعية و الاقتصادية الخاصة بكل طرف ؟

أ- موضع المجال الحضري الأندلسي وتحمل الجماعة الأندلسية تكاليف البناء ؟ :

1- يرجع فتحي زغروت ظروف نشأة وهران لظروف مشاهة لتأسيس تنس، من طرف جماعة من الأندلسيين، العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي (300-350)هـ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، سنة 1427-2006، ص 223.

2- تنطرق إلى ذلك في عناصر هذا الفصل .

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

وللبحث عن إجابات عن تساؤلاتنا المطروحة ،وتبني أحد الاحتمالات الواردة ،نستعرض ظروف تأسيس مدينة قريية زمنيا وجغرافيا من مدينة وهران ،ونقصد هنا مدينة تنس التي يرجع تأسيسها إلى اتفاق حاصل بين الجماعات الأندلسية والبربرية ،ولكن الاختلاف هنا يكمن في الجماعة المستقرة (الأندلسيين) و الجماعة الوافدة (البربر) .ويذكر البكري أن الاتفاق كان مبني على تبادل المنفعة بين الجماعتين¹ ،مما يجعل الظرف العام لحركة التمدين الأندلسي / البربري للمناطق الساحلية المغربية تميز بنوع من التسامح والعون إلى جانب تبادل المنافع خاصة أن الأندلسيين كانوا ينتجعون عدة مراسي على العدو المغربية منها مرسى وهران .ولم توضح المصادر أي مرسى لوهران مقصود من الانتجاع ، هل هو مرسى المدينة أو المرسى الكبير؟ونرجح أنه المرسى الكبير².

ويظهر أن الأندلسيين كانوا أصحاب عدة مراسي في المغرب الأوسط بالخصوص ،وذلك بسبب حسن العلاقة بين الرستميين و الدولة الأموية في الأندلس ،وقد شكلت عدة موانئ على غرار وهران وتنس ومستغانم وشرشال منافذ اتصال هامة بين الدولتين³ ،وعلى ما يبدو أن الكثير من الأندلسيين انتجعوا هذه الموانئ بالمغرب الأوسط بهدف التجارة بين العدوتين ،ونرجح أنهم كان يحق لهم عمارة المكان⁴ . وهذا ما جعل بعض المراسي تعمر على شكل قلعة محصنة خاصة بهم

1- جاء عند البكري ،"وكان هؤلاء البحريون من أهل الأندلس يشتون هناك إذا سافروا من الأندلس في مرسى على ساحل البحر ،فجمع إليهم بربر ذلك القطر ،ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس ،و سألوهم أن يتخذوها سوقا ،و يجعلوها سكنى ،ووعدهم بالعون و الرفق و حسن المجاورة و العشرة ،فأجابوهم إلى ذلك ...".المصدر السابق ،ص61.

2-نستعرض هذا الرأي في الفصل الرابع في عنصر خصوصية المدينة من خصوصية مرساها حيث نبرز أهمية المرسى الكبير في حركة الملاحة المتوسطية.

3-وقد جاء أن أهمية هذه الموانئ ترجع لشكل الميناء حيث يغلب عليها ظاهرة الخلجان على هيئة أنصاف دوائر .كما تمتاز بتركيبها الصخرية الصلبة .محمد عيسى الحريري ،الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي ،حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب و الأندلس (296/160)،دار القلم للنشر و التوزيع ،الكويت ،سنة 1987.ص13.

4- ذكر الفرستائي أن " لأصحاب المراسي اذا ثبت لهم من الحرم مثل ما يكون لأصحاب البحر ،ويمنعون من أراد عمارة مرساهم ،...،ويمنع صاحب الآجام (الحصن) أيضا من أراد أن ينصب آجامه ..". القسمة و أصول الأرضين كتاب في فقه العمارة الإسلامية ،تحقيق و تعليق و تقديم ،بكير بن محمد الشيخ بلحاج ،محمد بن صالح ناصر،جمعية التراث القرارة(غرداية)،سنة 1418هـ1997م. ص ،ص 538 ، 539.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

ولا تلبث طويلا حتى تصبح مدينة بعد مشاركة القبائل المحلية في تعميرها، مثل ما حدث في نموذج مدينة تنس.

ولكن نموذج مدينة وهران جاء مخالف لمدينة تنس، وذلك بانتقال الجماعة الأندلسية من مرساها إلى موضع الجماعة البربرية الازداجية ليتم بناء المدينة على منحدر جبل مرجاجو. ويظهر أن الجماعات البربرية في وهران قدمت الأرض كعطية أو هبة¹ للأندلسيين، وهؤلاء تكفلوا بمصاريف البناء و التشييد لاعتبارات عديدة. وعلى ما يبدو أن الأرض المعطاة للأندلسيين هي من أملاك بني مسقن لأن ابن خلدون أورد أن الجماعة الأندلسية توجهت في طلبها إلى بني مسقن بقوله "نزل مرسى وهران من رجال الدولة الأموية محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون، فدخلوا بني مسقن وملكوا وهران سبع سنين..."². وأورد صاحب الاستبصار كذلك: "مدينة وهران بناها جماعة من الأندلسيين،...، باتفاق منهم مع قبائل البربر المجاورين...، فسكنوها قبائل... يقال لهم بنو مسكين"³ مما يوحي بأن بني مسقن هم ملاك الأرض التي منحت للأندلسيين، ويبدو أن هذه الأرض كانت من حريم الوادي (واد الرحي) الذي استقرت قربه بني مسقن لأن بعض العلماء جعلوا "حريم الوادي إذا كان فجلا جرايا أن تضم إليه شعوبه و تلاحه، وما اندفع إليه من حزون الأرض و ارتفاعه..."⁴. ولكن لا نعلم إن كانت أرض مشاعة لجميعهم أم أنها ملكية فردية لخواصهم؟.

وإذا كانت الأرض التي شكلت المجال الحضري للأندلسيين قد منحت على شكل هبة، فإن الأندلسيين على الأرجح قد تحملوا تكاليف بناء منشآت المدينة، وذلك لاعتبارات أخلاقية في إظهار الامتنان عن العطية و حسن الجوار و العون للجماعة البربرية. وأخرى سياسية لأن الأندلسيين مثلوا السلطة السياسية الأموية في الأندلس، وكان من واجبهم القيام ببناء مختلف المنشآت التمدنية ذات الطابع السياسي و الدفاعي، و هناك اعتبارات اقتصادية ممثلة في توفر المال

1- "إن الهبة والصدقة والهدية و النحلة و العطية معانيها متقاربة، وكلها تمليك في الحياة بغير عوض، و العطية اسم شامل لهم جميعا". جميل عبد القادر أكبر، المرجع السابق، ص292.

2- عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص191.

3- مؤلف مجهول؛ المصدر السابق، ص133.

4- الفرستائي؛ المصدر السابق، ص537.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

لدى كبار التجار الأندلسيين ،والذين على ما يبدو كانوا يبحثون عن أماكن محصنة ،و دائمة لحفظ السلع و تسهيل التجارة بين العدوتين. وتأسيس مدينة وهران جاء لتحقيق هذه الأهداف.

ب. الجماعة الازداجية قاعدة بشرية تمديدية ودفاعية:

كما أن التعاون والاتفاق بين الجماعة الأندلسية و القبائل الازداجية المحلية ، جاء أيضا لضرورة حماية المدينة من الأخطار. فابن خلدون يرى أن من شروط قيام المدن الساحلية لا بد من مراعاة أمنها ،فيذكر: "...أن ما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الأمم موفرة العدد تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العدو، والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر، ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصبية، ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات، وسهل طروقها في الأساطيل

البحرية..."¹ وإذا أسقطنا ذلك على مدينة وهران فهي محصنة طبيعيا بالجبل من الناحية الغربية الذي يطل على البحر -جبل مرجاجو-، أما من الناحية الجنوبية والشرقية أي من ناحية البر فقد استعان الأندلسيون بالقبائل المحلية بنفزة وبني مسقن لإكمال التحصين لذلك نجدهم لم يكتفوا بالتحالف الجوّاري مع هذه القبائل بل تعدوه إلى إشراكهم في عملية التأسيس، وتعمير المدينة، كأنهم أرادوا تحصين المدينة من الداخل بالعنصر البشري القادر على الدفاع عن مدينته في أي وقت استوجب ذلك.

وما يمكن التأكيد عليه أن ذلك الاتفاق الحاصل بين القبائل الازداجية و الأندلسيين كان بمثابة عقد تأسيس للمدينة ،والذي لم يقتصر على التحالف الواقع بين الجماعات المؤسسة السابقة الذكر بل تعداه إلى محاولة كسب رضا ومؤازرة الظهير الازداجي المحيط بالمدينة والمتحكم في المسلك المؤدي إليها ، كما أنه شكل صريخ المدينة في حالة تعرضها للأخطار.

وهذه القبائل نفزة وبني مسقن كانوا مستقرون في المنطقة الوهرانية الشمالية²، لذلك فمن المرجح أنهم قبلوا عرض التجار الأندلسيين في إنشاء المدينة، لتبادل المنفعة فيما بينهم، لكن إشراكهم في إنشاء المدينة وتعميرها سيكون له الأثر السلبي في المستقبل القريب، فبدل من زيادة

1- عبد الرحمان بن خلدون؛ المصدر السابق ، ص 281.

2- عبد الرحمان ابن خلدون ؛ المصدر السابق ، ج 6 . ص 191.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

هيبة المدينة وحمايتها سيؤدي وبعد سبع سنوات 07 سنوات فقط من التأسيس إلى دمارها وخرابها. وفي ذلك يقول صاحب الاستبصار: "...فسكنوها مع القبائل من البربر... نحو سبع أعوام، ثم أنه زحف إليهم قبائل كثيرة من البربر يطلبون ثأرا بينهم وبين بني مسكين "مسقن" فأبى من كان فيها من الأندلسيين، وكان عندهم جماعة منهم فنصبوا عليهم الحرب، فلما ضيقوا عليهم هربوا بني مسكين "مسقن" في الليل وتغلب البربر المحاصرون لها، وأخرجوا من كان فيها وأضرموا نارا، فخربت وهران عند ذلك"¹. وهذا أول تخريب للمدينة في ظرف زمني قصير بعد تأسيسها. كما تم ضمان مولاة كبار القبائل الزناتية، ونقصد بذلك قبيلة مغراوة. وبهذه الرؤية الثاقبة والواعية استطاعت الجماعات المؤسسة تهيئت مجال قبلي يمتد في عمق الفضاء المغربي، وذلك ضمانا لحماية المدينة واستمرارية لنشاطها التجاري المغربي / المتوسطي .

2/3. الأحداث السياسية والقبلية التي أثرت على المدينة:

1/2/3. تأثير الصراع الأموي / الشيعي على المدينة (القاعدة):

أ. اضطراب المدينة بسبب الصراع:

يذكر البكري قصة خراب مدينة وهران بعد مرور سبع سنوات من بنائها ويقول في ذلك: "... فاستوطنوها سبعة أعوام وفي سنة سبع وتسعين ومايتين (909/297) زحف قبائل كثيرة إلى وهران يطلبون أهلها بإسلام بني مسقن إليهم لدماء كانت بينهم، فأبى أهل وهران من إسلامهم إليهم، فنصبوا عليهم الحرب وحاصروهم... وخربت وهران وأضرمت نارا وذلك في ذي الحجة من هذه السنة..² وإن كان السبب غير واضح في الخلاف بين هذه القبائل عند البكري، فإنه عند ابن خلدون يرجع خراب المدينة إلى الإيعاز الشيعي للقبائل الموالية لها بتدمير وهران، والأرجح لكونها قاعدة أموية في الساحل المغربي، ويورد ابن خلدون: "... فلما ظهرت دعوة الشيعة وملك عبيد الله المهدي تاهرت

1- كاتب مجهول؛ المصدر السابق، ص، ص 134، 135، ذكرت الرواية كذلك عند البكري، المصدر السابق، ص 70.

2- البكري؛ نفس المصدر، ص 70.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

وولى عليها دواس بن صولات اللهيصي من كتامة¹، وأخذت البرابرة بدعوتهم أوعز دواس بحصار وهران، فرجعوا عليها سنة سبع وتسعين وأدخلوا بني مسكن في ذلك فأجابوهم، وفر محمد بن أبي عون، فلحق بدواس بن صولات واستبيحت وهران وأضرمت نارا²، والسؤال المطروح هنا حول ماهية القبائل التي قامت بحصار المدينة والتي من الواضح أنها عقدت ولائها للشيعة، وقد وردت إشارة مهمة عن ولاء مغراوي خزري لأبو عبد الله الداعي عند مروره بالمغرب الأوسط في طريقه إلى سجلماسة، ويوردها القاضي النعمان فيذكر: "... وخرج (أبو عبد الله في عامة عسكره) إلى سجلماسة في شهر رمضان سنة ست وتسعين

ومائتين (908/296) ... واهتز أهل المغرب لخروجه، وارتفعت القبائل وزالت عن طريقه، وخافت زنانة أن يقع بها لما كان تواعدها به لقتل من قتلوه من رجاله، فأتاه محمد بن خزر، وهو يومئذ أمير زنانة كلها وقبائل البربر بأسرها، فوفاه بطبنة يسأله الأمان متطارحا عليه وملقيا نحوه بيديه، فأمنه وقومه، وأخذ عليه العهد...³ فهل مغراوة وبقية القبائل الزناتية الأخرى هي التي قامت بحصار المدينة وتخريبها في فترة الولاء الشيعي، قبل الرجوع عن هذا الولاء والانقلاب ضدهم⁴. أم أن مسألة حرق المدينة جاءت ضمن الأعمال التي قام بها أبو عبد الله الشيعي بعد تجوله في بلاد البربر سنة (910/298)، وفي ذلك جاء: "... وفي سنة 910/298، تجول أبو عبد الله الشيعي في بلاد البربر، وحارب صدينة، وزناته وقتل الرجال وأخذ الأموال، وسبي الذرية، وأحرق بعض المدن بالنار..."⁵.

ويتضح من مسألة حرق وخراب المدينة أن وراء ذلك فعل شيعي سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حتى أن "أهل وهران (عادوا) إليها في السنة بعدها سنة ثمان وتسعين ومائتين بأمر أبي حميد

1- جاء عند ابن عداري المراكشي أن من ولي (أبا حميد) دواس بن صولات اللهيصي هو أبو عبد الله في مسيره إلى سجلماسة لاجرا أبو عبيد الله الشيعي والعودة به إلى إفريقية. ابن عداري المراكشي، المصدر السابق، ج1. ص 153.

2- عبد الرحمن بن خلدون؛ المصدر السابق، ج6. ص 191.

3- القاضي النعمان بن محمد؛ رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق، وداد القاضي، دار الثقافة سنة 1970، ص236.

4- يذكر ابن عداري المراكشي: "... وفيها (سنة 909/297) خالف محمد بن خزر (على أبو عبيد الله الشيعي) وأقبل على مدينة تيهرت وطمع في اخراج دواس بن صولات منها، وأن يقطع بأبي عبد الله ومن معه في انصرافهم من سجلماسة"، المصدر السابق، ج1. ص 155.

5- ابن عداري المراكشي؛ بالمصدر نفسه، ج1، ص 162.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

دواس بن صولات عامل تاهرت و ابتدوا ببنائها في شعبان من هذه السنة فعادت أحسن مما كانت وولي عليهم ابن صولات اللهيصي محمد بن أبي عون¹.

ويبدو أن مدينة وهران بقت تحت النفوذ الشيعي مدة، خاصة بعد الحملات الشيعية لإخضاع زناتة ومدن المغرب الأوسط والأقصى، والتي قادها مصالة بن حبوس الصنهاجي². لكن هذا الولاء لم يدم طويلا، فبعد أن تولى عبد الرحمن الناصر حكم الأندلس³ سما أمله في ملك عدوة

البربر.. فملك سبته .. واستدعى أمراء البربر بالعدوة... وتقبل في ذلك محمد بن خزر أمير مغراوة وموسى بن أبي العافية أمير مكناسة، وهو يومئذ صاحب المغرب بعد أن ملك قواعد المغرب الأوسط، وهي تنس ووهران وشرشال والبطحاء، وأهدوا إلى الناصر، فقبل وكافأهم وأحكم ولايتهم⁴، ويضيف ابن خلدون في موضع آخر أنه: "... عند زحف ابن أبي العافية إلى المغرب الأوسط بدعوة المروانية، وكان ممن أخذ بها محمد بن أبي عون صاحب وهران⁵، مما يوحي أن موسى بن أبي العافية مد نفوذه إلى مدينة وهران مع الاحتفاظ بعاملها (محمد بن أبي عون) مادام ولائه للأمويين.

وفي سنة ثلاث وعشرين و ثلاثمائة (934/323) دخل القائد ميسور الشيعي مدينة فاس⁶ فاس⁵ ويبدو أن محمد بن عون لجأ إلى محاولة كسب رضا الشيعة من جديد، وعرض ولائه وطاعته لهم وفي ذلك يقول ابن خلدون: "... وأتاه محمد بن عون (ميسور) بطاعته فقبلها وأقره

1- البكري؛ المصدر السابق، ص 70. وردت هذه الرواية كذلك عند عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 191.

2- للتوسع أكثر يمكن الرجوع إلى أبو زكريا بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد لواد تقدم وتحقيق وتعليق، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ص 166.

3- عبد الرحمن بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 4، ص 181. يذكر ابن خلدون في موضع آخر أن الناصر خاطب ملوك الادارسة و زناتة، فبعث إليهم خالسته محمد بن عبيد الله بن أبي عيسى سنة ستة عشر وثلاثمائة، فبادر محمد بن خزر إلى إجابته و طرد أولياء الشيعة من الزاب، وملك شلب وتنس من أيديهم، وملك وهران وولى عليها ابنه الخير (المنير في نسخة أخرى)، المصدر نفسه، ج 7، ص 35.

4- ابن خلدون؛ المصدر نفسه، ج 6، ص 191.

5- علي بن أبي زرع الفاسي؛ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس؛ دار المنصور للطباعة والورقة - الرباط - سنة 1973، ص 99.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

على عمله، ثم نكث محمد بن عون عند منصرف ميسور من المغرب وراجع طاعته للمروانية¹، حيث نجده قد قدم بنفسه مع وجوه أهل بلده وهران سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة (952/341) إلى قرطبة لمقابلة عبد الرحمان الناصر². وفي هذه السنة استطاع عبد الرحمان الناصر أن يملك إلى جانب مدينة وهران كل من مدينة تلمسان و مدينة تاهرت³.

ويرى البكري أن المدينة لم تزل في عمارة وكمال وزيادة وحسن حال إلى أن وقع يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بإزداجة بجبل قيذر (جبل هيدور)، وفرق جماعتهم، وكانت الوقعة بينهم يوم السبت للنصف من جمادى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة (954/343)، فدخل يعلى مدينة وهران وملكها⁴، وهذا بإيعاز من الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر وفي ذلك جاء: "... وكان الناصر عقد ليعلى بن أبي محمد اليفرني على المغرب فخاطبه بمراوغة محمد بن أبي عون وقبائل ازداجة في الطاعة للعداوة بين القبيلتين بالمجاورة، وزحف إلى ازداجة فحصرهم بجبل كيدرة، ثم تغلب عليهم واستأصلهم، وفرق جماعتهم⁵، ثم زحف إلى وهران ونازلها، ثم افتتحها عنوة وأضرمها نارا⁶". وبعد هذه الأحداث لم يعد ذكر لمحمد بن أبي عون ؟ والذي حكم وهران بصفة قاضي معين من قاضي الجماعة في قرطبة⁷.

ب . الانتماء المذهبي للأندلسيين (محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون):

- 1- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص 191.
- 2 ذكر محمد بن أبي عون باسم احمد بن أبي عون وانه من أهل وهران وقاضيها . ابن الأبار؛ كتاب التكملة لكتاب الصلة عني بطبعه وتعليق حواشيه ، الشيخان الفريد بال ، وابن أبي شنب ، طبع بالمطبعة الشرقية للأخوين فونتانا ، ص155.
- 3 مؤلف مجهول ؛ تاريخ الأندلس ، تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق عبد القادر بويابة، دار الكتب العلمية، ص209.
- 4- البكري؛ المصدر السابق، ص، ص 70، 71، وردت سنة فتح وهران على يد يعلا بن محمد اليفرني وحرقتها سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة (342هـ/953م)، احمد الشقراني، القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق و تقديم ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، بيروت (لبنان)، سنة 1991. ص 52. وردت في سنة 341هـ عند مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص 09.
- 5- حيث: "... لحقت أكثر ازداجة وعجيسة بالأندلس". احمد أبو راس الناصري، المرجع السابق، ص 41.
- 6- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص 191.
- 7- والذي كان يتولى مراقبة أعمال جميع القضاة في مختلف الأقاليم ،و المدن حسين مؤنس ؛ موسوعة تاريخ الأندلس ج1. مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، سنة 1416/1996. ص84.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

ومما سبق يتضح أن محمد ابن أبي عون حكم وهران قرابة 53 سنة استطاع فيها ابن أبي عون حماية المدينة في مرات عديدة، والملاحظ أن ابن عبدون احد مؤسسي المدينة لم تذكره المصادر ولم تشر إلى مهامه في المدينة، وهنا تجدر الإشارة إلى معلومات أوردها ابن خلكان والذي ذكر لقب آخر له، فأرجع تأسيس مدينة وهران إلى "محمد بن عبدوس و محمد بن أبي عون"¹، وفي موضع آخر يورد حادثة منفصلة وقعت سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة (933/322) في بغداد تتحدث عن خروج أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني

(ت933/ 322) بمذهب غالب في التشيع و حلول الإلهية فيه، وقد تبعه إبراهيم بن أحمد²، بن أبي عون³، وأحمد بن محمد بن عبدوس⁴. والملاحظ أنهما يحملان لقب مؤسسي مدينة وهران ؟. فهل ذلك مجرد صدفة ؟ أم أنهما ابني المؤسسي المدينة، خاصة أن هناك دلالات على ذلك من تزامن حياتهما مع حياة والديهما إضافة إلى أن محمد (أو أحمد) بن أبي عون مكث في تاهرت مدة عام من 297هـ إلى 298هـ، ربما تلقى بها تعاليم المذهب الشيعي خاصة أن المهدي عين داعي زناقي في نواحي تيهرت هو منيب بن سليمان المكناسي مع دعاة آخرين كلفوا بإظهار المذهب الشيعي⁵، وهذه الفترة تتزامن مع وجود بن أبي عون في مدينة تاهرت مما يجعلنا نتساؤل حول تشيعه مع محمد بن عبدوس؟

ويبدو أن هذا الاحتمال وارد لأن "ابن أبي عون" أعيد توليته على مدينة وهران، وبأمر شيعي. كما أنه تم الاحتفاظ به كوالي على المدينة في كل حملة شيعية أو موالية للشيعية توجهت إلى الغرب لإخضاع القبائل وحتى المدن التي ارتدت على الدعوة الشيعية، وربما ذلك ما يفسر قلق، وعدم اطمئنان عبد الرحمان الناصر من حقيقة مذهبه، وما تأليب يعلى اليفرني عليه لدليل على

1- ابن خلكان؛ وفيات الأعيان، ج4، ص385.

2- ذكر بهذا الاسم عند ابن الأبار، المصدر السابق، ص155.

3- ابن خلكان؛ المصدر السابق، ج2، ص156.

4- ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ، اعتنى به محمد العرب، المكتبة العصرية (صيدا).

5- بوبة مجاني وخميسي ساعد وآخرون؛ من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع قسنطينة، سنة 2007، ص86. وكان الشيعة أرادوا نشر المذهب الشيعي بأسلوب تمدني يضمن الولاء المذهبي و السياسي معا ولأبعد حد ممكن.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

ذلك. ومن المعلوم كذلك أن خروج الطلبة من المغرب الإسلامي إلى المشرق لطلب العلم كان له علاقة تأثير، وتأثر بالتيارات و التوجهات الفكرية و المذهبية في الحواضر الإسلامية المشرقية، فهل ذلك ينطبق على ابني مؤسسي وهران ؟ .

حيث ذكر أن أحدهما من أعيان الكتاب في بغداد¹. وإن صحة هذه الرواية فهذا يفتح المجال للإجابة عن بعض التساؤلات و طرح بعض الإشكاليات الأخرى. ومن الإجابات تصحيح لقب احد مؤسسي المدينة من محمد بن عبدون كما ورد في بعض المصادر إلى محمد بن عبدوس. وهذا اللقب الأخير يعطي احتمال المنطقة الأندلسية التي قدم منها ، حيث نجد ذكر ل: " منى عبدوس "، والتي ذكرت على أنها إحدى متفرجات المرية² والمرية تقابل وهران وقد وجد طريق بحري مباشر بينهما استغل في عملية المبادلات التجارية والسفرية بين العدوتين كما يمكن أن يكون من منطقة أندلسية أخرى³.

ج. النفوذ الأموي في المدينة والحملات الشيعية المتواترة عليها:

وبالرجوع للأحداث السابقة نجد أن مدينة وهران عرفت تخريبا ثانيا، وسببه هذه المرة إيعاز أموي من طرف الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر⁴ (961-912/350.300) وإن كان بطريقة غير مباشرة ؛ ويرى دوزي أن الناصر بذل قصارى جهده لإنقاذ الأندلس من التوسع الشيعي، وجعل المغرب سدا وحائلا بين الفاطميين والأندلسيين⁵، لذلك جاءت ضرورة تخريب المدينة حتى لا تستغل كمنطلق عسكري لغزو الأندلس ، وقد استغل يعلى قضية خراب المدينة

1- ذكر ابن أبي عون بأنه صاحب التصانيف المليحة منها التشبيهات و الأجوبة المسكنة وغير ذلك وكان من أعيان الكتاب وقد صلب و أحرق بالنار مع الشلمغاني سنة 933/322. ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج.2. ص156 و ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج.6. ص291.

2- ابن سعيد المغربي ؛ المغرب في حلى المغرب ، حققه وعلق عليه ، شوقي ضيف ج 2. دار المعارف ، مصر، ص 194.

3- من بين الثورات التي شهدتها الأندلس خروج " سليمان بن عبدوس " بمدينة "سورية" سنة 868/255، وبعد فشله قدم قرطبة وسكنها (ويحتمل أن محمد بن عبدوس له صلة قرابة بسليمان ، وأختير مع بن أبي عون لسبب سياسي). حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ج.1. ص229.

4- وكان الناصر لا يفتأ أن يبصر حلفاءه وقواده في المغرب من الاهتمام بشؤون المراسي وتخليصها من أيدي الفاطميين وحلفائهم". فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 205.

5- دوزي ؛ تاريخ مسلمي اسبانيا ، ج.2. ص24.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

الثاني، وحرقتها في نقل بعض من أهل المدينة لتعمير مدينته الجديدة¹، و قد نقل البكري: "... فدخل يعلى مدينة وهران، وملكها ثم نقل أهلها إلى مدينته المعروفة، وذلك في ذي القعدة من العام المؤرخ² (954/343).

والملاحظ في هذه الفترة التي صاحبت حرق المدينة أنه وقع تحالف بين أكبر القبائل الزناتية في المنطقة مثله من مغراوة الخير بن محمد بن خزر، ومن بني يفرن زعيمها القوي يعلى بن محمد اليفرني، واللذان ناصرا عبد الرحمن الناصر وأبديا عداوتهما للشيعة³، لكن هذا التحالف لم يدم طويلا بسبب مراجعة محمد بن خزر و ابنه الخير طاعة الشيعة. و يرجع ذلك إلى استيلاء يعلى بن محمد اليفرني على أعمال الخزريين، ومنها وهران و التي كانت حسب ابن خلدون مشيختها مع مشيخة تاهرت من نصيب الخزريين و بإجازة من الناصر. ويبدو أن يعلى قد عاد إلى مدينة وهران وأعاد بناءها وانتقل إليها بأهله وحشمه وولده من إفكان⁴، وقد استفحل سلطانه في ناحية المغرب وخطب على منابرها لعبد الرحمن الناصر ما بين تاهرت و طنجة⁵ وفي سنة (958/347) (958/347) دخل جوهر قائد أبي تميم إلى المغرب⁶، فلما فصل جوهر بالجنود بادر أمير زناتة بالمغرب يعلى بن محمد اليفرني إلى لقاءه والإذعان لطاعته و الانخياش إليه ونبذ عهد الأموية، وأعمل إلى لقيه الرحلة من بلده إفكان وأعطاه يد الانقياد وعهد البيعة عن قومه بني يفرن وزناتة،

1- وهي افكان والتي كانت " سوقا قديمة من أسواق زناتة، فمدنها يعلى بن محمد بن صالح اليفرني وكان ابتداء تأسيسه لها سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة..." البكري، المصدر السابق، ص 79.

2- البكري؛ المصدر نفسه، ص 71

3- ظلت زناتة تعادي الشيعة الإسماعيلية في بلاد المغرب وترفض سلطانهم مما دفع بالخلافة الفاطمية إلى إرسال الحملات والجيوش طيلة حكمها لبلاد المغرب، قد أسست قواعد عسكرية لمراقبة قبيلة زناتة وإحكام قبضتها عليها تمثلت في الحمديّة (المسيلة) في 315هـ/ 927 م ومدينة آشير (323هـ/ 935م) بوية مجاني، المرجع السابق، ص، ص 81، 82.

4- أبوراس الناصر؛ المرجع السابق، ص 96.

5- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 7، ص 24.

6- ابن عذاري المراكشي؛ المصدر السابق، ج 1، ص 333.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

فتقبلها جوهر وأضرم الفتك به¹، وقتله في حرب كانت بينهما سنة سبع وأربعين وثلاثمائة² (347/958).

وبعد انصراف جوهر إلى مولاه معد سنة تسع وأربعين وثلاثمائة (349/960) وتدويعه للمغرب حيث أثنى في أهل ولاية المروانية، لكن ذلك لم يثني قبائل زناتة في العودة إلى تجديد العصمة لأولياهم المروانيين وكان أخلصهم آل خزر وزعيمهم محمد بن الخير بن محمد الخزري³ وكان من أكبر ملوك زناتة وأكثرهم جمعا وأشدهم جندا وإخلاصا لبني أمية⁴.

د . النفوذ الشيعي بأيدي صنهاجية على وهران.

وكان الرد الفعل الشيعي أن رمى ثغر المغرب لزيري بن مناد التلكتاقي زعيم بادية صنهاجة ضد محمد بن الخير جملة ومحلة، وسوغه ما فتحة بسيفه من ديارهم⁵ واتخذ زيري أشير مسكن له ولأصحابه وكانت له حروب مع زناتة⁶.

وقد استطاع بلقين بن زيري المكني بأبي الفتوح خليفة زيري أبيه وأكبر ولده في جميع صنهاجة أن يتغلب على محمد بن الخير الذي ذبح نفسه بسيفه، وقتل في هذه الواقعة بضعة عشر أميرا من زناتة، وبعد هذه الواقعة تغلب زيري بن مناد على بوادي البربر⁷، وقد ذكر ابن حوقل: أن أن الغالب على بادية (وهران) البربر من يزداجة، وهم في وقتنا هذا في ضمن يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي خليفة صاحب المغرب⁸ حتى أن زناتة ارتحلت إلى ما وراء ملوية من المغرب

¹ - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج7، ص 25.

² - ابن الخطيب؛ المصدر السابق، ص 164، وللمزيد من المعلومات حول كيفية قتل جوهر الصقلي ليعلى، يمكن الرجوع

لابن خلدون، المصدر السابق، ج7، نفس الصفحة، ومؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص، ص 94، 95.

³ - مؤلف مجهول؛ نفس المصدر، ص 95.

⁴ - ابن الخطيب؛ المصدر السابق، ص 154.

⁵ - مؤلف مجهول؛ المصدر السابق، ص 96.

⁶ - ابن الأثير؛ المصدر السابق، ج8، ص 624.

⁷ - مؤلف مجهول؛ المصدر السابق، ص 96، ورد عند ابن الأثير أن القليل اسمه محمد ابن الحسين بن خزر الزناتي . المصدر

السابق، ج8، ص 624.

⁸ - ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 79.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

الأقصى وصار المغرب الأوسط كله لصنهاجة، لكن زيري تمكنت منه زناتة، و أنفذت رأسه إلى الحكم فعظمت النعمة عليه وأنفذ الأموال والخلع إلى زناتة¹.
والواضح أن الصراع الأموي الشيعي قد استمر في المغرب، تحركه القبائل المحلية والحملات المتواترة للقوتين، ويبدو أن وهران كانت من بين المدن التي لم تعرف استقرار وولاء ثابت لإحدى القوتين. وقد ذكرت وهران كمنطقة استولى عليها أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي² مع تلمسان و هنين و شلف وونشريس وتنس، وفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة (381-991)، خلع أبو البهار دعوة الشيعة، وتقلد دعوة المروانية³، وساعده على ذلك صهره خلوف بن أبي بكر بكر وكان من أكبر قواد منصور بن بلقين بالمغرب⁴. وقد بعث إليه المنصور بن أبي عامر بعهدته ما ما بيده من البلاد، لكن البيعة للأمويين لم تدم سوى شهرين ثم خلعه وعاد إلى العبديين، فغاضه المنصور ذلك وكتب لزيري بن عطية بعهدته على جميع بلاد أبي البهار⁵، بما يعني أن وهران قد عادت للسيطرة المغراوية وبولاء أموي من جديد، لكنه لم يدم كذلك، لتبقى الأحداث السياسية المغربية الأندلسية في مد وجزر ما بين الولاء تارة والخروج عن هذا الولاء تارة أخرى، خاصة أن القبائل المحلية ونخص بالذكر زناتة عرفت في فترة حكم المنصور بن أبي عامر عداوة بين أهم بطونها مغراوة وبني يفرن. حيث كانت بينهما حروب عظيمة بين يدو بن يعلى بن محمد اليفرني وبين زيري بن عطية⁶، انتهت بقتل زيري⁷ ليبدو وبعث رأسه إلى الخلافة بقرطبة سنة ثلاث وثمانين

¹- مؤلف مجهول؛ المصدر السابق، ص 97.

²- أبو البهار بن زيري بن مناد، ابن أخ منصور بن بلقين، نزع من الولاء الشيعي إلى الولاء المرواني، منحه المنصور بن أبي عامر مع زيري بن عطية أعمال المغرب، ومدينة فاس، لكنه خلع الطاعة، وعاد لولاء الشيعة، فدارت بينه وبين زيري حروب ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص، ص 42، 43.

³- ابن الخطيب؛ المصدر السابق، ص 154.

⁴- "وقد خالف أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي ابن أخيه منصور بن بلقين بن زيري طلحت القيروان". كاتب مجهول، مجهول، مفاخر البربر، دراسة و تحقيق، عبد القادر بوبايا، دار اقرأ للطباعة سنة 2001، ص 113.

⁵- علي بن أبي زرع الفاسي؛ المصدر السابق، ص 103.

⁶- ابن الخطيب؛ المصدر السابق، ص، ص 164، 165.

⁷- هو زيري بن عطية بن عبد الرحمان بن خزر، و كان أمير آل خزر في وقته، ووارث ملكهم البدوي وهو الذي مهد الدولة بفاس و المغرب الأقصى و أورثها بنيه إلى عهد لمتونة. ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج7، ص 39. كذلك القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 185

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

وثلاثمائة¹ (993/383)، لكن العلاقة الحسنة بين أبي عامر وعطية بن زيري لم تدم، فقد فسد ما بينهما سنة (997/387)² وبعد القتال بينهما انهزم زيري وراجع المنصور بن أبي عامر بعهدده على المغرب لولده (عبد الملك)³. وفيما بعد أورد ابن أبي عامر واضحا واليا على المغرب⁴. ويبدو أن ابن أبا عامر أصبح يوفد إلى المغرب ولاية أندلسيين ليضع المناطق المغربية تحت النفوذ الأموي المباشر⁵، وهذا ربما يرجع إلى خوف ابن أبي عامر من النظرة الاستقلالية التي أبداهها زيري زيري بن عطية⁶، وعدم ثبات الولاء للأمويين، فكان من الضروري بسط النفوذ المباشر على المغرب، والقضاء على المعارضين واستئصال شوكتهم، ويظهر أن ولاية المغرب، ومنها مدينة وهران ستعود إلى ممثل قبيلة مغراوة معز بن زيري، فبعد وفاة أبيه زيري سنة (1000/391) أقام بنو عمه ابنه معز مكانه⁷، والذي تولى ولاية المغرب ماعدا مدينة سجلماسة⁸، وبقي المعز أمير الغرب إلى أن زالت الدولة العامرية ثم انقرضت الدولة المروانية، ومرج أمر الناس بالأندلس، وفعل أهل المغرب مثل ذلك، فكثرت فيه الشتات وشن الغارات بعضهم على بعض⁹ خاصة بعد وفاة المعز المعز سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة (1030/422) حيث اضطربت أمور المغرب وتولي حمامة بن المعز أمر مغراوة، والذي دخل في حرب مع تميم بن يعلى وقبائل بني يفرن تغلب فيها حمامة على

¹ - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج7، ص 26.

² - وقد "أنفذ إليه ابن أبي عامر واضحا فتاه في جيش كثيف، فدارت بينهما حروب عظيمة، ثم أوقفه ابن أبي عامر بولده عبد الملك". ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 352.

³ - ابن الخطيب؛ المصدر السابق، ص، ص 158، 159.

⁴ - و"عمل واضح على ضبط كور المغرب واستقامت على تديره وانصرف عن المغرب في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة (389/998)". كاتب مجهول، المصدر السابق، ص 124.

⁵ - ابن عذاري المراكشي؛ المصدر السابق، ص 353.

⁶ - يظهر أن زيري بن عطية لم يرض بلقب الوزارة التي منحه إياها ابن أبي عامر، ويظهر ذلك في قوله: "إلا أن يحتسب بضمن بضمن الوزارة التي حظني بها رتبتي..." وقد ظهر لا بن أبي عامر أن لزيري في معنى الاشتقاق و الإنكار والاستبداد عليه أقوال لم ترو السياسة الأعراض عنها". كاتب مجهول، المصدر السابق، ص. ص 112-117.

⁷ - بعد تولي عبد الملك المظفر الأمر وفاة أبيه كتب للمعز بن زيري بن عطية بعهدده على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب مدنه وبواديه وذلك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة (1002/393)، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 108.

⁸ - كانت سجلماسة تحت ولاية وانودين بن خزرون اليفري، وابن عمه زيري بن فلفل.

⁹ - ابن عذاري المراكشي؛ المصدر السابق، ص 354.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

تيمم ، وأقام على ملك المغرب إلى سنة أربعين وأربعمائة (440 / 1048)¹ . ولم تنزل أمور زناتة زناتة تضعف ودولتهم تنقلص حتى ظهر عبد الله بن ياسين القائم بأمر ملتونة² . وإن كانت هذه الأحداث لا تذكر مدينة وهران مباشرة إلا أنها أثرت على استقرار المدينة كونها جزء من المنطقة الجغرافية و القبيلة التي جرت فيها هذه الأحداث ويمكن القول أن فترة القرن 4 و 5 الهجريين 11/10م شهد المغرب كثرة الأحداث السياسية، والوقائع العسكرية بين قوتين متضادتين مذهبيا الشيعة الفاطمية ، والأمويين في الأندلس، و قد كانت نتائجها العدائية على أرض المغرب خاصة في المناطق التي كانت ولايات قبائلها متضادة، لذا فقد اتضح أن وهران كموقع جغرافي ساحلي ومحال قبلي زناطي كانت ضمن المناطق الحساسة بين القوتين، فهي تأثرت كثيرا بالأحداث السياسية والقبلية. والتي أدت إلى دمار المدينة وحرقتها مرتين، وهجرة، و تهجير سكانها وبعض القبائل المحيطة بها في عدة مرات، ورغم ذلك فالمدينة استطاعت الصمود، والتأقلم مع التغيرات السياسية وتهديد القوى القبلية المسيطرة على مجالها التمدني و الريفي، وذلك من خلال تغيير ولائها السياسي كلما استوجب الظرف التاريخي ذلك حفاظا على وجودها و استمراريتها، والغريب في الامر أن المدينة كانت وجهة للجوء السياسي للأندلسيين ومثال ذلك لجوء ابن ذكوان³ ، وغيره إليها بعد نفيهم من قرطبة و إخراجهم من الأندلس لخلاف سياسي في عهد هشام.

2/2/3. استقرار المدينة في العهد المرابطي والموحدي:

أ- العهد المرابطي:

1. الحاق مدينة وهران بالحكم المرابطي:

¹ - وتملك حمادة بن المعز فاس من تيمم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة (431/1039). ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 161.

² - مؤلف مجهول؛ المصدر السابق، ص 132.

³ - هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان، وتسمى بقاضي القضاة، عندما بايع الناس لهشام خلافته الثانية، وقام واضح الصقلي، بأمره وحجابه، والبرابرة مع سليمان المستعين وكان ميل الناس وابن ذكوان إلى السلم وصلاح البرابرة، فيقال أن ابن ذكوان نصح لهشام في واضح فبلغته المناصحة، فسعى على بني ذكوان بعلقة التهمة في الميل إلى البرابرة وأن الناس بيع للشارتهم، فنفذ أمر هشام بإخراجهم عن الأندلس... وخرجوا إلى وهران"، أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، قدم له وضبطه وشرحه، ووضع فهرسه، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، سنة (1426-2006)، ص، ص 101، 102.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

لما انقرضت الدولة الأموية بالأندلس، وافترق أمر الجماعة بها، وصار الملك طوائف استبد أمراء الأطراف وملوك زناتة بالمغرب كل بما في يده، فلما كانت سنة سبع وأربعين وأربعمائة (1055/447). انتشر ذكر عبد الله بن ياسين وأصحابه المرابطين¹، وبدأت آلة الحرب المرابطية عملها من خلال توحيد المغرب الأقصى وبعده اتجهت القوات المرابطية شرقاً². إلى بلاد المغرب الأوسط، فافتتح يوسف بن تاشفين مدينة وجدة، ثم مدينة تلمسان، ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل ونشريس إلى الجزائر. وكان ذلك حسب ابن خلدون سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة³ (473/1080)، ويبدو أن وهران كانت في يد بني الخير من مغراوة⁴، وقد كان ولاية المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا المثلثين، فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط⁵، وبذلك استطاع الصنهاجيون أن يفرضوا نفوذهم في القسم الغربي من بلاد المغرب، ويهزموا أعدائهم الزناتيون الذين لم يتمكن الفاطميون، أو أمراء بني زيري من التغلب عليهم، وألفوا دولة بربرية الأصل⁶.

2. ممثل السلطة المرابطية في مدينة وهران:

لم نجد معلومات كافية حول طريقة حكم المرابطين للحواضر التابعة لهم إلا أن بعض الاشارات تعطي لنا معلومات جزئية يمكن الاستدلال بها لفهم طبيعة الحكم المرابطي لمدن الساحل وغيرها. وتشير المعلومات أن أغلب موظفي البلاط والولايات ينتمون إلى قبيلتي ملتونة و جدالة والذين كانوا من شريحة العسكر، وقد عمل يوسف بن تاشفين على توسيع دائرة التجنيد

¹ - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري؛ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق، جعفر الناصري، ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، سنة 1954، ص 11.

² - محمد بلغيث؛ دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر و التوزيع، سنة 1426هـ 2006، ص 37.

³ - عبد الرحمن بن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص 247. وردت السنة عند ابن أبي زرع الفاسي أربع وسبعين وأربعمائة، المصدر السابق، ص 143.

⁴ - أحمد الشقراني؛ المرجع السابق، ص 53. ويظهر من خلال المصادر أن تلمسان كانت في يد بني الخير في عهد العباس بن بغقي من ولد يعلى بن محمد بن الخير بن محمد خزر المغراوي. أبو العباس الناصري، المرجع السابق، ج2، ص 29.

⁵ - أبو العباس الناصري؛ المرجع السابق، ج2، ص 19.

⁶ - السيد عبد العزيز سالم؛ المغرب الكبير. 2. العصر الإسلامي (تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية للطباعة و النشر سنة 1981م ص 746.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

بإشراك القبائل المغربية المهزومة من زناتة و المصامدة¹، ويبدو أن المرابطين حكموا المناطق التابعة لهم ومنها وهران بقبضة حديدية، وربما ذلك راجع الى أسباب منها: أن المرابطين أرادوا تكوين قوة عسكرية مكتملة العدة والعتاد تكون باستطاعتها حماية أخطار البحر، وتلبية دعاء الجهاد في كل مرة تدعوه اليه العدو الأندلسية²، لذلك اهتموا بتحصين السواحل بإنشاء الأربطة وتعيين ولاية من العسكر للإشراف على هذه الأعمال الحربية من تعمير وتجنيد . ومدينة وهران عرفت وجود أربطة عرفنا منها رباط صلب الكلب والذي ظهر في حادثة مقتل تاشفين المرابطي . كما سنرى . ونتيجة لقوة المرابطين، فإن أيامهم كانت للدعة والرفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن³ خاصة في عهد مؤسس الدولة يوسف بن تاشفين ،والذي اتصف بالعدل⁴. كما أن هناك سبب آخر لحاكم عسكري في أقاليمهم ،وذلك لطبيعة الاقتصاد المرابطي ، فبعض الدراسات ترى أنه قام على أسس هشة غير طبيعية بسبب ارتباط وسائل الانتاج بالجهاز الحاكم ،فهو من "الأموال السلطانية" التي يوفرها "اقتصاد المغازي"، فمثلا بعد الاستيلاء على الأراضي يتم توزيعها لبعض الجماعات خاصة الجند و قادتهم ،وفي حالة الحاجة الى نفقات تتم مصادرتها بدون تردد⁵. ونعتقد أن السلطة العسكرية لحاكم أو والي المدينة تسمح بتحقيق مصادرة وسائل الانتاج بحزم أكثر خاصة أن سلطة القاضي كانت في الغالب تخضع لسلطة الحاكم العسكري⁶ .

3. مدينة وهران آخر ملجأ لتاشفين المرابطي:

¹ - إبراهيم القادري بوتشيش؛ حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، سنة 2006. ص، ص 16، 17.

² - إبراهيم القادري بوتشيش؛ المرجع نفسه، ص 14.

³ - أبو العباس الناصري؛ المرجع السابق، ج 2، ص 66.

⁴ - وقد كانت إدارته لأمر المسلمين بالعدل، و مجهوداته في إرساء الأمن لسبل المسلمين وذلك حسب شهادة أبي محمد بن العربي عبر رسالة بعثها إلى الخليفة العباسي المستظهر لاستصدار تقليد رسمي ليوسف بن تاشفين. أبو بكر بن العربي، كتاب شواهد الجلة، دراسة وتحقيق، محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية (الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي)، ص . ص 279- 286 .

⁵ - إبراهيم القادري بوتشيش ؛ تاريخ الغرب الإسلامي ،قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع و الحضارة ،دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت ،سنة 1994. ص، ص 11، 12.

⁶ - يمكن الرجوع لدراسة أعدها الباحث إبراهيم القادري بوتشيش لتعمق أكثر في هذه الأفكار . المرجع نفسه، ص، ص 13، 14.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

أما عن مدينة وهران في فترة حكم المرابطين فإنها لم تذكر بشكل منفرد من خلال المصادر في الجانب السياسي والعسكري إلا في أواخر الحكم المرابطي، أين تبرز جل المصادر التاريخية أهميتها السياسية والعسكرية حين اختارها تاشفين بن علي كملجاً وكمنفذ نجاة أخير من الموحدين وعن هذه الحادثة جاء: "لما خرج عبد المؤمن بن علي من تينملل يريد فتح المغرب - وكان مسيره على طريق الجبال - سير أمير المسلمين علي بن يوسف ابنه تاشفين معارضاً له على طريق السهل، وأقاموا على ذلك مدة توفي أمير المسلمين علي بن يوسف في أثناءها وأفضى الأمر إلى ابنه تاشفين¹ وهو في الحرب²، وكان مهلك علي بن يوسف سنة سبع وثلاثين وخمسمائة (537/1142)³، وظل تاشفين في ملاحقة عبد المؤمن بن علي إلى أن انتهيا إلى تلمسان، فنزل عبد المؤمن بكهف الضحاك بين الصخرتين من جبل تيطري المطل عليها، ونزل تاشفين بالبسيط مما يلي الصفصاف⁴، لكن تاشفين اختار الرحلة إلى وهران وعن أسباب ذلك أورد ابن خلدون أنها توالى الوقائع على تاشفين في تلمسان أولها هزيمة عسكر بجاية عند رجوعه من عند تاشفين على يد الموحدين⁵، وذلك سنة تسع وثلاثين وخمسمائة) أما

الوقعة الثانية التي أضرت كذلك بتاشفين فهي هزيمة عسكر ملتونة بقيادة قائد الروم⁶ البريتيز⁷ خاصة أنه خرج حسب ابن خلدون في عسكر ضخم للإغارة على بني سندم و زناتة الذين كانوا في بسيطهم، وعند رجوعه بالغنائم اعترضه الموحدون في عسكر عبد المؤمن فقتلوه⁸، ثم فتكوا

1- وفي ذلك يورد لسان الدين بن الخطيب: "فأفضى إليه ملك أبيه، بتفويضه إياه في حياته، لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة". الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه وقدم له ، محمد عبد الله عنان، المجلد الأول، دار المعارف، مصر، ص 456.

2- أبو العباس الناصري؛ المرجع السابق، ج2، ص 63.

3- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص 251.

4- أبو العباس الناصري؛ المرجع السابق، ج2، ص 63.

5- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص 308.

6- ابن عذاري المراكشي؛ المصدر السابق، ج4، ص 103.

7- كان الروبرتيز من اقماط الروم واسلم. وذكر أن هذا الرومي (البريتيز) من أكبر الطغاة بالأندلس بنجدة وظهور. ينظر إلى ابن القطان، نظم الجمان درسه و قدم له و حققه، محمود علي المكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1990، ص 140. وكذلك ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس. قسم الموحدين. تحقيق محمد ابراهيم الفقاني و محمد بن تاويت واخرون، ص20.

8- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص 308.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

بعسكر ثالث من عساكر تاشفين ونالوا منه أعظم النيل¹، ومن هنا يتضح توالي الهزائم العسكرية للعسكر المرابطي، ونجاح الموحدين في كسب المعارك والغنائم، وذلك راجع ربما إلى النظرة العسكرية للموحدين الذين اختاروا المرتفعات والجبال في عمليات الغزو وقد جاء في القرطاس: "زحف المرابطون لقتال الموحدين فنهزم تاشفين فلم ينتهوا، وتعلقوا في الجبل لقتالهم، فهبط عليهم الموحدون فهزموهم هزيمة شنعاء"² هذا من جهة ومن جهة أخرى يبدو أن المرابطين لم يلقوا قبول الناس في المغرب خاصة في مجال القبائل الزناتية التي تأذت كثيرا من سياسة المرابطين منذ بداية توسعاتهم، كما أن شخصية تاشفين وسيرته الحسنة لم تكن معروفة كثيرا في العدو المغربي عكس الأندلس³، حتى أن ابن خلدون يشير أن الناس كانوا يفرون من تاشفين إلى عبد المؤمن وهو ينتقل ينتقل في الجبال في سعة من الفواكه للأكل والحطب والدفء⁴. هذا ما يفسر لجوء تاشفين إلى بعث جزء من عسكره للإغارة على بعض القبائل لجمع الغنائم.

ومن هنا يتضح أن تفكير تاشفين في وهران كملجأ لتحصن ثم كمنطلق للرحلة إلى الأندلس جاء ضمن نظرة (إستراتيجية) للوضع القائم، خاصة أن وهران لا تبعد كثيرا عن الأندلس وتقدر المسافة بينهما حسب المقدسي يوم ليلة⁵. وقد بعث تاشفين ابنه إبراهيم ولي عهده إلى مراكش في جماعة من لمتونة، ورحل هو إلى وهران سنة تسع وثلاثين وخمسمائة (1144/539) فأقام عليها شهرا ينتظر قائد أسطوله محمد بن ميمون⁶ إلى أن وصله من المرية بعشرة أساطيل (الأرجح

¹ - أبو العباس الناصري؛ المرجع السابق، ج2، ص 64.

² - أبو لعباس الناصري؛ المرجع نفسه، الجزء نفسه الصفحة نفسها.

³ - ولاء والده علي بن يوسف "مدينة غرناطة و ألمرية ثم قرطبة، وظهر له بركة في النصر على العدو، فكانت له على النصارى وقائع عظيمة بعد لها الصيت، وشاع الذكر". وللمزيد من المعلومات عن صفته وحسن سيرته وأعماله في الأندلس، يرجع للسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول، ص. ص 454-457.

⁴ - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص 306.

⁵ - ابن بيوكر المقدسي؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه، ووضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، سنة (1424هـ / 2003م)، ص 185. ويقدرها الإدريسي "سعة البحر بينهما مجريان" القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وتقديم وتعليق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر سنة 1983، ص 153.

⁶ - أبو عبد الله محمد بن ميمون قائد أسطول أندلسي قاد معارك وغزوات ضد الروم منذ فترة حكم علي بن يوسف ثم ابنه تاشفين. يمكن الرجوع لابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص. ص 66، 67.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

عشرة سفن) ، فأرسى قريبا معسكره¹، في حين زحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى فقدموا وهران، وفضوا جموع المرابطين الذين بها، ولجأ تاشفين إلى رابية هناك، فأحرقوا بها وأضرموا النيران حولها² حتى غشيهم الليل فخرج تاشفين من الحصن راكبا على فرسه، فتردى من بعض حافات الجبل، وهلك لسبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة³، وقد نجح البعض من أصحابه في "قطاع في البحر" كانت لتاشفين بمرسى وهران⁴. أما أما هو فوجد بإزاء البحر ميتا، فاحتر رأسه وحمل إلى تينملل فعلق على شجرة هناك⁵، ويبدو أن تاشفين أراد الفرار إلى أسطول النجدة الذي يرجح أنه استقر في المرسى الكبير وبعد فتح وهران، توجه عبد المؤمن إلى تلمسان التي فتحها عنوة، لتسقط المدن الواحدة تلو الأخرى وصولا إلى العاصمة مراكش التي سقطت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة⁶، (1146/541).

ب- وهران والحكم الموحدى:

1. مدينة وهران في ظل الدولة الموحدية

يتضح من حادثة مقتل تاشفين طبيعة بداية العلاقة بين مدينة وهران والموحدين، فمن المعلومات التي وفرتها لنا الحادثة هي امتناع المدينة عن الموحدين، وتعاطفها مع من بقي من عسكر المرابطين، وهذا ما جعلها تتعرض للحصار من العسكر الموحدى حيث منعوا الماء عنهم⁷، ولما أهلكهم العطش، نزلوا إلى حكم عبد المؤمن (1163.1144/558.539) الذي أتى عليهم بالقتل⁸، وخرب المدينة⁹، بعد أن استولى على أموالها وذخائرها وسلاحها وبعث به إلى تينملل¹⁰،

1- عبد الرحمن بن خلدون؛ المصدر السابق، ج6، ص 308.

2- أبو العباس الناصري؛ المرجع السابق، ج2، ص 64.

3- عبد الرحمن بن خلدون؛ المصدر السابق، الجزء السابق، ص 308.

4- مؤلف مجهول؛ المصدر السابق، ص151.

5- أبو العباس الناصري؛ المرجع السابق، ج6، ص 64.

6- ابن عذاري المراكشي؛ المصدر السابق، ج4، ص 126.

7- هذا يذكرنا برواية البكري عن حصار المدينة الأول، واتخاذ قطع الماء عنها كوسيلة لإخضاع المدينة، البكري، المصدر

السابق، ص 70.

8- أبو العباس الناصري؛ المرجع السابق، ج2، ص 64.

9- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج7، ص 104.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

تتمثل¹، وعن سبب رفض المدينة للوجود الموحد، وعدم فتح أبوابها لهم، فالمرجح أن سبب ذلك ذلك يرجع لأحداث سبقت، حيث تعرضت المدينة إلى حملة عسكرية موحدية بقيادة (ابن زجو)، والتي استولت من خلالها على غنائم وهران²، ويبدو أن أهل وهران لم ينسوا ذلك للموحدين. وكان سقوط المدينة في يد الموحدون في شهر محرم من سنة أربعين وخمسمائة (1145/540). والملاحظ أن الموحدون بعد القضاء على آخر ماوك المرابطين في وهران³، توالى الانتصارات عليهم، كما قويت حركتهم خاصة أن عبد المؤمن (1144/558.1163) في حركته إلى وهران استطاع كسب ولاء أكابر شيوخ القبائل الزناتية التي أخذت تدخل في طاعته، وولاءه، وقد جاء في ذلك: "ووفد على عبد المؤمن بمكانه من حصار وهران مقدمهم سيد الناس⁴ بن أمير الناس الناس شيخ بني يلومي، وحمامة بن مظهر شيخ بني عبد الواد، وعطية الخير بني توجين، وغيرهم فتلقاهم بالقبول⁵. كما غير الموحدون نظرهم العسكرية" فمنذ ذلك الوقت (فتح وهران) نزل عبد المؤمن من الجبل إلى السهل⁶، ليتوجه إلى إخضاع بقية المناطق للحكم الموحد، والقضاء على بقايا المرابطين.

2. ممثل السلطة الموحدية في مدينة وهران:

وعن طريقة حكم الموحدون للمناطق التابعة لهم، فقد عينوا عليها بداية مشايخهم ثم عادت الولاية إلى أبناء عبد المؤمن بن علي، وكان ذلك حال تلمسان وأعمالها⁷، حيث عقد عبد المؤمن

¹ - وإلى جانب أموال وهران كانت غنائم تلمسان كذلك. ابن زرع الفاسي؛ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية دار المنصور للطباعة و الوراقة (الرباط) ص 21.

² - ابن عذاري المراكشي؛ المصدر السابق، ج 4، ص 100.

³ - دامت دولة المرابطين نحو ثمانين سنة، وعدة ملوكهم ثلاثة: يوسف بن تاشفين ملك خمسين سنة، ثم ولده علي بن يوسف يوسف ملك سبعا وعشرين سنة، وأخيرا ابنه تاشفين ملك ما بقي منها، وتوفي في بلد وهران. أبو العباس أحمد بن علي بن الخطيب بن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد تركي الدار التونسية للنشر، سنة 1968. ص 101.

⁴ - ابن أبي زرع الفاسي؛ المصدر السابق، ص 241.

⁵ - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 7، ص 76.

⁶ - أبو العباس الناصري الناصري؛ المرجع السابق، الجزء السابق، ص 65.

⁷ - ذكرت مدينة وهران أنها من أعمال تلمسان في عهد عبد المؤمن بن علي، وذلك في معرض الحديث عن أبو محمد عبد الله الله بن جبل أحد قضاة عبد المؤمن وذكر أنه من أهل وهران. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

لسليمان بن واندن (وهو من المشايخ) بداية، ثم عقد لابنه السيد أبي حفص أمر المغرب كله و زناتة أجمع¹، أما عن وهران فيبدو أن والي تلمسان كان يعين عليها من يتولى أمورها، ووردت إشارة أن من الأجناد من تولى أمورها ونقصد هنا: والد قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني، وهو اذن عبد الله بن مروان التلمساني الذي كان من الأجناد، تقدم وساد وولي مدينة وهران². وهذا يعطي صفة الحكم العسكري للثغور الساحلية في ظل الدولة الموحدية ، منتهجة نفس التوجه المرابطي على ما يبدو . وقد اهتمت الدولة الموحدية منذ البداية بانشاء الأساطيل الحربية لذلك حظيت بعض المدن الساحلية باهتمام زائد لتوفرها على امكانيات طبيعية فيما يخص اتساع، وحصانة مرساها وتوفرها على معادن مما جعل الموحدون ينشئون بها دور لصناعة السفن، وقد كانت مدينة وهران من بين المدن الموحدية التي أسندت لها مهمة إنشاء قطع من الأسطول الموحيدي، قدرت بمائة قطعة مع كل من بلاد إفريقية ومرسى هنين³، وذلك ضمن نشاط كثيف قام به عبد المؤمن لتجهيز عسكره بالعدة، والعتاد للقيام بغزواته الجهادية في الأندلس⁴.

وكما كانت أمور الولاية ترجع إلى أحكام القضاة، فنعتقد أن ممثل السلطة في وهران كان يرجع للقاضي أما المرتبات فهي تجرى بقدر مرتبات وطبقات الفقهاء⁵، وغيرهم من الولاة .

3. علاقة مدينة وهران بالموحدين:

لننفتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين (ضبطه وصححه وعلق حواشيه وانشأ مقدمته، محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة 1368هـ/1949م ، ص 200.

¹ - ابن خلدون؛ المصدر السابق، الجزء السابق، ص 104.

² - ويبدو أن ولاية عبد الله بن مروان التلمساني لوهران تزامنت مع حكم عبد المؤمن أو ابنه يوسف لأن ولده أبو عبد الله محمد تزامن مع حكم المنصور الموحيدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن. أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي؛ الغصون الياينة في محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار المعارف، مصر، ص 29.

³ - أمر عبد المؤمن بإنشاء الأساطيل سنة سبع وخمسين وخمسمئة (1161/557) ابن أبي زرع الفاسي، المصدر نفسه ص 263.

⁴ - ابن صاحب الصلاة؛ تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين (بأن جعلهم الله أئمة، وجعلهم الوارثين)، المستخرجة من اكسفورد، عبد الهادي التازي، السفر الثاني، دار الأندلس للطباعة والنشر، السنة (1313-1964)، ص، ص 171 172.

⁵ - هذه الأعمال كانت في عهد أبو يعقوب الموحيدي ، وهي نموذج عن الحكم الموحيدي. ابن أبي زرع، المصدر نفسه ص، ص 285، 286.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

رغم بداية العلاقة السيئة بين مدينة وهران والموحدين إلا أنها لم تدم طويلا ، فقد استفادوا من عاملين وهرانين في بلاطهم هما: عبد الله بن جبل، الذي ورد كأحد قضاة عبد المؤمن (524-558/1130-1163) عند عبد الواحد المراكشي¹، وورد من كتابه عند ابن أبي زرع². والعالم الثاني كما سبق ذكره هو أبو عبد الله محمد بن مروان والذي كان من قضاة أبا يوسف يعقوب بن عبد المؤمن³. وعن ظاهرة استجلاب العلماء للبلاط الموحيدي فهي عادة الخلفاء الموحيدين بالكتب إلى البلاد، واستجلابهم إلى حضرته من أهل كل فن⁴. ويبدو أن وهران كان لها نصيب من المساهمة في إثراء البلاط الموحيدي بالعلماء.

أما عن حالة البلاد الموحدية، والتي منها وهران، فيبدو أنها تمتعت بنوع من الاستقرار والأمن في الحواضر⁵. إضافة إلى أن الموحيدين أدخلوا عناصر جديدة في النسيج الاجتماعي الخاص بالمغرب الأوسط، فقد جلب عبد المؤمن إلى المغرب عرب إفريقية، ونقل منهم ألفا من كل قبيلة بعيالاتهم وأبنائهم⁶. ومنها منطقة وهران كما ساهمت وهران في تجهيز الأسطول الحربي الموحيدي. وبرزت كذلك كمدينة تجارية نشطة على الساحل المتوسطي؛ حيث تبادلت السلع الموحدية مع المدن الإيطالية بالخصوص⁷.

3/2/3. وهران والحكم الزياني والتدخلات المرينية والحفصية:

يبدو أن العبد الواديين كانت لهم حظوة عند الموحيدين، حيث أطلقوا أيديهم مع كل من بني توجين وبني راشد، وغيرهم من بطون زناتة في الأراضي الواقعة في إقليم وهران، و أحواز مدينة

¹ - المراكشي؛ المصدر السابق، ص 200.

² - ابن أبي زرع الفاسي؛ المصدر السابق، ص 268.

³ - ولم يزل أبو عبد الله قاضيا للمنصور إلى أن كانت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة (1195/592) فوقع بينه وبين أبي القاسم بن بقي كلام، فعزله المنصور، وولى قضاء الجماعة ابن بقي ثم لما ولي الناصر (أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف) رده إلى قضاء الجماعة، فلم تزل عليه إلى أن مات في سنة (1204/601). ابن سعيد الأندلسي، المصدر السابق، ص، ص 32، 33.

⁴ - عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص 342.

⁵ - ابن أبي زرع الفاسي؛ المصدر السابق، ص 285.

⁶ - ابن أبي زرع الفاسي؛ المصدر السابق، ص 261.

⁷ - نستعرض ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني الخاص بالحياة الاقتصادية لمدينة وهران.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

تلمسان¹. فقد كان بنو عبد الواد، وأقاربهم من القبائل الأخرى يتركون الصحراء، ويستقرون في سهول وهران²، وحسب ابن خلدون فإنهم أقاموا في قياطينهم بأطراف المغربين ينتجعون جانبي القفر والتل، ويعطون الدول حق الطاعة³، وبمرور الزمن ساهم بنو زيان مساهمة فعالة في الدفاع عن منطقة وهران، وتلقوا نظير ذلك بعض (الامتيازات) من طرف الموحيدين⁴، ويرى أحد الباحثون الباحثون أن هذه العائلة استفادت من الثروة التي كونتها طيلة مدة طويلة من حكم المرابطين والموحيدين⁵، خاصة أنهم تغلبوا على بقايا الأجيال الأولى من زناتة (مغراوة وبني يفرن) بعد أن كانوا كانوا مغلوبين لهم⁶.

والواضح أنه حدث تغيير في ميزان القوة، حيث انتقلت قوة زناتة من الجيل الأول إلى الجيل الثاني الذي مثله خاصة عبد الواد وبنو مرين، وقد تمكن بنو عبد الواد من ملك تلمسان و حواضرها، فبوصول يغمراسن بن زيان للحكم سنة (1235/633) استقل بالحكم خاصة بعد دعم الأمير أبو زكريا الحفصي للعبد الواديين، و رجوع حملته إلى تونس⁷، وعن وهران فهي من المناطق التابعة ليغمراسن، فقد أورد يحيى ابن خلدون أن أحد وزراء يغمراسن توفي بحجر المنحنيق في وهران سنة ست وثلاثين وستمئة 636 / 1238⁸.

و قد كانت الدولة الزيانية بين فكي كماشة ما بين طموحات الحفصيين في تونس، و المرينيين في المغرب الأقصى، إضافة إلى النزاع السياسي داخل الأسرة العبد الوادية والذي كان قائم على

¹ - عبد العزيز فيلاي؛ تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية اجتماعية، ثقافية)، ج1، موفم للنشر والتوزيع الجزائر، سنة 2002، ص 15.

² - السيد عبد العزيز سالم؛ المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، ص 872.

³ - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج7، ص 78.

⁴ - السيد عبد العزيز سالم؛ المرجع السابق، ص 873.

⁵ - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج7، ص 78.

⁶ - يحيى ابن خلدون؛ المصدر السابق، ص 205.

⁷ - ابن القنفذ القسنطيني؛ الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم و تحقيق، محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد تركي الدار التونسية للنشر، سنة 1968، ص109.

1 - حيث في ظل هذه الاضطرابات لم يتسنى لجد ابن مرزوق من الأم الاستقرار بمدينة وهران. أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني؛ المناقب المرزوقية، دراسة و تحقيق، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ص275.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

أشده، كما كانت اضطرابات في العلاقة بين الزيانيين وقبيلة مغراوة كل هذا انعكس على مدينة وهران¹، وعلى أحوازها .

ومن الحملات المرينية التي استهدفت الدولة العبد الوادية، والتي شكلت خطر على مدينة وهران الحملات العسكرية التي قادها السلطان المريني " أبو يعقوب يوسف بن يعقوب" (658/1286-1306). حيث أشارت المصادر إلى حملته الثانية، والتي اقتربت من مدينة وهران؛ وجاء في ذلك: "حملة أبو يعقوب بن يعقوب الثانية سنة خمس وتسعين وستمائة 695/1296 حيث نزل ندرومة ثم ارتحل إلى جبل جيزة (هيدور) المصاقب لوهران لكنه رجع إلى قطره"²، لكن الحملة الموالية قد نجحت في امتلاك المدينة ومدن أخرى من المغرب الأوسط، وجاء " سنة ثمان وتسعين وستمائة(698/1298)، وقد استطاع (أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المريني 658/1286-1306) امتلاك جميع بلاد بني عبد الوادي، فملك

ندرومة و هنين ووهران وغيرها، ويبدو أن السيطرة المرينية استمرت على هذه المناطق إلى وفاة السلطان المريني، واسترجاع أبو زيان وأخيه أبو حمو الأول(707-718/1307-1318) للمناطق، والأقاليم وإحياء الدولة الزيانية من جديد سنة (707/1307)³.

لكن الصراع داخل الأسرة الحاكمة ظل ينهش جسد الدولة، فقد ثار أبو زيان على أبو حمو الأول، وقد كان لذلك أثر على المغرب الأوسط حيث انضم الثعالب لأبي زيان وقاموا بالدعوة لنصرته بين أهل الجزائر و مليانة، فاجتمع جميع العرب على مبايعته، وبذلك تمكن من الاستيلاء على مدن منها وهران⁴، وبعد تولي أبو حمو الأول (707-718/1307-1318) أمور الحكم بعد وفاة أخيه أبي زيان، يبرز نزاع أسري آخر، حيث قام ابن هذا الأخير المدعو أبو تاشفين الأول (718-737/1318-1337) على والده⁵، مما ساهم في حالة الاضطراب، وعدم استقرار

2 - أبو زكريا يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ص 209

3- ابن أبي زرع الفاسي؛ المصدر السابق، ص 386.

4- عبد العزيز فيلاي؛ المرجع السابق، ص، ص 28، 29.

⁴ - مصطفى أبو ضيف أحمد عمر؛ القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين و المرينيين، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، سنة 1982. ص 164.

⁵ - عبد العزيز فيلاي؛ المرجع السابق، ج 1، ص 41.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

الأوضاع الأمنية في ربوع الدولة الزيدانية، ويبدو أن السلطان الجديد أبو تاشفين الأول (1337-1318/737-718) كان سيء السمعة في حواضر الدولة، وقد انتهج سياسة احتكار بيع الأقوات في حواضر الدولة¹. وهذا ما زاد من مقه رعيته.

وتظهر مدينة وهران في أحداث الحملة المرينية بقيادة أبي الحسن المريني (1348-1332/749-732) سنة (1332/732) لأنه اتخذ من سواحل وهران منطلقاً لإمداد حليفه الحفصي أبي يحيى الحفصي صاحب بجاية بالإمدادات البحرية². كما شكلت وهران قاعدة انطلاق أبي الحسن المريني للاستيلاء على تلمسان، حيث عمد مع قوم "عريف بن يحيى" على تشريد حلفاء بني عبد الواد من بني عامر في المنطقة الوهرانية إلى القفر، ودخل بني سويد في ولاء المرينيين³. وبذلك تم التحكم في العرب الهلالية أما القبائل الزناتية من مغراوة، وبني توجين، فقد قدموا بدورهم إلى أبي الحسن لعقد طاعتهم⁴، ومن ثمة استطاع السلطان المريني الاستيلاء على تلمسان و مد نفوذه في أرجاء حواضر وأرياف المغرب الأوسط، ووصل تعداد مدنه حسب بعض المصادر إلى خمسة وأربعين مدينة⁵، وقد استعمل عماله على كل الجهات⁶.

وقد بقيت أمصار المغرب الأوسط، وثغوره على طاعة أبي الحسن المريني (1348-1332/749-732) والقيام بدعوته، وبها عماله وحاميته، فكان بمدينة وهران القائد عبو بن سعيد بن أجانا، وقد ذكر أنه ضبطها وملاها أقواتاً ورجالا وسلاحاً، وملاً مرساها

¹ - حيث حجر على سائر الحضر بيع جميع الأقوات والخضاري، حيث لا يتاعها إلا هو. إضافة إلى كونه لثيماً بخيلاً بشهادة ابن وزيره عمر بن موسى بن علي الكردي. إسماعيل بن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط سنة 1423 هـ - 2003، ص 63.

² - عبد العزيز فيلاي؛ المرجع السابق، ج1، ص 46.

³ - ابن خلدون؛ المصدر السابق ج6، ص 63.

⁴ - خالد الناصري؛ المرجع السابق، ج3، ص 124.

⁵ - ابن فضل الله العمري؛ مسالك الابصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، يصدره فؤاد سركين بالتعاون مع علاء الدين جوحوشا، إيكاردنو يباور، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، سنة (1408هـ/1988م)، ص، ص 79، 80.

⁶ - خالد الناصري؛ المرجع السابق، ج3، ص 124.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

أساطيل¹، وبعد انكسار الجيش المريني في القيروان عاد الأميران الزيانيان أبا سعيد و أبا ثابت(749-1348/753-1352) لاسترجاع أملاك الدولة الزيانية²، و يبدو أن التحالف الأسري قد حدث بين الأخوين لاستعادة الملك من جديد، و القضاء على المعارضين، وقد توجه أبو ثابت إلى الساحل لأنه تولى أمر الجيوش، و الأولوية و الحروب³، لمواجهة خطر إبراهيم بن عبد الملك الكومي، فاستفتح أبو ثابت ندرومة، و هنين، لكن مدينة

وهران استعصت عليه حيث لم ينجح الحصار الذي أقامه عليها ليالي لإخضاعها، خاصة أن بنو راشد حلفائه خذلوه

رجع لحضرته، لكنه أعاد الكرة سنة خمسين و سبعمائة (750/ 1349)، فدخلها عنوة⁴، لتعود لعود وهران من جديد إلى الحكم الزياني. و يبدو أن من أسباب تمنع مدينة وهران هو زيادة تحصينها بعد بناء البرج الأحمر من طرف أبي الحسن المريني سنة (748/ 1347) في الجهة الشرقية للمدينة.

ولقد كانت الأحداث سريعة، و الحرب متواصلة، فلم تترك أبا ثابت يهدأ بالراحة بعد عودته من وهران، بسبب قدوم الناصر بن أبي الحسن المريني (732-749/ 1334- 1348) إلى المغرب الأوسط و انضمام القبائل العربية مثل سويد و الديالم و العطاف و الحصين، وقد تمكن أبو ثابت من هزيمتهم⁵، ولم تلبث مدينة وهران تحت الحكم الزياني حتى تأتي حملة مرينية أخرى لأبي عنان فارس المتوكل(749-1348/759-1357) وتمكن من خلالها من الاستيلاء على تلمسان، و أعمالها⁶، والتي منها وهران، وكان ذلك سنة ثلاث و خمسين و سبعمائة (753

1- محمد الطمار؛ تلمسان عبر العصور (دورها في سياسة و حضارة الجزائر)، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، ص 139.

2- "بقا الأميران الزيانيان (أبو سعيد و أبو ثابت) على رأس قوة عسكرية التي صاحبت أبو الحسن في حملته الطويلة إلى افريقية، وقد استغلا الفرصة للرجوع واسترجاع أملاك الدولة". عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص48.

3. يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ص241

4 - أبو زكريا يحيى بن خلدون؛ المصدر نفسه، ص، ص243، 242.

5 - عبد العزيز فيلاي؛ تلمسان، المرجع السابق، ج1، ص49.

6- فبعد دخول تلمسان عنوة، تخطى أبو عنان لوهران وملكها. الأغا بن عودة المازري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا، تحقيق و دراسة يحيى بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، سنة1990، بيروت ص 180.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

(1352/)، و قد اهتم أبو عنان المريني (749 - 1348/759 - 1357) بالأساطيل، و عمل على إنشاء في كل بلد ساحلي حيسا للافتداء¹ ، ويبدو أن مدينة وهران استفادت من ذلك .

وتعود مدينة وهران للولاء الزياني من جديد بعد عودة أبي حمو موسى بن يوسف الزياني و دخوله تلمسان، فجهز جيشا بعثه مع وزيره موسى بن برغوث لفتح وهران لكنها فشلت وتعاد

الكرة مرة أخرى سنة اثنين وستين وسبعمائة (762 / 1360) على يد أبي موسى عمران فارس الولادي ، و تم فتح وهران عنوة² .

4/2/3. مكانة وهران عند الزيانيين:

1. مدينة وهران محل صراع في البيت الزياني:

يظهر صراع آخر كانت مدينة وهران من أسبابه فقد عرف البيت الزياني أزمة، و خلاف بسبب مطالبة ولي عهد العرش الزياني أبو تاشفين -أكبر أبناء أبو حمو- من والده ولاية وهران بدل أخيه أبو زيان الذي نقل من ولاية المرية إلى ولاية وهران، وهذا ما أثار غضب أبو تاشفين. لكن أبو حمو لم يرقه ذلك لذلك طلب من وزيره يحيى بن خلدون بمماطلة الكتابة لابنه حتى يرى المخلص من ذلك³ و الواضح أن طلب أبو تاشفين لولاية مدينة وهران بدل من المدن الأخرى راجع لنظرته الثاقبة ، و إدراكه لأهمية المدينة فمن جهة قربها من العاصمة الزبانية، و من جهة حصانتها، و مكانتها التجارية وهذا ما يجعل منها قاعدة قوية لمواجهة الأخطار خاصة في حالة نشوب نزاع بينه و بين إخوته على العرش الزياني. وربما هذا ما يفسر إصرار أبو تاشفين ، و تمسكه بمطلبه أمام مماطلة والده في الاستجابة له. و كنتيجة لذلك قام أبو تاشفين بالفتك بالوزير يحيى بن خلدون ظنا منه أن يحيى بن خلدون تعمد عدم كتابة الولاية له لأنه يؤثر أخاه أبو زيان

1- وقد عين قائد على قواد ببلاده البحرية الشرقية و الغربية هو الرئيس، محمد بن يوسف بن الأحمر. النميري، فيض العبابو افاضة قذاح الآداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة و الزاب، تحقيق محمد بن شقرون ،دار الغرب الاسلامي، سنة 1990.

ص- ص 160-169

2 - الاغا بن عودة ؛ المرجع السابق، ص 183.

3 - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج7، ص 187 .

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

عليه¹، وكان مقتل يحيى سنة ثمانين و سبعمائة (780/ 1378)، وبعد هذه الحادثة الأليمة يخضع أبو حمو لمطلب ولده، و يوليه وهران و يغض طرفه عن فعلته² ليستمر الصراع، و ينتقل من الخفاء إلى العلن بعد مجاهرة أبو تاشفين أباه بأنه يتآمر عليه و انه يؤثر إخوته عليه، فقام بتنحية والده و خلعه، و لم يكتف بذلك بل بعثه إلى قصبة وهران لاعتقاله هناك، و اعتقل إخوته الحاضرين في تلمسان. فبدأ أبناء أبو حمو . الذين هم خارج تلمسان . يحشدون عزائمهم و يتحالفون مع قبائل حصين لمواجهة أبا تاشفين و توجهوا إلى جبل

تيطري، و كما قام أبو تاشفين بحشد جيشه و السير إليهم، لكن أبو تاشفين بعث ابنه أبو زيان في لمة مع حاشيته، فقتلوا من كان معتقلا من إخوته في تلمسان، ثم توجهوا إلى وهران للتخلص من السلطان المخلوع، لكن أبو حمو استطاع النجاة بعد استنجاده بالسكان فأنقضوه و أخرجوه من القصبة و بايعوه من جديد، فنجا أبو حمو الذي عاد إلى تلمسان لاستعادة ملكه³. لكنه فشل في مسعاه بعد عودة أبو تاشفين و تقبضه عليه⁴.

لكن ما تكاد الأمور تهدأ حتى تتعرض المدينة لحملة مرينية جديدة، حيث تمكن القائد المريني أبو فارس (796-799/ 1393-1396) من امتلاكها ليلحقها بأملاك والده أبو العباس أحمد بن أبي سالم و ذلك بعد الاستيلاء على تلمسان، و قد تمكن الزيانيون من استرجاعها في عهد أبو زيان محمد بن أبي حمو، لتبرز وهران في صراع داخلي آخر بين الزيانيين و نقصد بين أحمد العاقل و أخوه أبو يحيى زكريا حيث استولى عليها أبو يحيى زكريا و جرت بينه، وبين أخيه حروب

¹ - وقد كان لموسى بن يخلف الدور الكبير في تشويه صورة يحيى بن خلدون عند أبي تاشفين، كما عمل على تأليب عليه والده (أبي حمو).

² - ابن خلدون؛ المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ابن خلدون؛ المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص، ص 192، 193.

⁴ - كان مقتل أبو حمو بموضع يقال له الغيران بعده نصف يوم عن تلمسان سنة 791 هـ، قتله محمد بن يوسف بن علال وزير أحمد المريني. إسماعيل ابن الأحرر، المصدر السابق، ص 66.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

انتهت باستيلاء عمال أحمد العاقل على المدينة وفرار يحيى في البحر إلى بجاية، وكان ذلك سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة (1448/852)¹.

2. ممثل السلطة الزيانية في وهران ؟:

ومن الأحداث السياسية التي عرفتها وهران خلال العهد الزياني، يرى بعض المؤرخين أن الوهرانيين بقوا دائما أعداء لملك تلمسان، حيث لم يقبلوا قط أي وال من ولايته ما عدا أمينا للمال، وقابضا يتسلم مداخيل الميناء، وكانوا ينتخبون رئيس مجلس ينظر في القضايا المدنية والجنائية²، وهناك من اعتبر مدينة وهران في القرنين الخامس عشر و السادس عشر الميلاديين أي القرنين التاسع و العاشر الهجريين أنها تمثل جمهورية مدينة حقيقية³، و لكن هذا القول فيه مغالطة لأن بعض المصادر التي عاصرت فترات من الحكم الزياني أوردت عكس ذلك ومثال ذلك ما أورده الرحالة عبد الباسط في رحلته أواخر القرن (15/9) عند زيارته لمدينة وهران: "...وفيه في ثامنه (سنة 1466/871) ورد ظهير، وهو الذي كالتوقيع ببلادنا هذه مكتب من تلمسان عليه خط السلطان صاحبها محمد بن أبي ثابت المتوكل على الله بتقديم إنسان من أهل وهران في خطابة جامع البيطار بها، وصرف صاحبنا الشيخ الفاضل العالم العامل الصالح أبي عبد الله محمد القضار، وكان السبب في صرفه كلام بلغ السلطان عنه فيه أمر بمعروف ونهي عن المنكر⁴. وهذا يدل على حرص السلطان الزياني، وتبعه لما يحدث في مدينة وهران، ويذكر عبد الباسط حادثة أخرى وقعت في تلمسان ذكر فيها "مشرف وهران"، الذي حسب الحادثة نجح من عقاب السلطان الزياني، و تمت تبرئته من المشاركة في محاولة الانقلاب على السلطان الزياني⁵. ومن هذه المعلومات ندرك مدى التدخل المباشر للسلطة الزيانية في أمور المدينة، كما تبرز لنا إشكالية حول من كان يمثل السلطة السياسية الزيانية في مدينة وهران ؟ هل هو قاضي الجماعة، والذي يحتمل أنه إلى جانب

1- الآغا بن عودة؛ المرجع السابق، ج1، ص 194.

2- حسن الوزان؛ وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي، محمد الأخضر، ط2. دار الغرب الإسلامي بيروت (لبنان) سنة 1983 م. ج2، ص 30.

3- بروديل؛ المرجع السابق، ص102.

4- ABDALBASIT B. HALLI ET ADRONE ; Deux Récits De Voyage Inédits En Afrique Du Nord Au XVe Siècle, thèse complémentaire pour le doctorat es-lettres, par robert Brunschvig, larose éditeurs, paris ,1936.p66.

5 عبد الباسط؛ المصدر نفسه، ص - ص 61-63.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

القضاء كان يتولى خطابة المسجد الجامع ويتولى كذلك أمور الحسبة¹ ؟ أم أن ممثل السلطة السياسية هو مشرف المدينة، والذي لم يكن له دور ديني أو قضائي أو ما شابه ذلك ؟ أم أن الزبائين لم يكن لهم في المدينة واليا يمثل سلطتهم واكتفوا بأمن للمال وقابض يتسلم مداخل الميناء ؟.

وبالرجوع لنفس المعلومات السابقة نلاحظ أن كلتا الوظائف خطيب المسجد الجامع ومشرف المدينة كانا يعينان ويعزلان مباشرة من السلطان الزباني. وهذا يوحي بأهمية الوظائف لدى الزبانيين، ولكن أي الوظائف كانت تمثل السلطة السياسية في المدينة؟

تشير بعض الدراسات أن المدن الصغيرة كانت صلاحيات السلطة السياسية الخاضعة لها يتولاها قاضي الجماعة، والذي يصدر الأحكام باسم السلطة التي عينته، ولا يمكن أن يصدر حكماً ما لم يكن معيناً من الدولة². ويبدو أن وهران لم تخرج عن هذا المألوف حيث كان القاضي يمثل السلطة الدينية والسياسية، ونعتقد أنه إلى جانب وظيفة القضاء تولى أمور الحسبة³، أما مشرف المدينة فنعتقد أنه تولى الأمور المالية من جباية للمال واستلام مداخل الميناء، كما أشار إلى ذلك حسن الوزان، وقد كانت وظيفة "مشرف المدينة" محترمة داخل المجتمع الوهراني وفي بلاط الدولة الزبانية⁴. لذلك نعتقد أن ممثل السلطة السياسية الزبانية في مدينة وهران تقاسمها كل من القاضي، ومشرف المدينة .

¹ نستشف ذلك من شهادة الرحالة عبد الباسط، فعزل خطيب الجامع يوحى بوظيفة دينية وسياسية ممثلة في القاضي، كما أن سبب عزله بأنه "كلام بلغ السلطان عنه فيه أمر معروف ونهي عن المنكر" يوحى بارتكاب خطأ بمس مهام الحسبة.

² الشيباني بنبلغيث؛ أهمية الفتاوى الشرعية كمصدر لكتابة تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الحديثة، مجلة آفاق الثقافة و التراث، العدد 12. تصدر عن إدارة البحث و النشاط الثقافي بمركز جمعية الماجد للثقافة و التراث، دبي، سنة 1416. ص 06.

³ تتشابه ولاية الحسبة مع القضاء في أشياء وتختلف في أشياء أخرى، ويمكن الجمع بين الحسبة والقضاء بشرط مراعاة أن يكون من يتولاها من أهل الاجتهاد . أبوعبد الله بن سعيد العقباني التلمساني ، تحفة الناظر، وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، ص، ص 128، 129.

⁴ نستشف ذلك من الأحداث التي أوردها عبد الباسط حيث أشار ومن ذلك " المشرف كان من رؤساء وهران وأكابرها..". المصدر السابق، ص 60.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

والى جانب ذلك ذكر عبد الباسط مفتي وهران¹، وهو أبو العباس أحمد بن العباس المالكي وامام زاوية الشيخ ابراهيم التازي، وهو الشيخ عبد الرحمان بن عزوز². وكلاهما كان له دور ديني وتعليمي داخل المدينة.

وملخص القول أن مصير المدينة السياسي ارتبط ارتباطا وثيقا بالمصير السياسي للعاصمة الزيرية، وحسب الأحداث السياسية السابقة، والخاصة بالصراعات الداخلية الزيرية برز تمسك الزيريون بالمدينة ورفض أي محاولة استقلالية يقودها أمير زيري بهدف الانفراد بالمدينة، لأهميتها وقربها من العاصمة، كما أن الحملات المرينية و الحفصية على المغرب الأوسط معظمها لم تستثنى المدينة من السيطرة و الإلحاق. وقد انعكست هذه الأحداث المتعاقبة على أمن وهران واستقرارها خاصة على ريفها الذي كان مفتوح على كل الاتجاهات المهددة بالخطر عكس المدينة التي استفادت من حصانتها الطبيعية إضافة إلى أسوارها، هذا ما جعل احتلالها صعبا، ودخولها في أغلب الأحيان يكون عنوة، وبعد حصار طويل، وهذا ما يفسر أن الكثير من الحملات كانت تبوء محاولاتها بالفشل لتعاد الكرة مرة ومرات لاحتلالها.

3. اضطراب ريف وهران، ومسالكها البرية والبحرية في العهد الزيري:

أ- أخطار البحر:

ونستشف من المصادر التي عاصرت هذه الحقبة التاريخية ملاحظة حالة الأمن في الطرق البرية والبحرية، فعلى مستوى البحر لم تكن آمنة على الدوام بسبب حملات الإفرنج، وعلى الساحل المغربي، من حين إلى آخر، ويورد لسان الدين بن الخطيب حادثة عن تعرض رسول السلطان الأندلسي (بن قاسم النميري المعروف بابن الحاج) إلى الأسر من طرف العدو بأحواز جزيرة جببية من جهة وهران، وذلك في طريقه إلى صاحب تلمسان أحمد بن موسى بن يوسف (الزيري) سنة ثمانية وستين وسبعمائة (1366/768)، ولم يتم إطلاق سراحه إلا بعد تقديم فدية³.

¹ المفتي يطلق على العالم المجتهد في فقه الشريعة الإسلامية، ويكون أحيانا في مساعدة القاضي الذي يستشيريه فيما يشكل عليه من المسائل. الشيباني بنبلغيث، المرجع السابق، ص 06.

² عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 46.

³ - لسان الدين بن الخطيب؛ المصدر السابق، المجلد الأول، ص، ص 370، 371.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

كما أورد عبد الباسط عن حالة الفرع التي كان يعيشها خاصة سكان النواحي خارج وهران من خطر البحر، وما يحمله من مفاجآت للمراكب الإفرنجية، وفي ذلك يقول: " وفيه في أواخره سنة (1465/870)، ونحن بواهران ظهرت أربعة مراكب للفرنج من جهة المغرب ففرغ أهل النواحي بخارج وهران إليها بل وأرجف بواهران أن هذه المراكب مشحونة بالمقاتلة وأنهم قصدوا أذى المسلمين ثم اجتازت تلك المراكب ولم تعرج لجهة وهران ولا سواحلها"¹.

ب- الأعراب وسيطرتهم على ريف وهران ومسالكها البرية:

أما الطرق البرية فيبدو أنها عرفت كذلك حالة اللا أمن بسبب الحروب الكثيرة التي شهدتها المغرب الأوسط سواء بين أفراد الدولة الزيانية أو بين الدولة الزيانية مع جيرانها الحفصيين والمرينيين. إضافة إلى دور الأعراب، والتي كانت لها سطوة وقوة في ضواحي وهران، وفي مختلف بوادي المغرب الأوسط، والذين تحكموا في مناطق، ومسالك عديدة حتى أنهم أثروا على السلاطين الزيانيين²، الذين يبدو أنهم كانوا يدفعون الكثير من مردود دولتهم للأعراب³. ومن الطرق الخطرة التي سيطروا عليها الطريق بين تلمسان، وواهران، فقد كثر به قطاع الطرق واللصوص خاصة في أواخر العهد الزياني، وأورد ابن مريم شهادة لأحد العلماء الذين سلكوا هذا الطريق أنه تعرض مع من معه إلى "جماعة من الخيل قاصديهم لقطع الطريق عنهم والتعرض لهم"⁴. ويبدو أن هذا الوضع كان سائد في نقاط مختلفة من بلاد المغرب الأوسط والأقصى

بشهادة العبدري⁵ كذلك. وتظهر حالة اللا أمن، والخوف من الحملات العسكرية المفاجئة لدى سكان وهران في كثرة الإشاعات التي تخوف من الحملات الأجنبية منها: " وفيه بعد العشر منه

¹ - كما يورد عبد الباسط حالة أسر عدد من الفرنج الذين كانوا يهددون ساحل هنين: " حيث أحضروا إلى تلمسان حتى يرى السلطان في أمرهم..."، المصدر نفسه، ص 43. كما أورد النميري حالة اللا أمن في البحر وظاهرة الأسرى والفدية. يرجع إلى فيض العباب، المصدر السابق، ص 169.

² - عبد الباسط؛ المصدر السابق ص 42.

³ - حسن الوزان؛ وصف إفريقيا، ج 2، ص 23 / 08.

⁴ - نقل ابن مريم شهادة "الشيخ الحاج سيدي منصور بن عمر الديلمي". البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص 235، 234.

⁵ - خالد بلعربي؛ دور الشرطة في استتباب الأمن بالمغرب الأوسط (العهد الزياني نموذجاً)، مجلة الآداب والعلوم الانسانية،

العدد العاشر، سنة، محرم 1430، جانفي، ص، ص 37، 38.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

سنة (870/ 1465) كثرت الأراجيف بمدينة وهران من تلمسان بمجيء صاحب تونس ثم ظهر كذب ذلك ثم كثرت الإشاعة أيضا في أواخره...¹.

5/2/3. الاحتلال الاسباني لوهـران:

توجهت الحملات الصليبية بعد سقوط الأندلس إلى السواحل المغربية، ففي سنة (1415/818) أصبح البرتغاليون حكاما لسبتة²، وقد استولى الاسبان على المرسى الكبير عنوة³، بعد تجهيز حملة ضخمة، وكان ذلك سنة م (910/ 1504)⁴، وسيكون لسقوط المرسى الكبير وقع سلبي على أمن مدينة وهران، فالأسبان اتخذوا منه قاعدة عسكرية مهمة للانطلاق في حملاتهم العسكرية، خاصة أنهم تعاونوا مع الأعراب وبعض القبائل الزناتية الذين دخلوا في ذمة النصارى وأحيانا يفرون بأنفسهم ويظهرون عداوتهم لهم. وقد اعتمد الاسبان على الجواسيس الطلائع المعروفين بالمغطسين⁵، للاطلاع على الأوضاع، وهناك قبائل "انخاشت له وأصبحوا شيعهم مثل قيزة، و حيمان، وغمرة، وبني ونزار وأولاد علي، وأصبحوا عيونهم وأعوانه الذين يشن بهم الغارات على الأبعدين"⁶، وقد استطاع الاسبان تجهيز حملة كبيرة

لاحتلال مدينة وهران وذلك بمبادرة الملك الاسباني فرناند وبعض الأساقفة⁷، بواسطة مؤامرة وغدر وغدر يهودي تم الاستيلاء على المدينة حيث شارك اليهودي أشطورا⁸ وهو من مهاجري الأندلس، الأندلس، والذي كان قابض المكوس العام لمدينة وهران وبمساعدة عيسى العربي وابن قانص (وهما

¹ -عبد الباسط ؛ المصدر السابق، ص 60.

² -جورج مارسى؛ بلاد المغرب و علاقاتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة عن الفرنسية محمود عبد الصمد هيكمل، راجعه و استخراج نصوصه مصطفى أبو ضيف احمد، توزيع منشأة المعارف الإسلامية، ص 268.

³ -حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2، ص 31.

⁴ -لمزيد من المعلومات التاريخية. يرجع لأحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، (1492-1792م) دار البصائر، سنة 2007م، ص. ص 67-86.

⁵ -عبد الرحمان الجامعي الفاسي أبو زيد؛ فتح وهران، رقم المخطوط 2521 عدد الأوراق 60، المقياس 175x220 المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر، ص، ص 09، 10.

⁶ -أحمد الشقراني؛ المرجع السابق، ص 65.

⁷ -حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2، ص 30.

⁸ -ذكر باسم سيتورا cettora، وأنه كان يعمل لحساب حاكم المرسى الكبير، نجيب دكاني، الوجود الاسباني على السواحل الجزائرية ورد الفعل الجزائري خلال القرن السادس عشر، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر السنة الجامعية 2001/2002. ص 26.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

قابضي المكوس يعملون تحت إدارته) وفي خضم المعركة استطاعوا فتح أبواب المدينة للجنود الاسبان¹، وهذا ما جعل المعركة تنتقل إلى داخل المدينة لتصبح حرب إبادة في السكان ونكبوا أهلها بين قتل وأسر². فنهب المدينة، وذبح الآلاف من حضرها³. وهذا ما أدى إلى انتقال السكان⁴، والاستقرار في الجبال خوفا من غدر الفرق العسكرية الاسبانية⁵ وقد تعدى هذه الخوف الخوف إلى المدن المجاورة فهين أهلها سكانها المدينة عندما بلغهم نكبة "وهران" فأصبحت خاوية على عروشها⁶، أما عن تاريخ سقوط المدينة فيتفق أحمد بابا

التنبكتي مع ابن مريم أن ذلك كان سنة أربعة عشر وتسعمائة (1508/914)⁷، لكن أحمد الشقراني وأبو راس الناصري فيرون أن تاريخ سقوط وهران كان سنة (1509/915)⁸. مع العلم أن الاسبان قد أخذوا برج المرسى⁹ قبل ذلك بأربع سنين¹⁰. وكان ذلك في عهد السلطان الزياني أبو قلمس الزياني، وعن عجزه في الدفاع عن المدينة جاء البيت الشعري¹¹:
حجافل الكفر قد حموا جوانبها¹²
وعن دفاعهم عجزا أبو قلمس.

-
- 1- أبو راس الناصري؛ عجائب الأسفار، ص 125.
 - 2- أحمد توفيق المدني؛ المرجع السابق، ص ، ص 100، 101، يورد حسن الوزان رواية مخالفة عن المؤامرة اليهودية في إسقاط المدينة، المصدر السابق، ج2، ص 31.
 - 3- هاينريش مالتسان؛ المرجع السابق، ص 29.
 - 4- يرجع للملحق رقم (08)، والتي هي عبارة عن خريطة توضح أهم معالم المدينة وريفها غداة الاحتلال الاسباني لها..
 - 5- خالد الناصري؛ المرجع السابق، ج4، ص . ص 49-143، كذلك أحمد الشقراني، المرجع السابق، ص 64.
 - 6- أبو راس الناصري؛ عجائب الأسفار، ص 44.
 - 7- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2، ص 15.
 - 8- أحمد بابا التنبكتي؛ كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الدير، دراسة وتحقيق محمد مصلح، ج1. المحمدية (المغرب) سنة 1421 هـ ص 131، وابن مريم، بالبستان في ذكر الأولياء والعلماء يتلمسان - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
 - 9- يذكر أحمد الشقراني بأن الاسبان بعد دخولهم إلى مدينة وهران أنزلوا اليهود برج المرسى وفاء بالعهد، وأصبح ينسب إليهم إليهم "برج اليهودي". المرجع السابق، ص 71.
 - 10- كانت الحملة الموجهة لاحتلال المرسى الكبير مكونة من 150 سفينة مختلفة الأحجام، و5000 جندي، وتم إنزال الجند في كاب فالكون cap falcon وتوسع أكثر يرجع، نجيب دكاني، المرجع السابق، ص 24، 25.
 - 11- أحمد الشقراني؛ المرجع نفسه، ص 64، أبو راس الناصري، المرجع السابق، ص 123.
 - 12- عبد الرحمن التوجيني؛ عقد الجمان النفيس ؛ ، رقم المخطوط 3323 . عدد الأوراق 155 المكتبة الوطنية الحامة الجزائر . ص 28.

الفصل الأول نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها

وسيكون لسقوط وهران في يد الاسبان آثار وانعكاسات جد سلبية على تلمسان وعلى الحكم الزياني إذ يعترف أبو حمو الثالث بالوجود الاسباني ويتعهد بدفع جزية سنوية قدرها باثنا عشر ألف دوقة¹، أما وهران فقد بقت أسيرة الحكم الاسباني لمدة ثلاث قرون ولم تعد للإسلام إلا سنة (1791/1206)².

¹ - أحمد توفيق المدني؛ المرجع السابق، ص 102.

² - جورج مارسيه؛ المرجع السابق، ص 335.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية في المدينة

1. النشاط الفلاحي لوهـران:

1/1. ظروف الإنتاج:

أ. المناخ

الواقع أن مناخ المنطقة لم يتغير عبر طول الفترة التاريخية لبلاد البربر، وإن كان أكثر رطوبة مما هو عليه الآن¹، وباعتبار المنطقة الوهرانية تطل على المتوسط فمناخها متوسطي، لكنه يتميز بنوع من قلة التساقط والجفاف لأنه كما سبق فالمنطقة تقع في ظل المطر، ويبقى قربها من الساحل يمنحها أكبر نسبة من الأمطار مقارنة بالمناطق الداخلية الغربية² الأكثر جفافاً.

ب. مصادر المياه:

تحدثت المصادر الجغرافية عن وفرة المياه في وهران، وفي ذلك جاء: "...ولها ماء سائح، وأنهار كثيرة وعيون"³، وذكرها البكري: "...ومدينة وهران ذات مياه سائحة..."⁴ وقد أورد هذه الملاحظة كذلك أبو الفداء: "...وهران لها مياه سائحة..."⁵، والواضح من هذا الوصف أن مياه وهران اتسمت بالجريان وبأنها سائحة، ولم يذكر عن استغلال الوهرانيون للصهاريج أو الخزانات، وهذا يوحي بأن مياهها عرفت استمرارية في الجريان وعلى طول السنة خاصة الوادي الذي يشق المدينة، فهو إذن واد فحل، و يبدو أنه كان يتغذى من العيون التي ذكرتها المصادر، حيث يذكر الحميري: "...و لها ماء سائح من عيون."⁶ والذي أقيمت عليه البساتين والأجنة، والتي كانت حسب شهادة الجغرافيون كثيرة ومن ذلك جاء: "...وماؤها "وهران" من خارجها جار عليها في واد عليه بساتين وأجنة كثيرة..."⁷، وقد استغلت مياه هذا الواد⁸ في شرب أهل وهران، حيث يذكر الحميري: "...وشرب أهلها (وهران) من واد يجري إليها من البر، وعليه

1- شارل أندري جوليان؛ المرجع السابق، ص 40.

2- يحي بوعزيز؛ المرجع السابق، ص 31.

3- كاتب مجهول؛ الاستبصار، ص 134.

4- البكري؛ المصدر السابق، ص 70.

5- أبو الفداء؛ تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ص 137.

6- الحميري؛ المصدر السابق، ص 612. يرجع كذلك للاستبصار، ص 134.

7- ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 79.

8- يدعى هذا الواد "واد الرحي"، وكذلك واد رأس العين، وكذلك واد ابن الخير. وقد ردم داخل المدينة وبقي بها على شكل

مجرى. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 39.

الفصل الثاني..... الحياة الاقتصادية في المدينة

بساتين وجنات...¹، هذا إضافة إلى استغلال مياه الواد في متطلبات المدينة مما يعني غزارة مياه الواد و استمراريته حتى أنه أقيم عليه أرحية ماء². وهذا الواد تناقصت مياهه تدريجيا، وأخذت تغوص في باطن الأرض مما جعل مياه المجرا قليلة، وربما هذا ما يفسر ظهور مشكلة الماء في المدينة والتي بدأت تتفاقم تدريجيا حتى أصبحت المرأة الوهرانية تجلبه من العيون، وقد عالج المتصوف إبراهيم التازي هذه المشكلة بإدخال الماء إلى المدينة. وإضافة إلى واد الرحي، توجد بالمنطقة أودية أخرى منها واد الهبرة، واد المقطع واد تليلات، واد مسرقين، وبوصفر³.

ج. السهول:

يصف جورج مارسيه وهران بأنها منطقة سهول صحراوية مرتفعة⁴، ويرجع جفاف السهول خاصة الجنوبية منها، لأسباب طبيعية مناخية على الخصوص، إذ تتعرض المنطقة إلى رياح حارة تجتاح المنطقة من الصحاري الجنوبية خاصة في فصل الصيف، وتصل إلى البحر المتوسط، بل إن طلائعها تصل إلى الساحل الشمالي للمتوسط⁵ (أوريا)، بينما نجد السهول الشمالية أقل جفاف لتوفر التساقط التساقط من جهة (خاصة في فصل الشتاء) ولوجود الأودية من جهة أخرى، والتي تعطي خصوبة للأراضي التي على ضفتيها، لكن هذه السهول تعاني من قلة اتساعها في الجهة الغربية بسبب وجود " جبل مرجاجو" الذي يمتد على طول هذه الجهة، ويصل انحداره إلى جهة البحر، كما أن المدينة اتسعت في الجزء الشرقي على السهل⁶ الممتد على يمين واد الرحي، وهذا بدوره قلص مساحة السهل السهل الخصب الذي يخترقه واد الرحي، و التي ستتقلص تباعا نظرا للتوسعات المتجددة للمدينة على سهلها، و سهول وهران هي، سهل المقطع و سهل أرزيو، وادي تليلات، السانية، الكرمة، مسرقين⁷.

1- الحميري؛ المصدر السابق، ص 613، وتؤكد هذه المعلومة الأحداث التاريخية التي عرفت فيها المدينة، ونخص بالذكر هنا حادثة محاصرة المدينة مرتين، حيث تم قطع الماء عنها مما أدى إلى إهلاك سكانها بالعطش، ومن ثمة إلى استسلامها، يمكن الرجوع للفصل السابق للتوسع أكثر.

2- البكري؛ المصدر السابق، ص 70.

3- يحي بوعزيز؛ المرجع السابق، ص، ص 30، 31.

4- جورج مارسيه؛ المرجع السابق، ص 336.

5- قرنان بردويل؛ المرجع السابق، ص 63.

6- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2، ص 30.

7- يحي بوعزيز؛ المرجع السابق، ص، ص 30، 31.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

كما تتوفر وهران على شريط ساحلي يجعلها مؤهلة لاستغلاله في صيد الأسماك.

1/ 2. طبيعة الإنتاج الفلاحي لوهران:

أ. المحاصيل الزراعية :

1. القمح:

أما عن السهول الأكثر جفاف في المنطقة، فالأرجح أنها خصصت لإنتاج الحبوب لأن المنطقة اشتهرت كذلك بانتشار الأرحية المائية¹ التي استغلت في عمليات الطحن لتزويد المدينة باحتياجاتها من الحبوب، فالأرحية المائية ارتبط وجودها بالمدن نظرا لما تتطلبه من تكاليف² من جهة، وما يتطلبه سكان المدينة من استهلاك كميات كبيرة من الطحين، لذا فإن إنتاج الحبوب في المنطقة وفيير خاصة أن الأسباب المحفزة على إنتاجه متوفرة إلى حد كبير من توفر الشروط الطبيعية الملائمة للإنتاج في المنطقة، إضافة إلى وجود منافذ تجارية تسمح بتسويق الفائض من الإنتاج إلى جهات عدة . فمن الشروط الطبيعية المناسبة لإنتاج القمح نجد ملائمة المناخ في جنوب المنطقة الوهرانية فهو "أكثر جفاف"، كذلك خصوصية بلاد المغرب في مكوث مخزونات الحبوب لمدة طويلة دون أن يصيبها التلف، وقد أورد العمري: "فإنه ربما بقي القمح، والشعير في بعض أماكنها ستين سنة لا يتغير، ولا يسوس..، ثم يخرج بعد خزنه المدة المطلوبة، فيزرع، وينبت، وخصوصا تلمسان في بر العودة³ .

أما عن السبب التجاري المحفز على إنتاج الحبوب، وبالخصوص القمح في المنطقة الوهرانية، فيعود ذلك إلى الطلب المتزايد على هذه المادة الغذائية من عدة مدن متوسطة، وخاصة الأندلسية منها وقد استغل النقل البحري لنقل القمح، والإبحار به لمسافات طويلة، وبتكلفة قليلة مقارنة بالنقل البري الأكثر تكلفة، لذا فقد خصصت المناطق القريبة من الساحل (المتوسطي) عموما في إنتاج

1- "مدينة وهران... ذات مياه سايحة وأرجاء ماء". البكري، المصدر السابق، ص 70. وجاء كذلك: "...ولها ماء سائح، وأنهار كثيرة، وأرجاء"، صاحب الاستبصار، ص 134.

2- ففي الأرياف قامت ربوات البيوت بطحن الحبوب بأيديهن. عكس المدينة. روبرت لوبيز، ثورات العصور الوسطى التجارية (950هـ/1350 م)، ترجمة وتقديم محمود أحمد أبو صمرة، سنة 1997، ص 63.

3- فضل الله العمري؛ المصدر السابق، ص 90.

الفصل الثاني..... الحياة الاقتصادية في المدينة

الحبوب، أما المدن الساحلية، فتكلفت بعمليات التسويق¹، وبذلك تكاملت عملية الإنتاج بعملية التسويق، وارتبطت المدينة بريفها بعلاقة اقتصادية مبنية على المنفعة المتبادلة.

وهناك إشارة لحسن الوزن على " أن وهران لم يسد فيها الرخاء، ولم يكن يؤكل فيها سوى خبز الشعير²، ونعتقد أن هذا الوصف فيه نوع من المحدودية الزمنية، بمعنى أن هذه الوضعية ناتجة عن ظروف مرتبطة بفترة زمنية معينة. ويوضح ابن خلدون عدم اهتمام الناس بالزراعة لأسباب منها ما هو طبيعي: " وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة، فطبيعة العالم في كثرة الأمطار. وقتلها مختلفة، والمطر يقوى، ويضعف، ويقل، ويكثر، والزرع والثمار على نسبته كما أن الأسباب السياسية لها تأثير على الإنتاج الزراعي خاصة الحبوب" فبسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات...، فيقل احتكار الزرع"³.

فالفرة التي وصفها الوزن تميزت باضطراب وانتشار الأمن خاصة في أواخر العهد الزياني، وقد ذكر الوزن في موضع آخر " أن ديار هبرة كانوا فلاحون في السهل الممتد بين وهران ومستغانم ويؤدون الخراج لملك تلمسان⁴. فكثرة الجباية من جهة والاعتداءات المتكررة للأعراب من جهة أخرى جعل الإنتاج قليل، وثمنه غالي هذا ما جعل السكان يستهلكون الشعير لقلة ثمنه

2. وفرة وتنوع الثمار نتيجة لكثرة الأجنة والبساتين:

رغم الإشارات القليلة للمصادر التاريخية، والجغرافية عن كمية ونوعية المحاصيل الزراعية في المنطقة الوهرانية، إلا أنه يمكن استقراء وتحليل بعض الإشارات الواردة في وصف الجغرافيين والرحالة للمنطقة، حيث نستشف من مختلف المصادر الإشادة بكثرة البساتين والأجنة على واد الرحي مثل ما جاء عند صاحب الاستبصار: " وهي مدينة كثيرة البساتين⁵ حتى أنه وجد في أجنحتها في رواية لعبد الباسط ق 9/15 حيوان مفترس (الأسد)، وفي ذلك يروي: "...خرج إنسان من أهل وهران إلى

1- بروديل؛ المرجع السابق، ص 116.

2- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج 2، ص 30.

3- عبد الرحمن بن خلدون؛ المصدر السابق، ص 242.

4- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج 1، ص 51، يمكن الرجوع لنفس المصدر لتوضيح حالة الاضطرابات و اللا أمن التي كانت تعيشها منطقة المغرب الأوسط عامة في أواخر العهد الزياني.

5- كاتب مجهول؛ المصدر السابق، ص 134، وذكر ابن حوقل كذلك: "...في واد عليه بساتين وأجنة كثيرة. المصدر السابق، ص 79.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

جهة أجنيتها في وقت السحر، وإذا بأسد عظيم لقيه فلما رآه ذلك الإنسان فزع منه فزعا شديدا وبدر بأن طلع إلى شجرة بالقرب منه...¹، وهذا يدل على أن لبساتين وأجنة وهران جهة و حيز خاص، ونعتقد أن الجهة المستغلة هي الجهة السفلية الشرقية (أي اليمنى) من واد الرحي على اعتبار أنها تمثل الأرض السهلية والقليلة العمران وقد اقام عليها أبو الحسن السور و البرج الأحمر سنة (1347/748)، والملاحظ كذلك من الحادثة المذكورة اتساع مساحة البساتين والأجنة مما يعطي وفرة، وتنوع الانتاج الزراعي خاصة فيما يخص انتاج الثمار و الفواكه، وهذا ما أشادت به المصادر الجغرافية، ومن ذلك جاء : "... في واد عليه بساتين وأجنة كثيرة البساتين والثمار..."²، ويذكر ابن حوقل كذلك: "... وأجنة كثيرة فيها من جميع الفواكه،... ومنها يحملون الغلال..."³ وإن لم توضح المصادر أنواع الثمار، فمن المرجح أنها نفسها الأصناف التي تنتج في المناطق المجاورة، والتي تشترك مع المنطقة في ظروف الإنتاج، ونجد من هذه الأنواع: الكرز والمشمش، والتفاح والاحاص والخوخ والتين⁴ وهذه الأنواع تنتجها وهران في الوقت الحاضر اضافة الى الرمان والزيتون ولا نستبعد وجود أصناف أخرى لتوفر السقي مما جعل المدينة تتوفر على مختلف الأشجار المثمرة والخضروات الموسمية، وقد ذكر توفرها على منتوجات زراعية في غير وقتها مثل الدلاع⁵.

هذا عن المحاصيل الزراعية الناتجة عن البستنة، والتي تعتمد على الزراعة المروية "المسقية"، والتي يبدو أنها كانت شائعة، ومنتشرة في منطقة وهران⁶، وخاصة على طول واد الرحي ويبدو أنها استفادت

1- عبد الباسط ؛ المصدر السابق، ص 63.

2- كاتب مجهول؛ المصدر السابق، ص 134. كذلك يرجع للإدريسي؛ المصدر السابق، ص 153.

3- ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 79.

4- ذكر حسن الوزان أن المناطق القريبة من هنين تنتج هذه الأصناف من الثمار، وهذه المناطق تتشابه ظروف إنتاجها مع ظروف الإنتاج الزراعي لوهران. المصدر السابق، ج2، ص15، 16.

5- وقد أورد ابن سعد التلمساني أن والده استقدم "الدلاع" من وهران إلى تلمسان. ابن سعد التلمساني ، روضة النسر في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة و تعليق و تحقيق ، يحيى بوعزيز ، منشورات anep، الابيار ، الجزائر سنة 2002. ص167.

6- وما يعزز هذا الرأي أن وهران يطلق عليها اسم "السانية"، وهي التسمية الاسبانية للناعورة (acena) ، و يستعمل هذا النوع من الري في زراعة الخضر و غرس الأشجار. ج.س كولان ، الأندلس، لجنة الترجمة ابراهيم خورشيد و آخرون، كتب دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني، دار الكتب المصري، سنة 1980، ص101. والسانية تعني في الأصل تركيبة من قطع خشبية تسمى "الوقاف" في نهايته ثقب يمر من محور البكرة، ويستخدم الحيوانات لرفع الماء بالدلاء لكن مصطلح "السانية" تطور مدلوله ففي تونس أصبح يرمز للأرض المسقية بدل مدلوله اللغوي. محمد السويسي، أنماط العمران البشري بإفريقية وجزيرة المغرب

الفصل الثاني..... الحياة الاقتصادية في المدينة

استفادت كثيرا من تقنيات الزراعة الأندلسية نظرا لتوافد المهجرات الأندلسية للمنطقة الوهرانية خاصة بعد سقوط الأندلس.

ب. وفرة الإنتاج الحيواني يعبر عن كثرة النشاط الرعوي:

رغم قلة المعلومات حول طبيعة الإنتاج الفلاحي في منطقة وهران خلال الفترة الوسيطية إلا أنه يمكن الاعتماد على الإشارات التي أوردها الإدريسي: "...و العسل بها موجود، وكذلك السمن و الزبدة و البقر و الغنم بها رخيصة بالثمن اليسير"¹. وأورد الحميري كذلك: "...وأهلها (وهران) في خصب، والعسل بها والسمن والزبد كثير، والبقر والغنم رخيصة"². ومن هذا الوصف يمكن ملاحظة التنوع في الإنتاج الحيواني (بقر، غنم، تربية النحل)، وكثرت هذه الاصناف جعل أسعارها في متناول سكان المدينة كما أنه وفر بعض المواد الأولية ذات الطابع الفلاحي لبعض الصناعات الأساسية داخلها، ومن هذه المواد نذكر على سبيل المثال، الصوف و الجلود. ووجه الفائض من هذه المواد الأولية للتصدير الى مختلف الجهات.

وترجع وفرة الإنتاج الحيواني الى النشاط الفلاحي والرعوي الكثيف، والمتنوع، وفرة البساتين و الأجنة شكلت مجال مناسب لتربية النحل، كما أن وجود الجبل، وما فيه من نباتات ساهم في توسيع المجال الرعوي، إضافة الى توفر المياه في واد الرحي وعلى طول السنة، وكذلك وجود سهول قريبة من المدينة سمحت لمربي المواشي الانتجاع بحيواناتهم بها في فصل الربيع أين الكأ³ والمكان المناسب لجز أغنامهم والعودة بالأصواف الى المدينة مع نهاية فصل الربيع⁴. ومن هنا نستخلص أن جزء من سكان وهران كانوا فلاحين اهتموا بتربية الحيوانات، وقد ربطتهم علاقات متينة بالبادية ومن المحتمل أنهم ملكوا

حتى العهد الحفصي مركز النشر الجامعي، سنة 2001، ص. لذا فمن المرجح أن المصطلح انتقل إلى وهران للدلالة على أراضيها المسقية.

1- الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 153. والحميري؛ المصدر السابق، ص 613. يمكن الرجوع كذلك لمحمود مقيدش، المرجع السابق ص 78.

2- الحميري؛ المصدر السابق، ص 613.

3- هناك مساحات كثيرة حول وهران أحراش تنمو فيها نباتات كالعليق والصبار وغيرها تصلح للرعي. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 32.

4- ذكر أحد الباحثين أن من عادة سكان المدن في الجبل الرعي وما يصاحبه من هجرة موسمية من المدينة الى البادية في فصل الربيع، وذكر أن المدينة تخلو من معظم ساكنيها. صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة و علاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني الهجري الى القرن الثالث الهجري، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، سلسلة دراسات تاريخية (50)، سنة 2006، ص 45.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

أراضي واسعة خارج المدينة خاصة من المجموعات الازداجية على اعتبار أنهم امتنوا الزراعة والرعي منذ القدم، وامتلكوا أراضي كثيرة بعضها خلف أسوار المدينة، ويبدو أنهم استغلوا بشكل مباشر أو غير مباشر عبر وكلاء مكلفون¹.

ويمكن أن نشير إلى توفر ثروة حيوانية أخرى هي الثروة السمكية على طول ساحل وهران. رغم أن المصادر لم تشر إليها.

2. النشاط الحرفي والصناعي:

2/1. ظروف الإنتاج:

يبدو أن النشاط الحرفي والصناعي لمدينة وهران هو انعكاس على إمكانيات المنطقة من جهة، وحاجيات سكانها المختلفة من جهة أخرى. وقد وصف حسن الوزان أن سكان وهران معظمهم من الحاكة والصانع². ولذا سنحاول إبراز مختلف الحرف و الصناعات التي احتلت مكانا في المدينة رغم أن الكتابات التاريخية لم تذكر طبيعة هذه الصناعات و الحرف ما عدا (الحياكة) واكتفت بوصف كمي عام عبر عن كثرة الصانع دون الخوض في نوع الصنعة أو الحرفة، وربما ما يفسر هذا التعميم لتشابه صناعات وحرف مدينة وهران مع باقي المدن المغربية الأخرى، وعدم وجود ميزة اختصت بها صناعة معينة في المدينة. كما يبدو أن المنتوجات الحرفية والصناعية كان أغلبها موجه للسوق المحلية، وربما ما يفسر ذلك طبيعة صادرات المدينة، والتي كان معظمها مواد خام غير مصنعة. ومن الذين أشاروا إلى الصناعة في وهران، نحمد العبدري، والذي لم يعجبه شيئا في مدينة وهران ومن ذلك معاملها، وجاء: "أنه لا يلقي بها معمل يراعه"³. ونأخذ هذا الوصف بتحفظ لأن العبدري ربما بالغ بعض الشيء في نقل الصورة السيئة التي آلت إليها المدينة وصناعاتها في ذلك العصر (القرن 13/7)، فبعض الصناعات والحرف لا يمكنها أن تتهاوى، وتضمحل لارتباطها الوثيق بحاجيات السكان الأساسية خاصة أننا نتحدث عن مدينة مازالت مستمرة، وتعيش يومياتها بأنشطتها المختلفة. وعلى خلاف شهادة العبدري نجد شهادة أخرى متأخرة زمنيا تعود للقرن 16/10 والتي أشادت بكثرة المصانع في المدينة، فقد أوردها حسن الوزان، وجاء "أن معظم أهلها من الحاكة

1- وهذه الظاهرة عرفتها الكثير من المدن المغربية فالكثير من أهل المدن امتلكوا مساحات واسعة من الأراضي الريفية. محمد سويس، المرجع السابق، ص 49.

2- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج 2، ص 30.

3- العبدري؛ المصدر السابق، ص 131.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

والصناع"¹، والحميري القرن 14/8 يصفها: "و بها (وهران) صنائع كثيرة"². ويمكن الإشارة إلى بعض الحرف و الصناعات الموجودة في وهران ،وذلك انطلاقا من المعلومات المتوفرة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

2/2. طبيعة الصناعات و الحرف الموجودة في مدينة وهران :

أ. صناعة النسيج و مساهمة المرأة في عمليات الإنتاج:

تتطلب الحياكة إلى مواد خام مثل: الصوف، الكتان، والقطن³ ، و يبدو أن المنطقة اعتمدت على الصوف أكثر كمادة أولية للحياكة، وذلك على اعتبار أن وهران تتوفر على الصوف الرخيص⁴. كما أن سكان وهران يفضلون صناعة نسيج الصوف⁵، و يرى بعض الباحثون أن القسط الكبير من صناعات النسيج: من نسج و دهن ثم خياطة كانت ضمن مجال عمل المرأة وعادة ما تقوم به في بيتها إضافة إلى عمل النساجون الذين كانوا يمارسون العمل في الأحياء السكنية⁶، وكانت الأسرة تساعد الأب في حرفته فالزوجة و الأبناء يشاركونه العمل، ومن ثمة توارث هذه الصنعة⁷ خاصة من من الأم إلى بناتها. وقد وردت نوازل للمازوني حول كراء المناسج وقضايا أخرى تتعلق بالحياكة⁸، ويبدو أن هذه المناسج قد تم توارثها من جيل إلى آخر، و داخل الأسرة الواحدة، وان كانت بعض الأسر لم تستغلها في عملية النسيج فقد استفادت من الكراء.

وقد استمر هذا النشاط في المدينة طيلة العصر الوسيط وبعده ، ونلمح ذلك من خلال الكثير من الإشارات، إضافة الى استيراد المدينة للملف الصوفي من الخارج ، وقد كان يستورد الملف من مدينة فلندة الافرنجية، والتي اشتهرت بثياب الملف الصوفي والملاحظ أن قرب هذه المدينة توجد مدينة

¹ - حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2. ص30.

² - الحميري؛ المصدر السابق، ص 612.

³ - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ص 333.

⁴ - الحميري؛ المصدر السابق، ص 613.

⁵ - Henri Leon Fey .op.cit.p54.

⁶ - Maya Shatzmiller ; L' organisation du travail dans L' Islam médiéval d après les fatwas ; Le cas du mi' ya , Hommages claude cahen , Res Orientale , VI. p 370.

⁷ - عز الدين عمر موسى ؛النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ،دار الغرب الإسلامي بيروت ،سنة 2003. ص 216.

⁸ - المازوني ؛ المصدر السابق ،ج3. ص / ص 718/683.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

افرنجية في الشمال هي أفلندة¹ هذه الأخيرة ربطها طريق ملاحى تجاري مع مدينة وهران كما جاء عند الرحالة عبد الباسط². ونرجح أن أفلندة صدرت الملف الصوفي والكثير من منتوجات الافرنجة الى المغرب الأوسط عن طريق محطة وهران. وعن الملف فقد لقي رواج لدى العديد من الفئات الحضرية رغم رفض البعض من المحافظين لباسه لكونه يقع ترطيبه بشحم الخنزير³ وقد استقبلت الزاوية الزاوية التازية في مدينة وهران هدايا تمثلت في الملف الصوفي حيث أحضر احد الأعيان ملف اسود(ذكر أكحل) رفيع طوله قصبة ونصف ،وأعطاه لتازي ،الذي بدوره أعطاه لأحد الحاضرين لخياطة البرنوس⁴ ، وقد ذكر البرنوس من بين منتوجات المدينة التي تبادلتها تجاريا مع الأندلسيين والايطاليين خصوصا⁵.

كما عبرت الأمثال الشعبية الوهرانية على جوانب متعلقة بالنسيج ،وأحاطت بمراحله المختلفة من تركيب الألوان الصبغية للنسيج إلى عمليات البيع و الشراء وغيرها من الأعمال .ومن الأمثال " أشكون عرفك يا عزى في سوق الغزل"⁶ ، وقد كان للمرأة خروج معهود إلى أسواق الغزل وما صاحب ذلك من تفشي بعض الأفعال المنكرة والتي أظهرتها كتب الحسبة وحاولت إيجاد حل للتقليل من ارتياد النساء لسوق الغزل⁷.

كما عرف على المدينة أنها صدرت الصوف كمادة خام إضافة إلى المواد الصبغية مثل القرمز التي كانت تنتجه⁸. ويبدو أنها صدرت الفائض من انتاجها بالنسبة للصوف و القرمز.وقد عرفت صناعة

1- أبو عبد الله بن أبي بكر الزهري ؛ كتاب الجغرافيا، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، الناشر مكتبة الثقافية الدينية، بور سعيد، مصر، ص76.

2- عبد الباسط ؛ المصدر السابق، ص67 .

3- محمد حسن ؛ المدينة والبادية في العهد الحفصي ، ج1. المجلد 2. تونس، سنة 1999 ، ص484.

4- ابن صعد التلمساني ؛ المصدر السابق، ص170. و على ما يبدو أن المدينة استوردت ثياب الملف الصوفية القادمة من فلندا كذلك يرجع، عز الدين موسى ، المرجع السابق، ص328.

5-Eugène Cruck ; ORAN ET Les Temoins de son passé , recits historiques et anecdotiques avec un plan de la ville , 1956 . p 28 .

6- من ذلك بالرزانة تنباع الصوف .زهرة لباني و آخرون ،قاموس ألف وواحد مثل وهران (غرب الجزائر)، دار الأديب ص /ص 143 /94.

7- أبو عبد الله بن سعيد العقباني التلمساني ؛ تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر ، تحقيق ،علي الشنوفي الشنوفي ص213.

8- محمد حسن؛ المرجع السابق ، ص486.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

النسيج في المغرب بعض المشاكل خاصة في ما يتعلق بنقص بعض أنواع من الأصباغ. فقد نتج عن قلة الزعفران المستعمل في الصباغة إلى استبداله بمادة أخرى هي الطرطار والذي ينبت في الخمر ويصبغ به الصوف الأحمر¹. ونجد لهذه المادة الصبغية ذكر في مثل وهراني "تلقى الشب مع الطرطار وطلعت السباغة رنجية (أي برتقالية)"².

وان كان الصوف هي المادة الرئيسية في الصناعة النسيجية في وهران، فإننا لا نستبعد استعمال القطن كمادة أولية للمنسوجات الرفيعة، خاصة أن القطن كان يزرع في تنس (القرية من وهران)، كما أن بعض الدور في المغرب الأوسط خصصت لإيداعه³. وهذا يعبر على توفره في الكثير من المدن، إضافة إلى أن مدينة وهران عرفت وجود يد عاملة أندلسية، شكلت جزء مهم من العمران البشري للمدينة وقامت بنشاطات داخلها. خاصة أن المدن الاندلسية القريبة من وهران اختصت صناعاتها النسيجية في الحرير فأهل المرية برعوا في الحياكة، وطرز الحرير، وبلغ عدد الطرازين فيها ثمانمائة طراز⁴. وهذا ما يجعل من الصناعة النسيجية القطنية ممكنة جدا في وهران.

ب. الخياطة في وهران:

لكن الحياكة تتطلب، و ترتبط مع صناعة أخرى مكملتها هي الخياطة، وبما أن الحاكة كانوا بكثرة في المدينة، فلا نستبعد وجود الخياطة بكثرة كذلك لارتباطهما وتكاملهما، فالأولى توفر قطع الأكسية والثانية تعطي التجهيز النهائي للثوب، وكلاهما ضروريان للعمران البشري مع ارتباط الخياطة أكثر بالعمران الحضري⁵. لهذا فالمدينة إضافة إلى القرى التي في ريفها، احتاجت إلى الصناعتين، وان كانت الأولى منتشرة داخل المدينة و خارجها فإن الخياطة اختصت بها المدينة وزودت السوق المحلي الريفي بمنتجاتها من الملابس، ويبدو أن كلا الصناعتين اكتفت بالسوق المحلي للمدينة، وريفها دون التوجه للتصدير إلى مدن أخرى بينما صدرت المدينة الفائض من الصوف كمادة خام إلى مختلف الجهات.

1- عز الدين موسى؛ المرجع السابق، ص 231.

2- زهرة ألباني؛ المرجع السابق، ص 43.

3- المازوني؛ المصدر السابق، ج 3، ص 43 / 103.

4- عز الدين عمر موسى؛ المرجع السابق، ص 218.

5- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ص 333.

ج. صناعة السفن (صناعة قديمة و متجددة):

كانت وهران من بين المحطات التي أقيمت بها دور لصناعة السفن، وما تكليفها بإنشاء قطع من الأسطول العسكري الموحد¹، لدلالة على أهمية صناعتها في بناء السفن خاصة أن هناك من الباحثين من يعتبر أن هذه الدار لإنشاء السفن بوهران قديمة النشأة، وأن الموحدين جددوها فحسب²، ومن المعلوم أن المنطقة تتوفر على إحدى المواد الخام في صناعة السفن هو الحديد³ الذي يوجد بالقرب من وهران⁴.

د. الحدادة:

ولأن الحديد لا يستغل مباشرة في صناعة السفن، فمن المرجح وجود الحدادة في المدينة لتوفير حاجيات صناعة السفن، من جهة، ولتوفير القطع الحديدية لصناعات الأخرى، وقد ذكر عالم وهراني باسم علي بن قاسم الشهير بالحداد الوهراني⁵، و يبدو أن الحدادة كانت مهنة هذا العالم، مما يعطي إمكانية على وجود الحدادة في وهران بشكل واسع، خاصة أن المدينة عرفت بصناعة الأسلحة البيضاء مثلة في (السيوف)⁶، والتي تعتمد على الحديد كمادة خام في صناعتها.

هـ. الصناعات الغذائية وما ارتبط بها:

ومما سبق اتضح أن وهران عرفت انتشارا للأرجية المائية على طول واد الرحي وهذا له دلالة على وجود الطحانين، وهذا النشاط ضروري لمعاش المدينة. كما وجد الفرنانون، والذين كانوا يطحنون

¹ - ابن أبي زرع الفاسي؛ المصدر السابق، ص 201.

² - عز الدين عمر موسى؛ المرجع السابق، ص 233.

³ - استعمل الحديد في صناعة أجزاء مهمة لبناء السفن مثل المسامير والكلاليل والسلاسل، فاطمة بلهوارى، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، رسالة مقدم لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الوسيط كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية - قسم التاريخ وعلم الآثار - السنة الجامعية (2004-2005م) جامعة وهران - السانبا - ص. ص 208-210.

⁴ - "... وفيها بين سبتة ووهران موضع قريب من ساحل البحر يسمى تمسامان فيه معدن حديد...". عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 362. كما أورد البكري كذلك: "...وبقرب مدينة أرزوا جبل كبير... وفي هذا الجبل معدن الحديد والزئبق... وبين مدينة أرزوا هذه ووهران أربعون ميلا...". المصدر السابق، ص 70.

⁵ - أبو القاسم الحفناوي ؛ تعريف الخلف برجال السلف مؤسسة الرسالة ، ج2. المكتبة العتيقة ، تونس ، سنة 1402 هـ 1982. ص، 276.

6 - Henri Leon Fey .op.cite.p54.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

قمحهم في الرحى ليخبز على شروط صحية ضبطتها الحسبة ابتداء من طريقة الطحن و العجن و الخبز و الطبخ، ليوزع على الحوانيت¹. وقد غلبت صناعة خبز الشعير على باقي الأنواع في مدينة وهران خلال القرن 16/10². ومن الصناعات التي تعتمد على الطحين وانتشرت في المدن نجد صناعة الكعك. وهناك صناعة مرتبطة بالأدوات المرتبطة بعمليات صناعة الخبز، ونقصد هنا صناعة الغرابيل. ومن الصناعات الغذائية التي كانت منتوجاتها تتوفر بكثرة في أسواق المدينة نجد عصر الشهد لاستخلاص العسل³. ونعتقد أن مدينة وهران عرفت صناعات أخرى مثل عصر الزيتون لاحتمال انتاجه من جهة، ولتوفر الماء للأرحية المائية لعصره.

و. النجارة و الخرازة:

ومن بين الصناعات التي ذكرت كألقاب مكملية للتعريف ببعض علماء وهران، نجد ذكر المفتي أبو العباس سيدي أحمد بن أبي جمعة المغراوي النجار⁴، ويبدو أن مهنة والده كانت النجارة، لذا النجارة، لذا عرف بها، كما أن المدينة عرفت بصناعة السفن مما يجعل النجارة منتشرة في المدينة خاصة في دار بناء السفن. وذكر عالم آخر باسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمذاني الوهراني يعرف بابن الخراز⁵. فالخرازة إذن كانت موجودة في وهران.

ز. الصناعات الجلدية:

من الصناعات التي نعتقد أنها كانت موجودة في وهران الصناعات الجلدية، وذلك لانتشار الدباغة والتي تتموضع عادة على مخارج أسوار المدينة، وفي حالة وهران فموضعها في الجهة الشمالية الشرقية محاذية لمخرج واد الرحى من المدينة. ونعلم أن الجلود في وهران كانت جد متوفرة لتوفر المواشي (البقر و الغنم) كما أسلفنا ذكره. وقد صدرت المدينة جلود الثور المدبوغة⁶ مما يوحي بكثرتها. ويبدو أن

1 - أبو عبد الله بن سعيد العقباني التلمساني؛ المصدر السابق، ص، ص 118، 119.

1 - حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2، ص 30.

2 المازوني؛ المصدر السابق، ج1، ص/ص 55/ 292.

4- بن عودة المازري؛ المرجع السابق، ص 86.

5- أبو جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي؛ بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ذيل لكتاب جذوة المقتبس للحميدي)، للحميدي)، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهرسه صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صدا- بيروت، سنة (1426هـ - 2005م) ص 339.

6- Henri Leon Fey .op.cite.p54

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

سكان وهران استخدموا القرمز في الدباغة¹ الى جانب استعماله في النسيج وصدر الفائض منه الى الخارج. وحسب ما أورده أحد الباحثين فان سكان وهران كانوا يجدون الصناعة النسيجية الصوفية². هذا عن الحرف، والصناعات التي أشارت لها الكتابات التاريخية، لكننا لا نستبعد وجود حرف وصناعات أخرى يحتاج لها العمران البشري، كما أن المدينة لعبت دور في التجارة المغربية والمتوسطية، وبالتالي فإن توفر بعض المواد الخام لمختلف الصناعات كان ممكناً، ومتاح للحرفيين والصناع، الذين إلى جانب توفر المواد الأولية توفرت كذلك الأسواق داخل المدينة، وفي ريفها كما يمكن تصدير الفائض من الإنتاج إلى مختلف الجهات.

3. النشاط التجاري في المدينة

1/3. الدافع التجاري ودوره في نشأة المدينة واستمرارها:

أ. حقيقة الدافع التجاري للنشأة:

يرى بعض الباحثين أن نشأة وازدهار العمران في العالم الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين مرتبط بدينامكية اقتصادية مرتبطة بجغرافية المسالك التجارية العالمية³. وقد كان للشمال الإفريقي دور في التبادل التجاري، ونخص بالذكر تبادل الذهب والعبود من جهة وتبادل الملح والنسيج والنحاس من جهة أخرى⁴. حتى أن نشأة مدن في المنطقة ارتبط بالدورة التجارية و جاء كترويج للحركة التجارية التي ميزت المنطقة. حيث يرى بروديل أن تأسيس وهران جاء نتيجة وصول بودة الذهب إلى شمال إفريقيا⁵. و أعتقد أن هناك سبب آخر وجيه لتأسيس مدينة وهران، وهو متعلق باهتمام الأندلسيين بالحصول على الغذاء كأولوية غذائية قبل أي منتج تجاري آخر؛ فوصف ابن حوقل الجغرافي الشيعي للمدينة، يعبر عن نظرة ثاقبة لحقيقة دور المدينة في تزويد الأندلس بالغذاء خاصة الحبوب في ق(4/10)، وفي ذلك يقول: "وهران هي فرضة الأندلس إليها ترد السلاح، ومنها يحملون الغلال"⁶، ويذكر الإدريسي كذلك: "...ومنها (وهران) أكثر ميرة

3- ذكر أنه جرت "العادة على استعمال القرمز في الدباغة". عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص230.

2 - Henri Leon Fey .op.cite.p54

3- الحبيب الجناحي؛ المجتمع العربي الإسلامي، عالم المعرفة، صدرت السلسلة بإشراف أحمد مشاري العدواني، الكويت، سنة

1990، ص 76.

4- بروديل؛ المرجع السابق، سنة 1990، ص 102.

5- بروديل؛ المرجع نفسه، ص 101.

6- ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 79. يمكن الرجوع لنفس المصدر للاطلاع على نشاط التجار الأندلسيون في المغرب.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

ساحل الأندلس"، كما ورد أيضا أن مرسى أرزاو القريب من وهران كانت "تجلب إليه الخنطة، فيسير بها التجار، ويحملونها إلى كثير من البلاد..¹، ومن هنا تتضح أهمية المدينة، والمراسي القريبة منها في تصدير الغذاء خاصة إلى الأندلس حتى أن السفن القادمة من وهران إلى الأندلس كانت عادة ما تكون محملة بالقمح² لتجار أندلسيين³. والذين على ما يبدو كانوا يحتكرون تجارة الغذاء. والملاحظ من الأوضاع السياسية الأندلسية التي صاحبت تاريخ تأسيس مدينة وهران أنها تميزت بالاضطراب السياسي في ذلك العهد⁴، مما قلل من احتكار الدولة الأموية للحبوب⁵، وما نتج عنه من أزمات زادت الوضع تأزما تطلب تدخل السلطة في البحث عن مخرج، وربما هذا ما يفسر تكليف محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون بالسعي لإنشاء قاعدة قاعدية مغربية تستغل لتوريد الحبوب خاصة أن الأندلس عرف دورات من القحط والمجاعات والأوبئة منذ القديم، عبر فترات من عصره الوسيط، وكان يستعين في محتته بالاستيراد من العدو المغربية بل أن في بعض الحالات تقوم هجرات لأعداد كبيرة من الأندلسيين إلى أرض العدو هروبا من القحط⁶ وفي سنة (288/900) عرفت الأندلس الوباء و المرض، فهلك بها من الناس ما لا يحصى عددهم⁷. وهذا التاريخ قريب من تاريخ تأسيس المدينة (290/902) مما يعطي أهمية الدافع التجاري في توفير الحاجيات الغذائية كضرورة مستعجلة لسكان قرطبة⁸، وسكان الأندلس عموما.

¹ - الإدريسي؛ المصدر السابق، ص/ص 171/153.

² - ليوبولدو تورس بالباس؛ المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة اليو دورو دي لابنيا، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية الرياض، سنة 1423هـ /2003م. ص122.

³ - Atallah Dhina:; Les Etats De L'occident Musulman Aux Xiii.Xiv Siecles, Office Des Publication,Universitaire ,Alger P 518.

⁴ - طبقت الفتنة في أيام عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (275هـ . 300هـ) جميع آفاق الأرض، فخرجت عليه جميع بلاد الأندلس ما عدا قرطبة.. "مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، سنة 2007. ص199.

⁵ - وهذا سبب سياسي لفقدان احتكار الحبوب . ابن خلدون، المصدر السابق، ص242.

⁶ - فخري الوصيف؛ المجاعات في الأندلس، من الموقع الإلكتروني

⁷ - مؤلف مجهول؛ المصدر السابق، ص200.

⁸ - يرى حسين مؤنس أنه من سوء حظ عاصمة الدولة الأموية "قرطبة" أن تقع في جنوب شبه الجزيرة الأندلسية، لأنها منطقة شبه شبه صحراوية أقل خصبا من الشمال، والشرق. موسوعة تاريخ الأندلس، ج1. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، سنة 1996/1416. ص134 .

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

وقد نشط التجار الأندلسيون في إنشاء شبكة طرق تجارية بحرية في العدو المغربية بهدف توسيع خريطة المدن التجارية الأندلسية -إن صح التعبير- و من ثمة تحقيق تموين دائم من الحبوب لتجاوز مشكلة نقص الغذاء في العدو الأندلسية. وقد وصف أحد الباحثين أن الزروع كانت ثروة غير قابلة للنفاد استغلها سكان وهران في عمليات التصدير¹، وهذا كله يعبر عن البعد الغذائي الاستراتيجي للمدن المغربية الساحلية بالنسبة للأندلس بالخصوص.

ب. تجارة الذهب و الصراع الأموي الشيعي :

وبتتبع الأحداث التي عرفتها المدينة في خضم الصراع السياسي الأموي الشيعي نستشف وقوف الدافع التجاري كذلك وراء هذه الأحداث، فحرق المدينة مرتين و إعادة تعميرها في ظرف وجيز لدلالة على أهمية، وحيوية دورها التجاري. فبالنسبة للأموي الأندلس، ونظرا لتطرف جزيرتهم وإحاطتها بالمياه من معظم الجهات جعل من الخطوط الملاحية أهمية خاصة التي ترتبط بخطوط مباشرة من موانئ المغرب. و وهران نموذج عن ذلك فهي تناظر ميناء اشكوبرس²، وقد لعبت هذه الخطوط الملاحية التجارية دور الشرايين في دعم الاقتصاد الأندلسي خاصة في جعل طريق تجارة الذهب نحو الغرب، وقد دافعت السياسة الأموية خاصة في عهد عبد الرحمن الناصر على حماية هذا المسلك ومنع تحويله إلى الشرق بسبب الخطر الشيعي³. لكن استيلاء الفاطميون في فترات على المدن الواقعة في هذا هذا المسلك، ومنها وهران أضر بالاقتصاد الأندلسي وحقق أرباح للدولة الشيعية التي استفادت من الضرائب والمكوس على هذه الموانئ⁴.

وتجدر الإشارة أن إقحام القبائل المغربية صنهاجة، و زناتة في الصراع الأموي الشيعي جاء للاستيلاء على مسالك التجارة الصحراوية⁵ وحتى البحرية.

¹ -Henri Leon Fey .op.cite.p54.

² - فتحي زغروت؛ العلاقات بين الأمويين والفاطميين في الأندلس والشمال الإفريقي (300-350هـ)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، سنة (1427هـ-2006م)، ص 224.

³ - الحبيب الجناحي؛ دراسات مغربية، المرجع السابق، ص 87. ويرى نفس الباحث أن زناتة فقدت التحكم في مسالك التجارة الصحراوية التي لطالما هيمنت عليها في فترة الرستميين، وذلك بظهور الخطر الفاطمي ودعمه لصنهاجة في صراعها مع زناتة على هذه المسالك. يرجع لنفس المرجع للتوسع، ص 79.

⁴ - فتحي زغروت؛ المرجع السابق، ص 224.

⁵ - الحبيب الجناحي؛ دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت (لبنان)، (يناير) سنة 1980، ص 79.

ج. تزايد الأهمية التجارية للمدينة في العهد الموحي و الزباني:

وبتمركز السلطة الموحدية في جهة الغرب من المتوسط ، فقد اهتمت بالمدن الساحلية المتوسطية القريبة منها ، والتي تتوفر على إمكانيات طبيعية من اتساع لمراسيها وحصانيتها الطبيعية وذلك لاختيارها كموانئ رئيسية للدولة ، و من ثمة تفعيل مدنها تجاريا . و تشير الوثائق التاريخية ومنها الرسائل الموحدية إلى مدينة وهران كإحدى أهم أربع مدن تجارية في العهد الموحي و تم اختيارها كمحطة للتجارة الخارجية مع المدن الإيطالية¹ ، مع العلم أن الموحيين لما استولوا على المدينة خربوها ونهبوها ، لكن يبدو أنهم سرعان ما أعادوا تعميرها وإعادة الاعتبار لدورها الحيوي في التجارة المتوسطية.

وفي الفترة الزبانية ، وما تخللته من فترات حكم مريني و حفصي عرفت المدينة نشاط تجاري كثيف ، واهتمام من السلطة التابعة لها ، و يرى أحد الباحثين أن المحاولات المرينية لتوحيد المغرب ما كانت إلا لمحاولة إخضاع المسالك والموانئ و الأسواق للسيادة المرينية ، و وضع اليد على غالبية التجارة الصحراوية².

كما أن سقوط المدينة في يد الأسبان أفقد تلمسان العاصمة الزبانية مورد مالي مهم انعكس على وضعيتها الاقتصادية ، وحتى السياسية ، ومن ثمة إعادة تعمير المدينة في كل مرة من تخريبها يرجع لإدراك الدول المتداولة على حكمها أهمية نشاطها التجاري خاصة أن المدينة كانت ضمن شبكة تجارية متوسطية قديمة ، ومتجددة ، كما يمكن التنويه أن سكان وهران امتنهم الكثير منهم التجارة حتى أن ياقوت الحموي يصف سكانها بـ : "وأكثر أهلها تجار"³ ، لذلك فتعميرها في كل مرة ضرورة اقتصادية لسكانها و للدول التي تسيطر عليها ، وقد عبر عن هذه الطبيعة التجارية لوهران المثل الشعبي الوهراني : "وهران حوينتتات أشري تأكل ، أكري تبات"⁴ .

2/3. تجارة المدينة الداخلية :

1/2/3. التجارة داخل المدينة:

¹ - رسائل موحدية؛ المصدر السابق، ص. 173. 175.

² - محمد فتحة ؛ النوازل الفقهية و المجتمع ، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 الى 9 الهجري 12-15 ملادي)، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، سنة 1999، ص 299.

³ - ياقوت الحموي ؛ المصدر السابق، ص 443.

⁴ - زهرة لباني ؛ المرجع السابق، ص 175.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

ككل المدن المغربية نشطت التجارة الداخلية عبر مختلف القيصريات و الأسواق، والتي كانت تتدفق إليها السلع من مختلف الجهات، إضافة إلى توفر للمنتوجات النباتية والحيوانية المحلية من حبوب و لحوم وألبان، العسل والسمن والتي كانت أسعارها زهيدة، كما توفرت بعض المنتوجات الحرفية مثل الألبسة الصوفية، والسيوف وقد اختص بعض الأسواق في بيع منتوجات محلية مثل سوق الغزل. كما نعتقد وجود سوق خاص بالنخاسة وذلك لأن المدينة أصبحت "تزخر بالأسرى المسحيين" نتيجة أعمال القرصنة¹، من جهة ومن جهة أخرى أن المدينة كانت مهبط لسلع الجنوب، والتي كان من بينها العبيد السود. وعرفت وهران وجود الدكاكين والحوانيت، والتي انتشرت بين الدروب والأزقة، وعلى الشارع الرئيسي للمدينة محاذية للمسجد الجامع، وعن حركية النشاط التجاري داخل المدينة، فيبدو أنه خضع كغيره لسلطة المحتسب في مراقبة الأسعار والمكايل لمختلف السلع المعروضة للبيع، وقد كان لدلال دور بين البائع والمشتري داخل الأسواق².

ويتضح من خلال بعض الشهادات القليلة لتجار مروا على المدينة حالة التجارة الداخلية، فقد أورد الرحالة عبد الباسط معلومات مهمة عن نشاطه التجاري تظهر فيه مدينة وهران كنقطة عبور، ومما جاء "أنه كوفئ من طرف صاحب تلمسان بإعطائه ظهيرا يتضمن مساحته في كل ما يتصرف فيه من نوع المتجر، وإنزاله بمكان بواهران إلى حين سفره، ورتب له بها شيئا ما بين لحم، ودقيق، وعليق"³ ويتضح من هذه الرواية تدخل وتحكم السلطة الزيانية في جزء مهم من التعاملات، والمنشآت التي تخدم النشاط التجاري داخل المدينة حيث كانت تمنح ترخيص وتسهيلات لفئات معينة من التجار.

2/2/3. التجارة مع ضواحيها:

يصف العبدري مدينة وهران بأنها متجر لتلك النواحي⁴، ويذكر صاحب الاستبصار أنها من أعز البلاد، ولها نظر كبير⁵، وقد ذكر البكري في معرض حديثه عن الطريق بين وهران والقيروان، "أنه لما تخرج من وهران إلى تانسلمت، و وصفها بأنها قرية لازداجة بها سوق، وهي في طرف جبل جيدر).

1- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2. ص30.

2- المازوني؛ المصدر السابق، ج3. ص/ص 683/ 692..

3- عبد الباسط؛ المصدر السابق، 48.

4- العبدري؛ المصدر السابق، ص 131.

5- صاحب الاستبصار؛ المصدر السابق، ص 134.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

هيدور) ومنها إلى جراوة لعزیزوا وهي سوق ، ومنها إلى قصر ابن سنان الازداجي¹ . والواضح أن المدينة يحيط بها قرى عديدة ومن بينها ما يتوفر على أسواق، كما أن قصر ابن سنان الازداجي يحتمل أنه قرية محصنة تمثل مأوى لسكان المنطقة ،ومخزن للحبوب على عادة العديد من القصور في المغرب² . وهذا ما يجعل التبادل التجاري بين المدينة وضواحيها أكثر نشاط خاصة أن المدن المغربية اعتمدت في تمويلها على البادية ،و هذا التبادل كان لصالح التجار الحضريين السوقيين الذين كان بإمكانهم التوغل بعيدا داخل البلاد³ . والمرجح أن هذه الأسواق الريفية هي أسواق للجملة اختصت ببيع الحبوب و الأصواف ،وغير ذلك من المواد الفلاحية الخام.

3/2/3. إشكالية المكوس على السلع الواردة إلى المدينة:

وعن سير هذا النشاط التجاري بين المدينة ،وظهيرها وعن الفاعلين في حركيته ،يمكن الاعتماد على المعلومات الوصفية للرحالة عبد الباسط إضافة إلى المعلومات الفقهية الخاصة بأمور الحسبة ،و الصادرة من علماء المنطقة . ويشير عبد الباسط عن حادثة وقعت لإحدى التجار يمكن من خلالها أن نستشف بعض المعلومات على سير النشاط التجاري داخل المدينة وطبيعة تعاملها التجاري مع السلع القادمة لها من خارج الأسوار فقد أورد عبد الباسط: " جرت بوهرا ن غربية وهو أن شخصا من التجار قدم إليها بأشياء من جملة ذلك ثلاثة قرون⁴ ملئ بالزباد⁵ الجيد يساوي قيمتها قيمتها جملة من المال، فحاف إن دخل بها من باب المدينة يؤخذ عشرها، فأوسع الحيلة قبل أن

1-البكري؛ المصدر السابق، ص 71.

2-محمد حسن ؛ المرجع السابق ،ص66.

3-محمد فتحة ؛ ملاحظات حول علاقة المدينة بالبادية بالمغرب خلال نهاية العصر الوسيط ،المدينة في تاريخ المغرب العربي،أشغال الندوة المنظمة من 24 إلى 26 فبراير ،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ،المغرب ص 344.

4- القرون ،ج.مقرن ،وهو الخصلة من الشعر و الصوف .ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير و آخرون ، مادة القاف، دار المعارف ،القاهرة ،ص 3609.

5- الزباد نبت سهلي معروف له ورق عراض وسنفة ،يأكله الناس ،و هو طيب .ابن منظور ،المصدر نفسه ،مادة الزاي ،ص 1803. وتصدر الإشارة هنا أن ليو الإفريقي يورد الزباد بأنه يستخرجه التجار من عرق نوع من القطط الموجود في غابات أثيوبيا يسمى قط الزباد ،وذلك مرتين أو ثلاث في اليوم؟ المصدر السابق ،ج2.ص267.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

يدخل المدينة في إخفائها في إدخالها، والعادة جرت هناك أن من خاف على نفسه من مثل ذلك وزع ما معه لمن يدخل البلد من أهلها أو أعطاه له ليدخل له به فإنه لا يفتش سواء عرفه صاحب المتاع أو لم يعرفه، وإذا دخل الباب الذي هو عليه أخذ هذه العشور...¹. ومن الحادثة يتضح أن المدينة عرفت كغيرها من المدن الإسلامية أمير الباب أو صاحب الباب كما أن السلع كانت لها ضريبة للدخول إلى المدينة تتمثل في "العشور" وهو مكس على السلع الوافدة إلى المدينة. والملاحظ كذلك أن سكان المدينة لم يكونوا يتعرضون للتفتيش عند المرور من باب المدينة مما يجعلهم لا يدفعون ضريبة العشر على الكثير من السلع، وهذا من شأنه أن يضيف على نشاطهم الكثير من الحيوية، والريح، ويظهر مدى التسهيلات الممنوحة لتجار المدينة. لكن السؤال المطروح هنا لماذا هذا التساهل في المعاملة مع تجار المدينة حتى لا يدفعون المكوس على الكثير من مواد تجارتهم وحتى إدخال بعض المواد لتجار آخرون كانوا يستنجدون بهم لتخليص سلعهم من التعشير؟.

وهذا ما يدفعنا لتساؤل عن السلطة الموكلة لها حق فرض المكوس؟ خاصة أن هذه القضية "فرض المكوس" على السلع شكلت جدل في أحقيتها عند محتسبي تلمسان حيث نبذ وظيفتها وشر التبعات الظلمية الناتجة عنها لدى البعض منهم مثل ما أورد أبو عبد الله بن سعيد العقباني التلمساني (ت 871هـ / 1467م)². والملاحظ أن التجار الوهرانيين قد استفادوا من هذه العملية فعلى ما يبدو أن غالبيتهم اختصوا بالتجارة البرية مع الأسواق الريفية الخاصة بالبيع بالجملة أو حتى مع التجار القادمين من المدن الداخلية، والذين يحتمل أنهم كانوا يبيعون مختلف المنتجات خارج أسوار المدينة تفاديا للمكوس، وربما هذا ما جعل مداخل أسوار المدينة قليلة مقارنة بمداخل الميناء³، لأن معظم التجار البحريون هم أجانب عن المدينة هذا من جهة إضافة إلى نشاط هذه الواجهة في عمليات التبادل التجاري من جهة ثانية.

- المكيال بالصاع الوهراني :-

1- عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 63.

2- أبو عبد الله بن سعيد العقباني التلمساني؛ المصدر السابق ص، ص 90، 91.

3- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج 2، ص 30.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

وما يمكن الإشارة إليه هنا أن المكاييل و الموازين المتبعة في المدينة لم تشر إليها المصادر . و من المرجح أنها كانت تشبه بقيت المكاييل و الموازين لمدن قرية ،وقد أورد أبو عبد الله بن سعيد العقباني في وقته (ت 1468/871) أن صاعهم في تلمسان يسمى بالوهراني خلفا للصاع القديم المسمى بالتاشفني ،وذكرت هذه المعلومة في معرض حديثه عن مفسدة الزيادة في الصاع¹ ، لكنه لم يوضح بشكل جلي علاقة الصاع الجديد بالزيادة ،ولماذا أطلق عليه لفظ الصاع الوهراني ؟

3/3. التجارة الخارجية:

1/3/3. المدينة وانفتاحها على شبكة مسالك وطرق تجارية:

ذكر أن لمدينة وهران تسعة (09) أبواب مفترقة على النواحي والمدن والقرى² وعلى البحر، ورغم أن هذا الرقم يعبر عن أقصى توسعات المدينة إلا أننا نعتقد أنها انفتحت، وارتبطت بشبكة واسعة من الطرق والمسالك، وذلك منذ تأسيسها. وقد أعطت المصادر التاريخية والجغرافية وصف للمسالك والطرق التجارية والمواصلات، وذكرت وهران كإحدى المحطات الواردة على خريطة هذه الشبكة ومثال ذلك ما أورده المقدسي في القرن 10/4 وابن حوقل في نفس القرن والبكري في ق 11/5 والزهري وعبد الواحد المراكشي في ق 14/7 وغيرهم. ومن تتبع وصف الجغرافيون والرحالة خاصة يمكن أن نلاحظ الخطوط المباشرة، وغير المباشرة التي ربطت وهران بالمدن والقرى والمراسي سواء في الداخل، (البر) أو عبر الساحل.

- طريق المدينة البري الساحلي :

الملاحظ أن مسلك مدينة وهران هو في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة حيث ينطلق من البوابة الجنوبية للمدينة إلى تانسلمت³، وهي في طرف جبل جيدر (هيدور)، ومنها إلى لعزيزوا، وهي سوق

1- أبو عبد الله بن سعيد العقباني التلمساني ؛ المصدر السابق ،ص 105.

2- الآغا بن عودة؛ المرجع السابق، ص 62.

3- انطلاقا من الموقع الجغرافي للقرية (على طرف جبل هيدور)، وبما أنها قرية من المدينة وهي على مسلكها، فهذا يجعلها هي نفسها قرية تانيت الذي ذكرها الإدريسي عند ذكره للطريق من وهران إلى تلمسان حيث نلمح من وصفه أنها كانت قرية من المدينة ،فأورد "ومن هذه القرية (تانيت) إلى مدينة وهران .المصدر السابق، ص 153. وهي نفسها القرية القديمة ايفري، ولو قارنا تسميات القرية المختلفة لاحظنا أن أصول الكلمة بربري، ولها دلالات تاريخية تخص تاريخ البربر في القدم و استقرارهم في الكهوف ، كما تعبر عن معتقدتهم الديني في تانيت .

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

عبيدون بن سنان الازداجي ،ومنها إلى قصر ابن سنان الازداجي ليفترق الطريق إلى طريقين إحداها طريق بري ساحلي ،والآخر بري .

وحسب هاينريش فان مسرغين هي قصر ابن سنان الازداجي¹. ومنطقة مسرغين هذه عرفت بوجود منابع للمياه (عيون ماء) بالقرب منها ، مما يجعل هذا الاحتمال وارد ،و إذا تأملنا طريق المدينة نجد يفترق عند قصر ابن سنان الازداجي ،و السؤال المطروح هنا لماذا يفترق في هذه النقطة بالذات وليس قبلها أو بعدها ،ونعتقد أن الإجابة عن هذا السؤال متعلقة بمعرفة منبع واد الرحي والذي يبدو أن هذا الأخير هو من حدد ،و رسم الطريق من وإلى المدينة،فوقوع بوابة المدينة على الجهة اليسرى منه ،و المسار الغربي للطريق ثم افتراقه عند قصر ابن سنان ،كل ذلك يوحي بأن مكان هذا القصر يحوي على منابع العيون التي تغذي واد الرحي بمعنى أن قصر ابن سنان هو نفسه قرية مسرغين² ،و التي منها يبدأ واد الرحي جريانه مارا من المدينة ،ويصب في البحر المتوسط.

ومن المرجح أن هذا الطريق بقى المسلك الأساسي والوحيد للمدينة إلى غاية ظهور طريق بري ساحلي آخر هو طريق المرسى الكبير الواقع على مسلك البوابة الشمالية الغربية للمدينة والذي يمر بالقرب من رباط صلب الكلب ، و نعتقد أن قدوم أبو تاشفين المرابطي لهذا الرباط ما هو إلا محاولة للفرار عبر هذا المسلك، لأنه من غير المنطقي أن يلجأ أبو تاشفين له للتعبد وهو في حالة فرار من عدو متربص به في كل لحظة³ إلا إذا كان أبو تاشفين قد لجأ إليه بهدف التبرك ورجو الخلاص من العدو لأنه معروف عليه زيارة أضرحة الصلحاء ،ونرجح أن سفن النجدة كانت تنتظره في المرسى الكبير⁴ ، وذلك لأسباب منها قرب المرسى الكبير من هذا الطريق ، كما ذكرت المصادر أن سفن النجدة بقت تنتظره في المرسى ،ولو بحثنا عن الأحوال المناخية في هذه الفترة نجد أن شهر رمضان

1- تبعد مسرغين حوالي 12 كلم جنوب غرب وهران .يحي بوعزيز ،المرجع السابق ،ص70 .

2- يرى هاينريش أن مسرغين هي من ذكرها الإدريسي باسم قصر ابن سنان ،ويعتقد أنها اختفت بعدئذ من ضفاف البحيرة المالحة المرجع السابق ،ص41.

3- جاء عند أبي زرع الفاسي ، "فسار تاشفين بن علي في مقاتلة عبد المؤمن بن علي في أوطية المغرب حيث لم يجد عنده صديقا من البربر يدله على الطريق ،لبغضهم في العرب الى ان وصل الى تلمسان ،فكانت بينهما حروب إلى أن قتل بوهران".بيوتات فاس الكبرى ،ص16. ويتضح من هذا الوصف جهل تاشفين لطرق و المسالك في ظل غياب مرشدين ،وربما هذا ما يفسر هلاكه على مسلك المرسى الكبير.

4- وردت الكثير من الروايات الخاصة بمقتل أبي تاشفين المرابطي،منها من اعتبر وجوده في رباط صلب الكلب بهدف التعبد و إحياء ليلة السابع و العشرين من رمضان؟.الرجوع لابن عذاري المراكشي ،المصدر السابق، ج 4.ص ،ص 126 ، 127.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

لسنة تسع وثلاثين وخمسمائة هجري (539 / 1144)¹ لصادف ذلك نهاية شهر فيفري، ومعظم شهر مارس، وهذا يعبر عن سوء أحوال البحر، وصعوبة الرسو في مراسي غير محمية من الرياح مما يجعل السفن قد رست في المرسى الكبير على اعتباره مرسى شتوي². حتى أن من عادة السفن التجارية أن تلجأ إلى المرسى الكبير عند اكفهارار الجو³ هذا عن السفن التجارية فما يكون موقف سفن النجدة التي تنتظر تسلل الفارين من المراقبة الموحدية وهذا قد يتطلب وقت طويل، مما يستوجب أخذ الحيطة، واختيار المكان الآمن للإرساء وأوردت كل هذه المعلومات للاستدلال على ظهور طريق بري ساحلي جديد استعمل في العهد المرابطي، ونعتقد أنه نشأ خلال حكم المرابطين للمدينة.

أ. الطريق من وهران إلى الأندلس

كانت لوهران خط مباشر بينها وبين الأندلس، وإن اختلف الجغرافيون في تحديد المرسى الذي يناظر وهران من العدو الأندلسية، فهناك من يضع المرية مقابلة لوهران ويحدد المسافة بينهما بخمسون فرسخاً⁴ (حوالي 300 كلم)⁵.

ويرى الحميري أن المسافة بينهما هي مجريان⁶، أما البكري فيرى أن ما يقابل مرسى جبل وهران من بر الأندلس هو مرسى اشكويرش وبينهما مجريان ونصف¹. أما المقدسي فلم يحدد ما يقابل

1- عبد الرحمن بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 6، ص 308.

2- مؤلف مجهول؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص 79.

3- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج 2، ص 31.

4- أبو بكر الزهري؛ المصدر السابق، ص 128.

5- اعتبرنا الفرسخ يساوي 6 كلم. قال الزهنتس، المكايل والأوزان الإسلامية و ما يعادلها في النظام المتري، ترجم عن الألمانية كامل العسلي، ط 2. منشورات الجامعة الأردنية، ص 94. وكذلك اعتمدنا على حسابات صالح بعيزيق بأن المرحلة = اليوم = 25 ميلا والميل 1609 متر. بحماية في العهد الحفصي (دراسة اقتصادية واجتماعية)، الكتاب نص كامل لأطروحة الدكتوراه، جامعة تونس، ص 158.

6- الحميري؛ المصدر السابق، ص 612.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

وهران، واكتفى بذكر المسافة بين وهران والأندلس، يوم ليلة². ويبدو أن المرية كانت تنطلق منها أكثر المراكب باتجاه وهران وكذلك من وهران إلى المرية، وأورد القلصادي أنه أبحر من وهران ليوم الجمعة 23 أفريل سنة 1451م، ووصل إلى المرية ليلة يوم الأحد 25 أفريل 1451³. مما يعني أن الرحلة استغرقت يومان كاملان في الظروف العادية.

ب. وهران وشبكة الطرق المغربية:

- الطريق الساحلي:

يرسم البكري(ق 5/ 11) الطريق البحري الذي يمر على وهران بذكر سلسلة من المراسي من مرسى أسلن ثم مرسى الماء المدفون يليه مرسى جبل وهران، يليه إلى الشرق مرسى عين فروج، وبينه وبين وهران في البر أربعون ميلا (حوالي 80 كلم)، يليه مرسى قصر الفلوس ثم مرسى مغيلة ثم مرسى مدينة تنس⁴. ليستمر في ذكر المراسي في المغرب الأوسط وأفريقية وصولا إلى الإسكندرية⁵ أما ابن حوقل فيرسم الخط الساحلي من تنس إلى وهران إلى واسلن ومنها إلى أرجكوك، وغيرها من المراسي وصولا إلى سبتة و طنجة وإلى المدن الساحلية المحيطة⁶.

أما عبد الواحد المراكشي(نهاية ق 6 إلى منتصف ق 7/ أواخر ق 12 م إلى ثلث ق 13) فقد ذكر سبتة، وهران، تنس، جزائر بني مزغنة، بجاية، وحدد المسافة بين مدينة تنس و مدينة وهران بسبع مراحل (07 مراحل) أي حوالي 282 كلم، وما بين مدينة وهران ومدينة سبتة على التقريب

1- البكري؛ المصدر السابق، ص 81. وفي نفس الموضع يورد البكري أن مرسى وهران يقابل مرسى أشكو برش المرسى القديم الذي نزله البحريون قبل نزولهم بجانة، المصدر نفسه. الصفحة نفسها. والواضح أن المرية تأسست سنة 344هـ-955م في عهد عبد الرحمن الناصر، وقد استطاعت احتلال مكان اشكويرش وحتى مكانة بجاية. لذا أصبحت لها أدوار سياسية واقتصادية مهمة وارتبطت بخط ملاحى مباشر مع وهران. للتوسع أكثر يرجع ل: غازي مهدي جاسم الشمري، مدينة المرية- ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، سنة 1414هـ/1993م، وهران، ص. ص 48-56.

²-المقدسي؛ المصدر السابق، ص 185.

³- القلصادي؛ رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، سنة 1978، ص 161.

⁴-ويحدد ياقوت الحموي المسافة بين وهران ومرسى تنس بثماني مراحل. معجم البلدان، المصدر السابق، ص 443.

⁵- البكري؛ المصدر السابق، ص. ص 81-86.

⁶- ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص. ص 81، 86.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

ثماني عشرة مرحلة (18 مرحلة) أي حوالي 724 كلم، ومما يلاحظ أن هذه المدن أدرجها ضمن البلاد الساحلية. مما يعني انه اهتم بذكر تسلسل المدن الساحلية دون ذكر المراسي الموجودة بينها، و الواضح من وصفه للبلاد الساحلية أن جملها في المغرب الأوسط هي مدن صغيرة باستثناء بجاية¹.

وقد ذكر أن هذا الطريق البحري المنطلق من وهران إلى الإسكندرية كطريق للحج، وهو مقصد لحجيج المدن الداخلية خاصة في عهد الزيانيين²، و الذين اختاروا هذا الطريق لكونه أكثر أمناً³. وعن المسافات بين المدن والمراسي الساحلية، فهي متغيرة. ومثال ذلك ما أورده القلصادي في رحلته حيث يظهر الفرق في المسافة بين وهران وتونس إذا قارنا طريق الذهاب والإياب، حيث يبدو أن هناك خط بحري مباشر بين المدينتين لأنه لم يذكر توقف مركبه في إحدى المراسي أو المدن الساحلية. لكن زمن الرحلة يظهر بوضوح عند تعرضه لزمن كل رحلة، فقد استغرق في رحلة الذهاب اثني عشر يوماً، بقوله: "... وركبت البحر من مرساها الأكبر، وأقمنا في البحر اثني عشر (12) يوماً، وبلغنا مرسى تونس". وأما رحلة الإياب، فقد استغرقت شهر و20 يوم. حيث يذكر: "... وكان ركوبنا البحر من المرسى في التاسع عشر جمادى الثانية: 30 جويلية" وبلغنا إلى وهران لعشر خلعت من شعبان: 18 سبتمبر⁴.

- الطريق البري مع الحواضر المغربية:

1- من وهران إلى القيروان:

ويورد هذا الطريق البكري ق 11/5 حيث يذكر طريقان يفترقان عند قصر ابن سنان. فالأولى تتخذ الجادة (طريق البحر)، والثانية برية تتصل بمدينة العلويين ثم احساء عقبة ثم تمر على مفاوز ثم أزمرين إلى مدن بنطيسوس، بسكرة إلى تهودا إلى مدينة باديس إلى قيطون بياضة من بلد سماطة ليفترق الطريق منها إلى السودان وطرابلس والقيروان، ويحدد البكري المسافة الكلية بين وهران والقيروان بالمرور بهذا

¹ - عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص، ص 352، 353.

² - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 7. ص 193.

³ - أورد الرحالة بن الصباح (ق 8/14) أن لعبد الواد "ملك مبارك، لكنه كثير المصائب .. فجميع هذا البر العدوي المذكور كثير الحراميات والقطاع في جميع الأقطار من هذا البر...". الحاج عبد الله بن الصباح، أنساب الأخبار و تذكرة الأخيار، ص 96.

⁴ - القلصادي؛ المصدر السابق، ص /ص 161/112.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

الطريق بثلاث وأربعون (43) مرحلة¹، أي حوالي ألف وسبعمائة كيلو متر أما عبد الواحد المراكشي فيصف طريق السفار من بجاية إلى مراكش بالمرور من مليانة، مازونة، ثم وهران إلى تلمسان².

2- من وهران الى تلمسان:

اهتمت الكتابات التاريخية والجغرافية بتحديد المسافة بين وهران وتلمسان، على اعتبار أن وهران كانت حصن³ وفرضة⁴ لتلمسان، خاصة أنها شكلت أحد المنافذ البحرية للعاصمة الزيانية" تلمسان". لكن الاختلاف ظهر في تحديد المسافة والزمن المستغرق بين المدينتين. فالبكري يحددها بمرحلتين⁵، وأبو الفداء يرى أن المسافة بينهما ثمانين ميلا⁶، والبغدادى يحددها بمرحلة⁷، وياقوت الحموي بسرى ليلة⁸، أما حسن الوزان، فيرى أن المسافة تقدر بمائة وأربعين ميلا⁹. وتكون المسافة بين المدينتين حدها الأدنى يكون سرى ليلة وأقصى زمن 06 أيام؟.

ويرجع الاختلاف في تحديد المسافات لأسباب عديدة منها طبيعة المصدر ومعرفته بجغرافية المنطقة، ظروف الرحلة، طبيعة الوسائل المستعملة في الرحلة وغيرها من الأسباب. ومن الواضح أن الطريق من وهران إلى تلمسان كان مباشر حيث لم تذكر مدن في معرض الحديث عن ظروف الرحلة بين المدينتين، فالبكري و القلصادي ذكرا الرحلة من وهران إلى تلمسان دون الإشارة إلى ذلك وقد أورد الإدريسي الطريق من تلمسان إلى وهران ب: "...و ذلك انك تخرج من تلمسان إلى وادي وارو، فتنزل به وبينهما مرحلة، و منها إلى قرية تانيت، فتنزل بها، و هي مرحلة، و من هذه القرية إلى مدينة وهران¹⁰. وقد حدد القلصادي زمن الرحلة بثلاث أيام تقريبا¹، ويوافقه في هذه المدة عبد

1- البكري؛ المصدر السابق، ص. ص 71-74.

2- عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص 357.

3- أبو الفداء؛ المصدر السابق، ص 137.

4- "ولتلمسان حصون كثيرة وفرض عديدة منها هنين ووهران..."، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 150. ووردت وهران عند البكري في رحلته ب: "... (وهران) وهي مرسى تلمسان وأنظارها". المصدر السابق، ص 131.

5- البكري؛ المصدر السابق، ص 76. و يوافقه الإدريسي، حيث يحددها بمرحلتان كبيرتان أو ثلاث مراحل. المصدر السابق ص 153.

6- أبو الفداء؛ المصدر السابق، ص 137.

7- البغدادى؛ المصدر السابق، ص 44.

8- ياقوت الحموي؛ المصدر السابق، ص 443.

9- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2، ص 30.

10- الادريسي؛ المصدر السابق، ص 153.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

الواحد المراكشي حيث يقول: " وهران ،وهي على ثلاث مراحل من تلمسان²، وهذا متوسط الزمن بين المدينتين إذا قارنا أدنى وأقصى مدة. وقد ذكر محمود مقيدش أن الطريق من تلمسان إلى وهران يمر من وادي وارو مرحلة، إلى قرية تانيت مرحلة، ومنها إلى وهران³

3- من وهران إلى فاس:

بتتبع المسالك التي ذكرها البكري نستطيع تتبع المسلك بين وهران و فاس، فالبكري عند وصفه الطريق بين فاس والقيروان نجد أن الطريق يمر على قصر ابن سنان الازداجي، وهي إحدى المحطات القريبة التي تؤدي إلى مدينة وهران وهذا الطريق يمر على مدينة تلمسان⁴، وهناك طريق آخر جزءه ساحلي والباقي بري، والواضح أن وهران لها طريق بحري مع سبتة ومن سبتة يصف البكري الطريق إلى فاس والذي يستغرق ستة أيام⁵. وقد ذكر العبدري طريق بري يمر من وهران إلى تلمسان إلى وجدة إلى رباط تازا إلى فاس، وقد وصف أن طريق تازا موحشة لا تخلو من قطاع الطرق، في عهده⁶ (ق 13/7).

ج. الطريق من وهران إلى بلاد السودان :

ترجع علاقة وهران ببلاد السودان الى وقت مبكر منذ أن كانت وهران مجرد مرفأ للدولة الرسمية، هذه الأخيرة ربطتها علاقات قوية مع بلاد السودان خاصة عبر منفذ ورجلان والذي تدفقت منه تجارة القوافل العابرة للصحراء، كما كانت سجلماسة و غدامس محطتين مدعمتين للتجارة الرسمية التي نقلت جزء من بضائع السودان الى التجارة المتوسطية عبر مرافئها، ومنها وهران⁷.

وعن الطريق بين وهران وتاهرت يمكن تتبعه من خلال بعض الاشارات في المصادر الجغرافية فالطريق البري لوهران يمر من قصر ابن سنان الازداجي ثم الى مدينة يبل الى مدينة الغزة الى مدينة

1- يقول القلصادي: " ثم سافرت من تلمسان يوم الأربعاء (21 أفريل) وبلغت وهران يوم الجمعة (23 أفريل). القلصادي المصدر السابق، ص 161، ويرجع للعبدري، المصدر السابق، ص 131.

2- عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص 202. ويوافقه محمود مقيدش، المصدر السابق، ص 78.

3- محمود مقيدش؛ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

4- البكري؛ المصدر السابق، ص 143.

5- البكري؛ نفس المصدر ص ص 112-115.

6- العبدري؛ المصدر السابق، ص، ص 132، 131.

7- محمد عيسى الحريري؛ المرجع السابق، ص/ص 13/ 209.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

تاهرت، والمسافة بين قصر ابن سنان الى تاهرت حوالي ثلاث مراحل¹ أي حوالي 120 كلم. وطريق آخر من قصر ابن سنان الى قرية العلويين، ومنها الى تاتانلوت، منها الى عيون سي، الى وادي الصفاصف الى افكان، ومنها الى تاهرت. وعن المسافة بين مدينة تاهرت ووهران، عبر هذا الطريق فهي تقدر بحوالي خمسة مراحل². أي حوالي 201 كلم، و لكن المسافة بين وهران وقصر ابن سنان غير محددة، ونعتقد أن المسافة بينهما لا تتعدى مرحلة، بمعنى أن المسافة بين وهران و تاهرت حسب طريق البكري حوالي 160 كلم أما طريق ابن حوقل فيقدر بحوالي 241 كلم.

ويظهر البكري ق 11/5 أن مدينة وهران تقع على شبكة مسالك تربطها بمنافذ الصحراء سواء من الجهة الشرقية عبر تاهرت أو الى قيطون بياضة من بلد سماطة حيث يفترق الطريق الى بلاد السودان، وإلى طرابلس وإلى القيروان³. وطرق أخرى يمكن أن تصلها بتلمسان⁴ و بفاس، ومن ثمة إلى سجلماسة، ويحددها ابن حوقل بين فاس وسجلماسة بثلاث عشرة مرحلة⁵ ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان ثم إلى غانة⁶.

وبتتبع المحطات القارة التي تمر عليها المسالك وطرق المواصلات يتضح أن وهران تمتعت بموقع مهم على هذه الشبكات فمن جهة شكلت جزء من المسالك البحرية، ومن جهة أخرى استفادت من طرق برية ربطتها بمدخل الصحراء وبالحواضر المغربية وهذا ما ساعدها على نشاط تجارتها البرية والبحرية.

2/3/3. تجارة المدينة مع الحواضر الإسلامية:

1- البكري؛ المصدر السابق، ص/ص 71/ 133.

2- ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 88.

3- البكري؛ المصدر السابق، ص، ص 74، 75.

4- يرجع ملحق رقم (07).

5- ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 90.

6- البكري؛ المصدر السابق، ص 139.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

تظهر تجارة المدينة وأهميتها مع الكثير من الحواضر الإسلامية من خلال أولاً: خصوصية مرساها الكبير المحمي من الرياح¹ و المتسع للسفن الكبار²، إضافة إلى موقعها على المسالك، والطرق التجارية كل ذلك جعلها من بين المدن المفضلة خاصة في عهد الزيانيين، والذين استغلوها كمنفذ لتجارهم الخارجية، ومن الواضح أنها شكلت إحدى المحطات الهامة للتبادل التجاري خاصة بين العدوتين (المغرب والأندلس)، فقد كانت منفذ تجاري للزيانيين حتى أنها وصفت بأنها فرصة لتلمسان³.

ومن وهران يتجه التجار إلى الحواضر المغربية مثل بجاية وتونس، ومنهم من يتجه إلى الأندلس عبر المرية، ويذكر عبد الباسط في ذلك: "فعدت إلى وهران بشيء تسوقته من تلمسان لأجل بيعه بالأندلس". وفي موضع آخر ذكر: "... ورد على ساحل مدينة واهران شونية" تجهز كثير من تجار واهران وتلمسان للسفر فيها إلى جهة تونس⁴. وقد كانت ترسو بالمرسى الكبير بوهران كذلك المراكب الكبار، والسفن السفرية، فوهران استقبلت إضافة إلى التجار و السفار، الحجاج الذين اختاروا الطريق الساحلي على البري⁵.

1. تجارة المدينة مع الأندلس:

وعن طبيعة المبادلات التجارية خاصة بين العدوتين، فقد كانت تعرف نشاط وتنوع في السلع المتبادلة، والمدينة شكلت إحدى المنافذ في هذه التجارة، وقد صدرت المدينة إلى الأندلس

1- "...و لمدينة وهران مرسى في غاية السلامة و الصون من كل ريح، و ما أظن له مثلاً في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى..." ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص79.

2- "...و لها (وهران) على ميلين منها المرسى الكبير، وبه ترسى المراكب الكبار و السفن السفرية، وهذا المرسى يستر من الرياح، و ليس له مثيل في مراسى حائط البحر من بلاد البربر..." الادريسي؛ المصدر السابق، ص153.

3- فضل الله العمري؛ المصدر السابق، ص 89.

4- عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 56-67. وقد وردت إشارات على امتهان بعض علماء وهران للتجارة مثال ذلك العالم العالم الوهراني عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرو، قال عنه أبو القاسم بن بشكوال: "...انه قدم إلى الأندلس تاجراً سنة تسع و عشرين و أربعمائة...". كتاب الصلة، اعتنى به و وضع فهارسه صلاح الدين الهواري، المجلد الأول، المكتبة العصرية صيدا بيروت، سنة 1423هـ 2003م ص 247.

5- خاصة بعد الهجرة الحلالية، والتي أحدثت حالة الأمن في الطرق البرية، جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 252.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

القمح¹ بالخصوص اضافة الى الشعير و الحنطة ، والتي كانت بكميات كبيرة² ، وقد شكل القمح حيز مهم من فتاوى العلماء المغاربة، الذين أوضحوا، ونظموا طرق ومعاملات تجارة القمح عبر المراكب وتنظيم الشراكة وغيرها من الأمور المتعلقة به³ ، ومن المعلوم أن صادرات المدينة كان جزء كبير منها محاصيل زراعية خاصة الحبوب ،وقد أوضحنا ذلك سابقا، ومن بين صادرات المدينة جزء من السلع الواردة إليها من تلمسان مثل ليق الصوف والأسلحة لسروج الخيل⁴ إضافة إلى الذهب و الرقيق فالمدينة معبر لتجارة الجنوب، أما عن الواردات القادمة من الأندلس فهي البضائع⁵ أو السلاح⁶ أساسا من الثياب و المطرقات القطنية والكتانية والحريرية⁷.

2. تجارة المدينة مع بلاد السودان:

صدرت المدينة كغيرها من البلاد الغربية الى السودان القمح⁸ .واستقبلت العديد من ثروات بلاد السودان بالخصوص الذهب والعبيد⁹

3. تجارة المدينة مع المدن الأوربية:

أ. التجارة مع المدن الإيطالية:

كانت للمدن الساحلية المغربية علاقات تجارية مع المدن الأوربية تزدهر وتضعف حسب الظروف التاريخية وحالة هذه المدن. وقد كان للجمهوريات الإيطالية دور بارز في تجارة المتوسط وفي نقل البضائع من الشرق إلى المغرب ومن جنوب المتوسط إلى شماله، وبرز نشاط التجار الإيطاليون مع

¹ - يوبولدو تورس بالباس؛ المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة عن الإسبانية، إلبودورو دي لينيا راجعة، نادية محمد جمال الدين، عبد الله بن إبراهيم، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض سنة 1423هـ/2003م، ص122.

² - عز الدين عمر موسى ،المرجع السابق ، ص324.

³ -مثال ذلك فتاوى القاضي عياض وولده محمد، مذهب الحكام في نوازل الأحكام، ص 242.

⁴ -الزهري؛ المصدر السابق، ص 113.

⁵ -بالباس؛ المرجع السابق، ص

⁶ -ابن حوقل؛المصدر السابق، ص 79 .

⁷ -فتحي زغروت ،المرجع السابق، ص152 .

⁸ -عز الدين عمر موسى ؛ المرجع السابق ، ص326.

⁹ -جورج مارسى؛ المرجع السابق ،ص329.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

الحواضر المغربية في العهد الموحد حيث تميزت هذه الفترة بانتظام التجارة ما بين بلاد الموحدين، وبلاد الإفرنج، وذلك رغم النشاط الجهادي للموحدين فقد أثبتت الوثائق التي نشرها ماس لاتري استمرارية النشاط التجاري¹، وقد كان الخط البحري الرابط بين الجمهوريات الإيطالية، والسواحل الجنوبية للمتوسط متعددة، فمنها من يمر على الجزائر الشرقية، وبعضها يمر على السواحل الجنوبية لفرنسا مروراً بمرسيليا ثم إلى ميورقة، ومنها من يتجه إلى سواحل المغرب بالمساحلة²، وعن مدينة وهران وهران فقد عرفت توافداً للتجار الأوروبيين فهي كانت ضمن المدن الاستثنائية والمختارة التي حددها الموحدون للتجارة مع الإيطاليين. وأصبحت لهم منشآت خاصة بهم داخل المدينة، فقد أورد حسن الوزان: "أن مدينة وهران كانت مهبط التجار القطلونيين والجنوبيين، وما زالت بها الآن دار تسمى دار الجنوبيين لأنهم كانوا يقيمون بها"³، وقد عمد التجار الإيطاليون على نقل مراكزهم الرئيسية من مدنها الأصلية إلى مقار متقدمة و دائمة في الخارج وبالتالي ظهور ما يسمى بالتاجر المقيم، وهذا ما جعل النشاط التجاري أكثر فعالية⁴ في المدن المغربية، والتي منها وهران.

والملاحظ كذلك أن التجار الإيطاليين خاصة من جنوة وبيجة استطاعوا التوغل في الكثير من البلاد من أقصى الشام إلى الاسكندرية ومصر والمغرب والاندلس، وقد استفادوا من امتلاكهم لأنواع عديدة من المراكب مثل الشياطين والمسماة بالغبان والقطائع⁵ كما كانت لهم مراكب ضخمة ضخمة تشق البحر مثل الشونوية التي وردت إلى مدينة وهران، والتي أشار إليها عبد الباسط حيث أورد أن "شونية عظيمة من مراكب الإفرنج الجنوبيين، وردت إلى ساحل وهران برسم الاتجار، وأنها كانت قادمة من المحيط من بلاد أفلدة ونحوها من بلاد الفرنج بالمحيط وقد تجهز كثير من تجار وهران

1- حسين مؤنس؛ تاريخ المغرب وحضارته، ص 200.

2- الطاهر قدوري؛ المسالك البحرية في المغرب الوسيط خلال القرنين 5هـ و6هـ (11م/12م) بحث منشور على الانترنت.

3- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2، ص 30.

4- روبرت لوبيز؛ ثورة العصور الوسطى (950. 1350)، ترجمة وتقديم، محمود أحمد ابوصوة، مراجعة، صلاح الدين حسن السورى، منشورات ELGA، سنة 1997، ص، ص 133، 134.

5- الزهري؛ المصدر السابق، ص78.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

وتلمسان للسفر فيها إلى جهة بلاد تونس¹. ونستخلص أن هذه السفن والمراكب استغلها التجار المسلمين في نقل تجارتهم إلى مختلف الجهات.

ب. التجارة مع مارسيليا:

وأورد كذلك بروديل أن السفن المارسلية التجارية كانت تخدم مصالح الكثير من الدول والمدن منها شمال إفريقيا²، وقد كانت وهران مقصد للتجار المارسلين، وخاصة عائلة ماندا "maduel" التي كانت من أكثر، وأعرق العائلات تعاملًا مع المدن المغربية المتوسطة مثل وهران، تونس، وتلمسان. وقد حفظت الوثائق الأرشيفية لبلدية مرسيليا الكثير من عقود الاتجار الخاصة بهذه العائلة، والتي نشطت خلال ق (7هـ/13 م)³، وعلى ما يبدو أنها احتكرت جزء كبير من التجارة المغربية الأوربية.

- دور اليهود في تجارة المدينة مع المدن الأوربية:

وتجدر الإشارة هنا أن اليهود لعبوا دور الوساطة بين تجار الإفرنج وتجار بجاية و سبتة، ووهران حيث باعوا مقادير من العملات العربية بالمليارات (Milliaires) أو ميلاراس (Millares) أي أنصاف الدراهم وأخذوا بضائع بقيمتها⁴. وتشير بعض الدراسات أن هذه الدراهم كانت حاملة لنصوص عربية ضربت في أوربا، وهي من معدن الفضة، وقد صدرت الفضة بكثرة في هذا القالب النقدي إلى مدينة وهران، وغيرها من المدن المغربية⁵. وكان دور اليهود في التجارة المتوسطة بارزا، وساعدتهم على ذلك أجدادهم لعدة لغات من عربية وفارسية ورومية وفرنجية وغيرها، كما أنهم ترمسوا في التجارة وفنونها⁶.

1-عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 67.

2- بروديل؛ المرجع السابق، ص 60.

3 -Raoul Busquet ؛ Histoire du commerce de marseille , l'antiquité , tome 1 p 173.

4- حسين مؤنس؛ المرجع السابق، ص 201.

5- صالح بعيزيق؛ المرجع السابق، ص 199.

6- جودت عبد الكريم؛ المرجع السابق، ص 160.

- طبيعة الصادرات والواردات مع المدن الأوروبية:

ويتضح من ذلك أن المدن الأوروبية اهتمت كثيرا بالتجارة المتوسطية وخاصة نقل ما يزخر به المغرب من خيرات إلى الإبحار به عبر عدة اتجاهات .

أ. صادرات وهران:

شكلت وهران معبر مهم لمختلف أنواع السلع خاصة منها سلع الجنوب (بلاد السودان) بودة الذهب والعبيد السود¹، وأمام رواج هذه التجارة عند التجار الأوروبيون أصبحت وهران مقصد لهم، والبعض منهم اختار الاستقرار في المدينة لتأمين هذه التجارة المربحة، وقد صدرت المدينة مع سببة بودة الذهب عن طريق التجار الجنوبيين².

ومن المواد التي صدرتها المدينة كذلك الى أوربا ذكر القرمز وهو عبارة عن مادة صبغية حيث صدرتها وهران وعنابة إلى المدن التجارية الأوروبية وخاصة إلى برشلونة³، كما صدرت وهران الصوف الخام، وجلد الثور المدبوغ، إضافة الى العاج، وريش النعام⁴، وبعض المنتوجات الزراعية .

ب. واردات وهران:

أما عن واردات المدينة، فقد ذكر أن تجار الإفرنج يبيعون لأهل المغرب الأسلحة والمعادن والأخشاب والأقمشة⁵، وكذلك الطرطار والنحاس والزعفران⁶ والقطن⁷ إضافة إلى توابل الشرق⁸، و ذكر أيضا استعمال المغاربة الكاغد الرومي وما أثاره ذلك من جدل في كتب النوازل. إضافة إلى أن

1.- Henri Leon Fey .op.cite.p54

2- صالح بعيزيق؛ المرجع السابق، ص 195.

3- محمد حسن؛ المرجع السابق، ص 486.

4.- Henri Leon Fey .op.cite.p54

5- حسين مؤنس؛ المرجع السابق، ص 199.

6- استغل الزعفران لأغراض متعددة في المطبخ، وكذلك كمادة صبغية. ويبدو أن المدينة كانت محطة لاستيراد هذه المادة الثمينة الثمينة، ونذكر هنا مثل وهراني يعبر عن حالة الخسارة، والحزن ويشبهه بفقدان تجارة الزعفران "ضاعو لك بوابير زعفران؟". زهرة أباي؛ المرجع السابق، ص 100.

7- الزهري؛ المصدر السابق، ص 78.

8- علاوة عمارة؛ دراسات في تاريخ الجزائر الوسيط للجزائر و الغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص 144.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

المدينة كانت مع كل من بجاية، و سبتة تتعاطى تجارة الخمر المارسييلية، وقد نظم، و قنن بيعه بموجب القانون المؤرخ في 1228/625 في كل من بجاية و سبتة¹. ويبدو أن استيراد مدينة وهران، والمدن المغربية للخمر لم يكن موجه للتعاطي فحسب بل استغل جزء منه لأغراض اقتصادية منها استخدامه في إنتاج مادة صبغية هامة هي "الطرطار"²، ومدينة وهران استعملت هذه المادة في الصباغة كما استوردت المدينة قطع حديدية، ومصنوعات زجاجية³.

3/3/3. تجار وهران وتزاوج بين التجارة والقرصنة البحرية:

والملاحظ من مجموعة الوثائق التجارية التي تعود لسنتي 1222 / 619 و 1520 / 926 أن تجار من بجاية وتونس وتلمسان وسبتة، و وهران نزلوا أو أقاموا مدة، كل حسب جهته في برشلونة أو ميورقة أو جنوة⁴. فهل ذلك يعني أنهم اعتمدوا على التاجر المقيم داخل المدن التي تربطهم بها علاقات تجارية قوية؟. أي أنهم شكلوا جالية مغربية داخل المدن الأوروبية، وهذا يشبه ما قام به التجار الأوروبيين داخل المدن المغربية على غرار وهران؟.

وهل اقتصر تجار وهران على ممارسة التجارة فقط دون الخوض في نشاطات مربحة أخرى خاصة أن التجارة تراجع نشاطها في الكثير من الاوقات؟.

ويرى حسن الوزان (ق16/10) أن "تجار وهران أصبحوا يجهزون السفن الشراعية و سفن أخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة، و يجتاحون بها سواحل قطلونية و جزر يابسة و ميورقة حتى أصبحت المدينة تزخر بالأسرى المسيحيين"⁵، فهل ذلك يعني أن التجارة تراجعت أمام ظاهرة أخرى هي القرصنة البحرية؟ وماهي أسباب هذه الظاهرة؟

ويبدو أن الأعمال الحربية من قرصنة ولصوصية ظهرت بعد زوال وانحيار الدولة الموحدية وما نتج عنه من صعوبة ممارسة التجارة بين المدن الإيطالية و المدن المتوسطية والتي منها المدن الساحلية

1-عبد العزيز فيلاي ؛ دراسات في تاريخ الجزائر و الغرب الإسلامي ،دار الهدى ،الجزائر ،سنة 2012،ص62.

2-عز الدين عمر موسى ؛ المرجع السابق، ص 231..

3 - Henri Leon Fey .op.cite.p54

4- صالح بعيزيق ؛ المرجع السابق، ص 231.

5- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج 2.ص30.

الفصل الثاني الحياة الاقتصادية في المدينة

المغربية¹. وهذا ما أوجد حالة من الفزع و الخوف . كما كان لسقوط الأندلس دور في زيادة نشاط القرصنة؛ فمهاجري الأندلس كانوا ماهرين في صناعة السفن ،وعارفين بالملاحة وفنونها على السواحل المتوسطية ، وهذا ما جعل السفن تخرج من وهران وشرشال والجزائر وغيرها من المدن الى سواحل اسبانيا تقابل فيها العدوان بمثله، وتستحوذ على ما تجده من غنائم².

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- رشيد باقة؛ نشاط جنوة الصليبي و التجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن 12 إلى 15 م/6 إلى 9 هـ، رسالة دكتوراه قسم التاريخ ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،السنة الدراسية 2006.2007.ص256 .

2- أحمد توفيق المدني؛ المرجع السابق ،ص67.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

1. الحياة الاجتماعية لمدينة وهران:

1/1. تركيبة السكان:

1/1/1. الأندلسيون والقبائل الازداجية المحلية :

من الواضح أن الأندلسيين والبربر قد شكلوا النواة الأولى للنسيج الاجتماعي للمدينة، لأن نشأتها ترجع حسب المصادر إلى الاتفاق والتعاون الذي حدث بين الأندلسيين والبربر وفي ذلك جاء: "...فوهران مدينة بناها جماعة من الأندلسيون... وسكنوها مع قبائل من البربر يقال لهم بنو مسكين(بنو مسقن). ونفزة، وهم من ازداجة¹. ومن تتبع الأحداث التاريخية نلاحظ أن المدينة عرفت حركية مستمرة في انتقال السكان من وإلى المدينة، خاصة أنها تعرضت ولأكثر من مرة إلى تدميرها، وإفراغها من سكانها، والذين كما يبدو من المصادر أنهم في كل مرة يعودون لها لتعميرها من جديد. كما استقبلت المدينة أعداد وافرة من الوافدين إليها من مناطق عدة خاصة من العدو الأندلسية .

- الأندلسيون ما بين الهجرة الاختيارية والاضطرابية إلى مدينة وهران:

صنف العلماء السفر قسمين : "سفر هروب ، وسفر طلب ، فالأول يكون من بلد فيه كفر أو معاص كثيرة أو بدع" ، أو غير ذلك ، والثاني "ينقسم إلى أقسام مثل السفر إلى حجة الفرض أو طلب علم أو تجارة"² . ، أو غير ذلك وعن السفر الذي يرجى منه طلب منفعة ، فقد استقبلت مدينة وهران عدد كبير من التجار الأندلسيين ، والذين كانوا وراء تأسيس المدينة، ومن هنا جاءت فكرة الاستقرار والإقامة الدائمة في المدينة ؛ لذا فقد شكل الأندلسيون جزء مهم من العمران البشري للمدينة منذ القرن الثالث الهجري (3/10) ورغم ما عرفته المدينة من اضطرابات سياسية ، وقبلية عقب تأسيسها، وفي خضم الصراع الأموي/الشيوعي، والنزاعات قبلية استمرت المدينة في استقبال عدد كبير من الأندلسيين الذين اختاروا الهجرة إليها حتى أن ميناءها لم يكن يفرغ من المراكب الأندلسية، فقد أورد الإدريسي:

¹ - كاتب مجهول؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص 133.

² - عمر بن عبد العزيز الكرسيفي السوسي ؛ المؤلفات الفقهية الكاملة (للعامة الكرسيفي السوسي)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ، سنة 1427هـ/2006م. ص 77.

"أن مختلف مراكب الأندلس كانت ترد إليها".¹، ولم يكن التجار وحدهم من اختاروا الاستقرار بمدينة وهران، فهناك من علماء وشيوخ الأندلس من اختار الاستقرار بالمدينة واستطاعوا تولي وظائف مهمة، فقد ذكر القلصادي في رحلته أن بمدينة وهران "الشيخ المتبرك إمام الجامع الأعظم سيدي أبو عثمان سعد الشلوفي" وقال عنه: "...كان أصله من قندية بأرض شاطبة"² والذي استقر بمدينة وهران. و بظهور الخطر المسيحي، وأمام تزايد الاضطهاد، والقمع على سكان الأندلس تزايدت الهجرة الاضطرارية لهم إلى العدو المغربية خاصة أن السلطة الزيانية في فترة يغمراسن بن زيان أعطت لهم الغطاء السياسي للتملك، و تولي المناصب حيث أصدر ظهير يبين فيه حقهم في السكن و التملك للأراضي الزراعية المناسبة لنشاطهم.³

وفي سنة سبعة عشر وألف (1017) خرج جمع من الأندلسيين إلى فاس وتلمسان و وهران⁴ هروبا من النصارى، لتستقبل المدينة طيلة هذه الفترة وإلى غاية سقوط آخر معقل إسلامي في الأندلس غرناطة (898/ 1492) عدد وافر منهم إلى جانب مدن أخرى مثل بجاية وبرشك زوالة و مازونة وغيرهم.⁵

- رد فعل بعض علماء المغرب من ظاهرة الهجرة الأندلسية :

وأمام هذه الحركية السكانية المتدفقة إلى المدن المغربية، وإفراغ المدن الأندلسية من ساكنيها بسبب هذه الهجرات الاضطرارية نشطت فتاوى مغربية لمعالجة هذا الوضع المتأزم؛ و من المفتين من حث على ضرورة الهجرة مثل فتوى الونشريسي⁶. ومنهم من دعا إلى التمسك بالدين الإسلامي مع الالتزام بالتقية، ومثل هذا الاتجاه مفتي وهران أبو العباس أحمد بن أبي جمعة الوهراني

¹ - الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 153.

² - القلصادي؛ المصدر السابق، ص 111. وشاطبة، أزلية ذات بطاح زاكية، وحيات وافرة، وبها قصبة عظيمة منيعة، بناها علي بن يوسف بن تاشفين، ولها ثلاث أقاليم، في كل اقليم منها أربعون قرية، وتتصل بأحواز بلنسية... مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، المصدر السابق، ص 134.

³ - عبد العزيز فيلاي؛ المرجع السابق، ج 1. ص 175.

⁴ - الناصري؛ المرجع السابق، ج 4، ص 106.

⁵ - محمد حسن؛ المرجع السابق، ص 576.

⁶ - ومما جاء في هذه الفتوى: "...أن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة...". الونشريسي المصدر السابق، ج 2. ص 119-132.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

المغراوي (ت 920 - 1514)¹. والذي أصدر هذه الفتوى، ووجهها إلى مسلمي غرناطة ومما جاء فيها: "...إخواننا القابضين على دينهم، كالقابض على الجمرة من أجل الله ثوابهم،... وإن أكرهوكم في وقت الصلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم، فأحرموا بالنية، وانووا صلاتكم المشروعة... وأنا أسأل الله أن يدل الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهرا بحول الله من غير محنة ولا وجلة، بل بصدمة الأتراك الكرام"². ونستشعر من فتوى أبو جمعة المغراوي التقارب والاتصال بين مدينة وهران وما تعرض له الأندلسيون من محنة واضطهاد، وربما جاءت هذه الفتوى بعدم ضرورة الهجرة لدار الإسلام، والبقاء في الأندلس لتخفيف الضغط السكاني على المدن المغربية خاصة الساحلية منها والتي أصبحت لا تطيق الفائض منهم خاصة أن ظروفها لم تكن تسمح لها باستقبال الأفواج الهائلة من الأندلسيين، كما أن هذه المدن أصبحت بدورها مهددة بنفس الخطر المسيحي الاسباني فسقوط وهران سيأتي تباعا لسقوط الأندلس، والملاحظ كذلك من خلال المصادر أن الوافدين الأندلسيين إلى العدو لقوا معاملة سيئة من الأعراب في المناطق الداخلية وتعرضوا للنهب والاضطهاد³ وهذا ربما ما يفسر فتوى مفتي وهران بعدم ضرورة الهجرة إلى العدو المغربية.

2/1/1. القبائل الازداجية و المغراوية:

أ. نفزة و بنو مسقن :

اتضح من تأسيس المدينة أن بني مسقن ونفزة، فرعي من ازداجية استقروا بالمدينة لكنهم تعرضوا للحصار، فخرجوا منها بعد (07) سبع سنوات من تأسيسها، ولكن يبدو أنهم عادوا إليها من جديد وشاركوا في تعميرها، فقد أورد البكري: "ثم عاد أهل وهران إليها في السنة بعدها سنة

1 - محمد الأمين بلغيت؛ دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع، سنة 1426هـ، 2006م، ص120.

2 - محمد زروق؛ الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين (16-17)م، ط3، إفريقيا الشرق، سنة 1998، ص151، 152.

3 - مثال ذلك ما أورده الناصري؛ المرجع السابق، المصدر السابق، ج4، ص106.

ثمان وتسعين ومائتين¹ لذا فقد شكلوا جزء مهم من التركيبة البشرية للمدينة على طول الفترة الوسيطة.

ب. الجماعات المغراوية:

كما أن المدينة عرفت استقرار لبطون زناتية أخرى، منها استقرار عناصر مغراوية فبعض الكتابات التاريخية أوردت أن مغراوة هي القبيلة التي شكلت المجال البشري للمدينة وأن زعيمها "حفص بن وزمار" هو من أسسها، كما أن المدينة تغلب عليها وفي فترات عديدة أمراء مغراوة مما يعطي احتمال آخر على استقرار للجماعات المغراوية بها ولو لفترات بسبب أن هذه القبيلة عرفت انتقالات في فترات ضعفها و انضمامها أمام القوى السياسية أو القبلية مثل التراجع إلى الغرب أمام الخطر الصنهاجي . وهذا لا ينفي بقاء لبعض العناصر المغراوية في المدينة , وقد وردت إشارات على بروز علماء كبار في المدينة يحمل نسبهم لقب مغراوي كنسب للقبيلة العتيدة (مغراوة)، ومنهم مفتي وهران أبو جمعة المغراوي (سبق ذكره) والشيخ المتصوف المقطوع بولايته سيدي محمد بن عمر الهواري ثم المغراوي² (ت 1439/843). ويتضح من لقبه كذلك الانتساب الهواري، ونعتقد أن توافد الجماعات القبلية الى مدينة وهران نتج عن حركة تخدم المدينة وترحيل سكانها ثم عودتهم مع مجموعات قبلية أخرى لإعادة بعثها وبنائها من جديد، فعند التهديم الثاني للمدينة سنة 954/343 تم نقل سكانها الى إفكان، واستوطنوا مع أهل تاهرت وبلل وشاطئ بني واطيل وقصر الفلوس³، خاصة أن هناك معلومات حول قيام يعلى اليفرنى بإعادة بناء مدينة وهران وانتقل إليها بأهله وحشمه وولده من إفكان⁴. وإن صحت هذه الرواية فهذا يجعل المدينة استقبلت جماعات قبلية متنوعة، ونعتقد أن العناصر الهوارية كانت من الجماعات التي استوطنت في المدينة بعد بناء المدينة للمرة الثانية، فأهل بلل كانوا من هواره⁵

1 - البكري؛ المصدر السابق، ص 70.

2 - الآغا بن عودة المزاري؛ المرجع السابق، ص 68.

3 - البكري؛ المصدر السابق، ص 79.

4 - أبوراس الناصر؛ المرجع السابق، ص 96.

5- البكري؛ المصدر السابق ص 133.

ج. جماعات قبلية أخرى:

ومن المرجح أن المدينة سكنها عناصر من مدن قريبة منها، ويظهر ذلك من خلال بعض الإشارات الواردة في نسب بعض علمائها الذين استقروا بها، مثل: الشيخ إبراهيم التازي، والذي ينسب إلى بني لنت من مضافات قبيلة تسول الزناتية¹، من تازا² (بالمغرب الأقصى).

3/1/1. الجاليات الأوروبية:

اتضح من المصادر أن مدينة وهران كانت قبلة للتجار الأوروبيين خاصة الإيطاليين، و الذين حسب شهادة حسن الوزان أقاموا في المدينة، واستقروا بها، وكانت لهم منشآت بها، وما وجود دار للجنوبيين³ بالمدينة لدلالة على طول الإقامة، كما أن وجود جاليات أخرى من بيزا ومرسيليا، و ارغون وغيرها تكون قد استقرت في فنادق خاصة بها وتمتعت بالكثير من الحرية و التسامح كفلته لهما الكثير من المعاهدات خاصة في العهد الموحدى⁴، ومن المحتمل أن عدد الجنوبيين، والإيطاليين عموما عرف تزايد مستمر منذ العهد الموحدى، حيث كانت المدينة إحدى المدن المحددة لتجار الإيطاليين لممارسة تجارتهم مع الدولة الموحدية⁵.

وقد كان التجار الإيطاليون مدعومين من قبل حكوماتهم، وكانوا يطالبون بأحياء خاصة تتوفر على كل متطلبات الحياة من أماكن للعبادة، وحمامات، ومستودعات لتخزين سلعهم التجارية⁶ إلى إلى أن يتم تصريفها داخل البلاد المغربية⁷.

1- محمد المنوني؛ الشيخ إبراهيم التازي (نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين القرن 9 هـ / 15 م)، مجلة الثقافة، العدد 91. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ورشة أحمد زبانا، الجزائر، سنة 1406 هـ، ص 145.

2- تازا من بلاد المغرب، أول بلاد تازا ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول، وفي البلاد الساحلية مثل وهران عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 128.

3- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج 2. ص 30،، ص 128.

4- عبد العزيز فيلاي؛ المرجع السابق، ص. ص 65. 61.

5- رسائل موحدية، المصدر السابق، ص. ص 172. 175.

6- روبرت لوبيز؛ المرجع السابق، ص 87.

7- عطا علي محمد شحاته؛ اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين و الوطاسيين، دار الكلمة للطباعة والنشر و التوزيع، دمشق، سنة 1999. ص 167.

- اليهود في مدينة وهران:

كان لليهود مكانة داخل المجتمع الوهراني كباقي المدن المغربية¹، وكان دورهم بارز خاصة في التجارة، والقيام بدور الوسيط بين المتعاملين التجاريين²، وقد سيطروا بذلك على النشاط التجاري للمدينة خاصة في الفترة التي سبقت سقوط المدينة في يد الاسبان .

وقد استطاع يهود وهران المحافظة على " لغتهم الاسبانية (الأندلسية) ، وتقاليدهم الموروثة عن أجدادهم الذين فروا من اضطهاد الاسبان"³ . ويرجع ذلك ربما لتمييزهم في جماعات لها شخصيتها الاثنية، والاجتماعية . وقد اشتغل البعض منهم في وظائف خطيرة داخل المدينة، وهذا ما سيكون له الأثر السلبي على أمنها، وسلامتها، فقد استغل الاسبان يهود وهران في تسهيل عملية الاحتلال، والدخول إلى المدينة من إحدى بوابتها، وذلك بطريقة مأساوية عن طريق تقديم رشوة ليهودي تكفل بإدخالهم إلى المدينة⁴.

4/1/1. الأعراب:

شكل ريف وهران مجال جغرافي لتوسع القبائل الهلالية، والتي ابتعدت عن المدن الساحلية وفضلت الاستقرار في المناطق الداخلية⁵ القريبة من المدن، والمشرفة على المسالك المعتادة في السفر، والتجارة، وهذا ما هدد أمن واستقرار الحركة التجارية، وانتقال المسافرين عبر الطرق والمسالك البرية الرابطة بين المدن المغربية . وتشير المصادر التي عاصرت الفترة الزبانية في المغرب الأوسط أن هذه القبائل الهلالية قامت بالكثير من الاعتداءات على المسافرين عبر الطرق البرية، وحتى على سكان المدن، والذين أمام عجز الدولة الزبانية عن حمايتهم، وحماية أموالهم

1- وردت قضاياهم في كتب النوازل منها كتاب لاي عبد الله بن سعيد العقباني التلمساني ، تحفة الناظر ، وغنية الذاكر في حفظ الشعائر ، وتغيير المناكر ، تحقيق ، علي الشنوفي ، ص/ص 167 / 173.

2- عطا علي محمد شحاته؛ المرجع السابق، ص167.

3- هاينريش مالتسان؛ المرجع السابق، ص30.

4- هاينريش؛ نفس المرجع، ص28.

5- يرى جورج مارسيه أن الساحل المغربي أصبح منطقة احتفاء من أذى الغزوة الهلالية . بلاد المغرب وعلاقاته، ص246.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

أصبحوا يستنجدون بالأولياء الصالحين لتخليصهم من الظلم و الجور،ومن فروع بني هلال التي سكنت بوادي وهران ¹.

- بنو عامر :

وقد استقروا بتخوم مملكتي تلمسان ،ووهران ،وكان عددهم نحو ستة آلاف من أحسن الفرسان ². و حسب أبو راس الناصري فان أبا عنان المريني هو من نقل بني عامر من ضواحي تلمسان ،وأنزلهم في تاسلة ،واتصلت مجالتهم الى جبل هيدور (بوهران) ،فكان قسم احميان أحد بطون بني يزيد استوطن تلك الأرض الحفرة ،وما ولاها ،والأكثر منهم المحاميد أهل حداد ³. ويوضح ابن خلدون أن احميان من بطون بني يزيد ،وقد اتبعوا بني عامر ،وصاروا من عدادهم ⁴

- ديار هبرة:

اختلف النسابون في تحديد بطن هذا الفرع ،فمنهم من يرجعهم إلى سويد ⁵،ومنهم من يزعم أنهم من بطون كندة ⁶. أما عن امتدادهم،فكانوا يستوطنون السهل الممتد بين وهران ومستغانم ⁷.

و الملاحظ أن تشكيلة الخارطة الاجتماعية الريفية للمنطقة الوهرانية أثرت بدورها عن التركيبة المجتمعية للمدينة ،بانتقال لبعض العناصر الريفية التي فضلت الاستقرار في المدينة ، وخاصة في حالة الزيجات المختلطة بين الاسر الريفية والحضرية ،حتى أن بعض الأسر الحضرية اشترطت على

1- يمكن الرجوع الى عدة مصادر أوردت معلومات في هذا الشأن منها ،المازوني ،المصدر السابق ،ج3.ص/ص 544/ 728

2-حسن الوزان ؛المصدر السابق ، ج 1.ص 51.

3-أبو راس الناصري ؛المرجع السابق ،ص 71.

4-ويرجع ابن خلدون الترحيل الأول لبني عامر ليغمراسن بن زيان الذي أنزلهم في جواره بصحراء تلمسان كيدا للمعقل،وأخذوا يتقلبون في قفار تلمسان في المشاتي ،ويظهرون إلى التلول في المراع و المصايف .المصدر السابق ،ج6.ص 56 . ص 68 .

5-يذكر ابن خلدون أن سويد نزلوا بضواحي وهران ،وكانت بينهم وبين بني عامر بن زغبة فتنة اتصلت على الأيام وثقلت وطأة الدولة الزيانية عليهم . المصدر نفسه ،ج6. ص 62.

6- ابن خلدون؛ نفس المصدر ،ج6.ص 65.

7- حسن الوزان : المصدر السابق ،ج 1.ص 51.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

الخطاب من الريف الإقامة في الحاضرة ، وهذا ما عكسته نوازل مازونة، وربما ما يفسر حالة رفض السكنى في البادية تفشي الفساد والعادات السيئة¹ .

2/1. تعداد سكان مدينة وهران:

تكاد تنعدم المعلومات المصدرة التي تحصى تعداد سكان مدينة وهران ، اذ اكتفت باعطاء وصف اصطلاحى عن حجم المدينة ؛ فهناك من يصفها بالمدينة الكبيرة ، والبعض يعتبرها مدينة صغيرة ؟.

ولا ندري إن كان هذا الوصف المهدف منه تحديد حجم المدينة السكاني أو العمراني ، أو يعبر عن حجم نشاطها الاقتصادي أو العلمي ، أو غير ذلك .

ومن وصفوا مدينة وهران عبد الواحد المراكشي (ت 1229/647) ، والذي يرى أنها "بليدة صغيرة"² هذا في العهد الموحدى، وعند ابن الوردي (ت 1457/861) فهي مدينة مشهورة كتاهرت ، والجزائر ، والقيروان وغيرها من المدن، ويرى أنها مدن متقاربة المقادير³ .

بينما تشبه مدينة وهران في منتصف القرن الثامن الهجري (8/ 14) بمدينة القدس و شاطبة⁴ في كبرها⁵ ، ويبدو أن المدينة اتسعت ، وزاد عمرانها على مر الزمن خاصة بعد ما قام به أبو الحسن المريني من توسعات.

أما عن تعداد سكانها فالمعلومات قليلة جدا في هذا الجانب ، إذ لم يقدر تعداد سكانها إلا في القرن العاشر الهجري (10/ 16) ، فقد أورد حسن الوزان أن بها ستة آلاف كانون⁶ بمعنى ستة آلاف دار ، وإذا أخذنا كمتوسط حسابي لعدد أفراد كل دار هو ستة (06 أفراد)⁷ ؛ فإننا

1- المازوني ؛ المصدر السابق ج 3، ص. 405 ص 441 ص 507.

2- عبد الواحد المراكشي ؛ المصدر السابق ، ص 357.

3- سراج الدين بن الوردي ؛ عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب و فريدة الغرائب ، تحقيق و تعليق و تقديم أنور محمود زناتي .

4- شاطبة ، أزلية ذات بطاح زاكية ، وخيرات وافرة ، وبها قصبة عظيمة منيعة بناها علي بن يوسف بن تاشفين ، ولها ثلاثة أقاليم في كل إقليم منها أربعون قرية . مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، لويس مولينا ، ج 1. مدريد ، سنة 1983. ص 74.

5- عبد الله بن الصباح ؛ المصدر السابق ، ص 96.

6- حسن الوزان ؛ المصدر السابق ، ج 2. ص 30.

7- صالح بعيزيق ؛ المرجع السابق ، ص 107.

نتحصل على تعداد سكاني يصل إلى ستة وثلاثين ألف نسمة (36000 نسمة)، ويبدو أن هذا الرقم كبير يفوق قدرة استيعاب المدينة المحصورة بأسوارها، لكن يمكن التأكيد أن المدينة استقبلت عدد كبير من مهاجري الأندلس، والذين نفذوا إلى العدو المغربي عبر مدن ساحلية، والتي منها وهران، فقد استقبلت حوالي 22 ألف مورسكي خلال القرنين (9 و15/10 و16)، لم تستطع المدينة استيعابهم، مما اضطر فريق منهم مكون من 500 إلى 600 مورسكي للهجرة إلى تلمسان وغيرها من المدن المغربية¹.

3/1. صفات أهل وهران: (الصفات الجسمانية والإشادة بالأخلاق النبيلة):

تحدثت المصادر التاريخية عن المميزات الجسمانية والأخلاقية لأهل وهران، وقد أشادت معظم المصادر بعظم الخلق لسكان وهران، كما وصفت الأخلاق الحميدة التي تميز بها سكان المدينة، ومن ذلك جاء عند الإدريسي: "... ومن أهلها (وهران) دهقنة وعزة أنفس ونخوة."². وجاء عند صاحب الاستبصار: "... (أهل وهران) موصوفون بعظم الخلق وكمال القامة والإباء والشدة"³، ومن الوصف الجسدي (المورفولوجي) لأهل وهران تطرح إشكالية هل جل سكان وهران كانوا بهذا الوصف، أم أن ذلك ينطبق على فئة معينة على اعتبار أن تركيب سكان المدينة هو متعدد الفئات، ومن رواية للبكري وابن حوقل، يبدو أن هذا الوصف ينطبق على البربر المكونون لسكان وهران داخل المدينة وكذلك في ظهيرها، حيث يورد البكري: " وفي عمل وهران قرية أهلها موصوفون بعظم الأجساد ومعروفون بشدة الأيد أخبرني غير واحد أنه رأى الرجل الكامل في الخلق المعهود يكون إلى دون منكب الرجل منهم، وأنه كان منهم رجل يحمل ستة نفر، ويخطو بهم خطوات يحمل على عاتقه اثنين، وتابط اثنين ويحمل على ذراعيه اثنين، وأن رجلا منهم أراد عمل بيت فاقتطع ألف كلخة⁴، وحملها على ظهره وسوى منها بيتا تاما معرشا.⁵ و يورد ابن حوقل أن

1- محمد زروق؛ المرجع السابق، ص131.

2- الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 153.

3- صاحب الاستبصار؛ المصدر السابق، ص 134، يمكن الرجوع كذلك للحميري، المصدر السابق، ص 612.

4- بحثنا عن معنى هذه الكلم في المعاجم العربية، لكنها لم يرد ذكرها.

5- البكري؛ المصدر السابق، ص81.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

أن سكان بادية وهران هم البربر من يزداجة¹، لذا فمن المحتمل أن هذا الوصف ينطبق على البربر

وعن الصفات الأخلاقية التي تميز بها سكان وهران: الكرم، وحب الغرباء والتماسك فيما بينهم إذا تغربوا، وفي ذلك يورد ابن حوقل: " .. وفي حاضرتها (وهران) دهقنة وحذق، وفيهم حمية مع الغريب²، وأشار إلى ذلك أيضا حسن الوزان: " فإن أهلها (وهران) ظرفاء كرماء يحبون الغرباء"³.

وقد أشاد الرحالة عبد الله بن الصباح بأهل وهران، وحبهم للغرباء حيث ذكر: " .. اعلم أيها القارئ والمستمع أنني الحاج المذكور مرضت في هذه البلدة (وهران) عامين اثنين لم أخرج على بابي من الجرب وانكسار الدم، ولم نبق فيها بلا عشاء ولا غذاء بل والله في كل يوم نفتقد بالزرع والدرهم من فضل الله من عند الأجواد مثل أهل وهران كمثّل أهل مكة"⁴.

كما أن كرم أهل وهران ظهر كذلك في إطعامهم لشيخو الصوفية، والواردين عليهم من طلبة العلم و الفقراء. فقد ذكر ابن سعد التلمساني في معرض حديثه عن الشيخ إبراهيم التازي: " .. حدثت عنه أنه كان يأتيه الطعام كل يوم من ملاذ الطعام ومختار الفواكه، ما يتعجب الحاضرون منه، فيقدمه للفقراء والصوفية من الواردين عليه، وتلقيت من الجمع الغفير من أهل وهران أن الطعام الذي يأتي لزاوية سيدي إبراهيم لم يكن له وقت معلوم على ما جرت به العادة في الدور وإنما كان يسيل على الدوام من طلوع الشمس إلى صلاة العشاء⁵ هذا عن معاملاتهم داخل مدينتهم للغرباء وللمتصوفة، أما إذا تغربوا فهم متكافلين فيما بينهم، وقد أورد عبد الله الصباح: " .. وأهلها إذا تغرب أحد منهم في البلاد لم تر أحسن منه صحبة، ولا أملح ودا يود

1- ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 79.

2- ابن حوقل؛ المصدر نفسه ، ص 79.

3- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2، ص30.

4- عبد الله بن الصباح؛ المصدر السابق، ص 96.

5- ابن سعد التلمساني؛ روضة النسر في التعريف بالأشياح الأربعة المتأخرين مراجعة، وتعليق وتحقيق ، يحي بوعزيز ،

منشورات ANEP، الجزائر ، ص189.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

بعضهم بعضا بالصحبة والخلة والمودة والحنانة والشفقة والرأفة، فكان أهل وهران يحبون بعضهم بعضا في الغربة ويحبون الوطن ونعم الجيران أهل وهران"¹.

وإذا تأملنا تاريخ المدينة طيلة العصر الوسيط يتضح لنا أن سكان المدينة عرفوا تماسك وتعاون ومآزرة بين مختلف الفئات المكونة للمجتمع الوهراني خاصة بين البربر والأندلسيين فالأندلسيون المؤسسون للمدينة رفضوا تسليم (بني مسقن) للقبائل البربرية التي حاصرت المدينة كما سبق ذكره، و قد ظهر التعاون، والرغبة في إعادة تعمير المدينة في كل مرة بعد تعرضها للتدمير و التخريب، كما أن المصادر لم تشر إلى فتن داخلية بين سكان المدينة كما حدث لمدن إسلامية أخرى، وهذا من شأنه أن يعطي صورة على انصهار السكان داخل المدينة، والشعور بالانتماء إليها أكثر من الانتماء إلى الأصول العرقية أو القبلية، وربما ما يفسر هذا التآلف أن

تأسيس المدينة جاء كتتويج للعلاقة الحسنة والرضا الحاصل بين الجماعات المؤسسة لها (الأندلسيون، وبربر بني مسقن ونفزة)، فكانت مدينة وهران الإطار الحضري الذي ترجم حسن الجوار وتبادل المنفعة بين مختلف الفئات المركبة للمجتمع الوهراني.

4/1. المستوى المعيشي لسكان المدينة:

لا تتضح صورة، وحالة المستوى المعيشي لسكان المدينة في الفترات السابقة للقرن 14/8، حيث لم تتطرق المصادر لوصف حالة معيشة السكان، واقتصرت وصفها على الحالة الاقتصادية و السياسية للمدينة، وربطها بالنظرة العامة لحالة المغرب، و بالأحداث السياسية والعسكرية التي عرفها هذا الأخير من خلال الدول التي مرت عليه. ونستطيع أن نلمح إشارات، وبعض المعلومات على مستوى معيشة سكان المدينة في فترات محددة، وذلك من خلال بعض المعلومات غير المباشرة عن الوضع المعيشي للسكان، منها شهادة الرحالة عبد الله بن الصباح في ق 14/8، والذي زار المدينة، وأقام بها مدة من الزمن، وأورد بن الصباح: "... أن مدينة وهران

1- عبد الله بن الصباح؛ المصدر السابق، ص 95.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

مدينة مباركة بالحرث والنسل، والخصب من الزرع الغالب من الحنطة الياسرة، واللحم السمين والسمن والفواكه، مدينة مكملة بالخير كافية بنفسها عن غيرها من البلاد.¹

ويتضح من هذا الوصف أن المدينة تمتعت بحالة الاكتفاء من الغذاء سواء الضروري من الحبوب أو من اللحم والفواكه، كما وردت إشارة أخرى عند ابن سعد التلمساني أن الطعام الذي كان يقدم للشيوخ المتصوفة كان مرفوق بأنواع الفواكه². ولكن هناك إشارة من حسن الوزان تعطي صورة عن حالة المستوى المعيشي لسكان المدينة في القرن العاشر الهجري 15/10 .

حيث يورد: "... أن أهل وهران كانوا يعيشون من مدخولهم، ولم يسد فيها (المدينة) الرخاء إذ لم يكن يؤكل فيها سوى خبز الشعير"³، وبالاكتفاء على نظرة ابن خلدون والذي يصنف الطعام ما بين المعاش الضروري للسكان من الحبوب، وما هو كمالي مثل الأدم⁴، والفواكه⁵، فإن سكان وهران جمعوا ما بين الشعير والحنطة، كأقوات متوفرة لأهل وهران، وهنا نطرح إشكالية غياب القمح كغذاء أساسي لأهل المدينة على الرغم من أنها ذكرت من مصدريه، في حين نجد توفر الكماليات من الغذاء كالفواكه وبكثرة؟. و ربما ما يفسر هذا الوضع الغذائي في هذه الفترة حالة الأمن التي ميزت مناطق الريف بسبب تعرضها إلى اعتداءات الأعراب⁶ والاضطرابات السياسية والعسكرية التي تأثرت بها المنطقة مما سبب قلة في إنتاج القمح، وغلاء في سعره مقارنة بالحبوب الأخرى مثل الشعير والحنطة، أما عن توفر الفواكه فهذا يرجع لكون الفاكهة كانت تنتج بكثرة

¹ - عبد الله بن الصباح؛ المصدر نفسه، ص 95.

² - ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 189.

³ - حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج 2، ص 30. وقد أورد حسن الوزان في موضع آخر أن الملك الزياني لتلمسان كان يأكل مزيج من لحم حصان وحبوب شعير كاملة وذلك أيام الحصار المريني على تلمسان و ذلك لغلاء أسعار القمح وغيره من أنواع الغذاء"، المصدر نفسه، ص 18.

⁴ - الأدم ما يؤكل بالخبز أي شيء كان، وفي الحديث سيد ادم أهل الدنيا والآخرة اللحم، جعل اللحم ادمًا. ابن منظور لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة مادة الألف، ص 45.

⁵ - عبد الرحمن بن خلدون؛ المصدر السابق، ص 293.

⁶ - ففي تعليق على نوازل مازونة، وصف حساني مختار أن اعتداءات الأعراب كانت متكررة في الأرياف وحتى حول المدن الساحلية مثل وهران. المصدر السابق، ج 1، ص 18.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

وبتعدد كبير في الأصناف داخل المدينة نفسها، فحسب ما سبق كانت البساتين والأجنحة توجد على طول واد الرحي الذي يقطع المدينة، وبالتالي فهي محمية من الاعتداءات الخارجية بأسوار المدينة، كما أنها محمية من العشور ان قدمت من الخارج بأيدي التجار الوهرانيين بسبب أن سكان المدينة كانوا يتمتعون بنوع من التسهيلات التجارية عند قدومهم بالسلع من خارج المدينة، لذا فان تواجد الكثير من السلع كان جد ممكن في المدينة وبأسعار مناسبة.

ومجمل القول أن حالة المدينة خلال العهد الزياني تميزت بنوع من الاكتفاء الذاتي الغذائي لمعظم سكانها، وإن كان بمستوى معيشي متفاوت، ويبدو أن فقراءها قد استفادوا من الزوايا التي وفرت لهم الطعام في معظم الأوقات . ويظهر التفاوت في المستوى المعيشي من خلال حالة السائل داخل المدينة إذ لم يكن بحال السائل في مدينة فاس، والذي يبدو - حسب ابن خلدون - أن السائل في مدينة فاس كان أوفر حظا لأنه تجاوز السؤال عن الحاجيات وأصبح يسأل عن أحوال فيها نوع من الترف في المأكول وغيره، ويرى ابن خلدون أنه لو سأل سائل مثل ذلك في تلمسان أو وهران لا تستنكر وعنف وزجر¹. هذا عن حالة السائل. ويطابقها في المقارنة حالة القاضي وغيره، رغم أن القاضي هنا يرتبط حاله بحالة الدولة التي يمثلها فأجره يتقضاه من خزينة الدولة، ويبدو من وصف ابن خلدون أن قاضي وهران كان أقل حالا من قاضي تلمسان² وهذا ما يطرح تساؤل حول المعايير التي كانت متبعة في تحديد أجره القاضي في مدن خاضعة لنفس السلطة السياسية؟. لأننا نعتقد أن حالة تجار وهران كانت أحسن حالا وأوفر مالا. وربما أن أجره القاضي في مدينة وهران عرفت تزايد في قيمتها بسبب ما حققته المدينة من غنى مالي ناتج عن تنامي النشاط التجاري، وهنا نشير الى نازلة أوردها المازوني (ت 1429/883) تتضمن سؤاله لأبي الفضل العقباني عن تردده في أخذ الأجرة بعد توليته قضاء تنس، وذلك لسبب أنها "تؤخذ من

1- ابن خلدون؛ المصدر السابق، ص 292.

2- ابن خلدون؛ المصدر نفسه ص 292.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

الباب"¹. وإن كانت هذه حالة القاضي في تنس، فنعتقد أن وهران خضعت لنفس المقاييس في تحديد أجره القاضي أي أنها حصلت من مداخيل الباب وذلك لاعتبارات. نذكر منها:

. خضوع المدينتان لنفس السلطة السياسية (الزبانية).

. تشابههما في كونهما مدينتان ساحليتان يشرفان على التجارة المتوسطية .

. وقد تمتع قاضي وهران بأجرة مرتفعة، ونستشف ذلك من الوقائع التي أوردها عبد الباسط حيث أورد أن خطيب وهران دفع للفقير الذي أحفظ ولده القرآن مائة دينار ذهبي، وأقام وليمة عظيمة أكل منها غالب أهل البلد². وهذا يعبر عن امتلاك القاضي لثروة مالية معتبرة نرجح أنها محصلة من أجره كقاضي لمدينة وهران، وارتفاع أجرته يعطي احتمال أكثر عن تقاضي أجرته من عائدات الباب المرتفعة خاصة أن مدينة وهران عرفت بتحصيل أموال طائلة من المكوس المفروضة على تجارتها³.

ويمكن القول أن النماذج المأخوذة تعبر عن حالة خاصة بكل فئة تختلف في طبيعة نشاطها ومكانتها الاجتماعية، لكننا نستطيع الاستدلال بها لإظهار التفاوت في المستوى المعيشي بين سكان المدينة.

5/1. عادات وتقاليد سكان وهران:

وإن كانت العادات والتقاليد التي تميز سكان مدينة وهران لا تخرج عن العادات والتقاليد العامة الخاصة بسكان المغرب الأوسط، وفي ظل غياب، وقلة المعلومات حول هذا الجانب فإننا نقتصر على بعض الملامح الخاصة بالمناسبات الدينية و بالأعراس التي أوردتها بعض المصادر بطريقة مباشرة تمس وهران .

• إحياء ليلة السابع والعشرين من رمضان:

1- المازوني؛ المصدر السابق، ج 3. ص 76.

2- عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 47.

3- يشير حسن الوزان أن " مملكة تلمسان كانت تحقق مردودا يبلغ ثلاثمائة ألف وحتى أربعمائة ألف دينار طوال العديد من السنين عندما كانت وهران تابعة لها". المصدر السابق، ج 2. ص 23.

وهنا يأتي ذكر عادة إحياء ليلة السابع والعشرين من رمضان في الأربطة المحيطة بالمدينة، وقد وردت هذه المعلومة من خلال ذكر حادثة مقتل تاشفين المرابطي بوهرا ن حيث يورد صاحب الاستقصا أن تاشفين صعد إلى رباط وهو بأعلى ربوة على البحر تسمى صلب الكلب، وكان يأوي إلى هذا الرباط المتعبدون، في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ليحضروا ختم القرآن وقد هلك في هذا الموضع¹. ويتضح من ذلك دور الأربطة في إحياء المناسبات الدينية واستقبالها لأعداد متزايدة من المتعبدين في هذه المناسبات و حتى من رجال السلطة .

• الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

وذكرت عادة دينية أخرى هي الاحتفال بالمولد النبوي في الزوايا ومنها ما ذكر عن زاوية سيدي إبراهيم التازي حيث كان يوفد إليها طلبة العلم والأشياخ، وحتى رجال السلطة من أعيان العدول بوهرا ن، وكانوا يقدمون هدايا متنوعة للمتصوفة،الذين يقدمونها بدورهم للواردين عليهم في الزاوية، ويتم في هذه المجالس قراءة القصائد كما أورد ابن صعد التلمساني².

• عادات لتشجيع تحصيل العلم، وأخرى احتفاء بإنهاء لتأليف أو أمر ديني:

ومن العادات التي ارتبطت بتشجيع تحصيل العلم تقديم الطعام بعد إتمام حفظ القرآن الكريم من طرف الصبيان ،والطلبة ،كما يقدم "سماط من الطعام إما باللحم أو الفاكهة بعد إتمام تأليف أو أمر ديني"، ويسمى ذلك "بالباروك"³. وقد كان تقديم الطعام من العادات المعروفة عند الأسر الوهرانية في المناسبات الدينية أو الخاصة ،وحتى في الأيام العادية حيث وجه لشيوخ ورواد الزوايا خاصة الزاوية التازية⁴. وكذلك قدم الطعام للغرباء، وزوار المدينة⁵، ومن المأكولات المشهورة

1- الناصري؛ المرجع السابق، ج2، ص، ص 64، 65.

2- ابن صعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص. ص 166. 169.

3- ابن صعد التلمساني؛ المصدر نفسه، ص104.

4- ابن صعد التلمساني؛ المصدر نفسه، ص189.

5- عبد الله بن الصباح؛ المصدر السابق، ص 95.

في وهران والتي كانت ترفق بالحلم نجد "قصعة الثريد"¹. وكانت عادة تقديم الطعام ترفق بتقديم الفواكه.

• الاحتفال في الأعراس:

يشهد يوم الزفاف احتفال بهيج يشبه الى حد كبير ما يحدث في تلمسان من تحضير للوليمة وتقديم أفخر الأطعمة للمدعوين ، وفي النهار يجرى سباق الخيل². الى جانب السباق كان الفرسان يلعبون الفرس للفرجة³ ، وعلى ما يبدو أن هذه العادات استمرت في المدينة وأصبحت من التراث (الفولكلوري) للمدينة.

6/1. بعض الأمراض و الأوبئة التي عرفتها المدينة :

يشكل المرض عادة حالة شخصية و خاصة بالفرد، لكن أحيانا ما يتحول المرض إلى حالة عامة بانتشار الوباء و الطاعون،هذا ما يزيد من خطورته على التجمعات السكنية ،وخاصة المدن لسرعة العدوى ،ومن ثمة كثرة الضحايا.

ووهران كغيرها من مدن المغرب الأوسط ظهرت بها أوبئة وأمراض،وحتى نالها الطاعون خاصة الذي ظهر سنة 1348/749 ،والذي خلف الكثير من الضحايا في بلاد المغرب وهناك طاعون آخر ضرب مدن المغرب عامة سنة 1349/750 ،وأخر سنة 1442/845⁴ .

أما عن الأمراض المنتشرة في المدينة، فقد ذكر ابن الصباح مرضه في هذه المدينة بالجرب وانكسار الدم ،ودام مرضه عامين اثنين⁵ ، ولم يتطرق ابن الصباح عن أسباب مرضه خاصة أن

1- الأغا بن عودة ؛ المرجع السابق ،ص69.

2- عبد العزيز فيلاي ؛ المرجع السابق ، ج.1 ص291.

3- الأغا بن عودة ؛ المرجع السابق ،ص69.

4- عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ،صص، 252، 253 .

5- عبد الله بن الصباح؛ المصدر السابق، ص 96.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

مرض الجرب من الأمراض المعدية ،وكيف عالجها؟ وهذا ما يطرح التساؤل حول وجود البيمارستان في المدينة، ومستوى الأطباء فيها كذلك ؟

إضافة إلى الجرب ،وانكسار الدم ،يحتمل أن المدينة قد عرفت الكثير من الأمراض المعدية القادمة إليها من الوافدين على المدينة على اعتبار أنها كانت مفتوحة على التجار و السفار والحجيج إلى بيت الله الذين كانوا يمرون عليها. كما استقبلت المدينة في الكثير من المرات هجرات جماعية لعدد كبير من الأندلسيين،والذين كانوا سببا في نقل بعض الأمراض إلى المغرب خاصة من اليهود الفارين معهم ؛ ففي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ظهر في المدن المغربية "داء الإفرنج" وهو المعروف بمرض الزهري¹ ، وقد استخدم الأطباء الخشب البنفسجي في علاجه، وتسميه العامة لذلك خشب الداء الإفرنجي² ،ومن الأمراض المذكورة أيضا مرض الجذام³ ،وقد ذكر أن شم النرجس يقطعه ،وهذا ربما ما يفسر زيادة الاهتمام بغرس النباتات الطبية داخل المدينة خاصة أن لها مظهر جمالي ،وطيب رائحة⁴. إضافة الى دورها العلاجي.

والواضح أن مختلف الأمراض كانت تعالج بمستخلصات نباتية ،وتركيبات حيوانية ، كانت منتشرة بين أهل المغرب ،و يمكن إدراج هذه العادات الاستشفائية ضمن معرفة صحية شعبية جعلت بعض الأفراد يدعي المعرفة بالطب هذه الوضعية حذرت منها كتب الحسبة ،والتي وصفتها بالانحرافات الخطيرة ،والتي تضر بصحة الناس ،وتفقدهم بعض الوظائف الحواسية على غرار

² -عبد العزيز فيلاي ؛ المرجع السابق ،ج.1.ص244.

² -حسن الوزان ؛ المصدر السابق ،ج.2.ص 283.

³ -المازوني ؛المصدر السابق ،ج.2.ص437.

¹ -" روى ابراهيم التازي حديث النرجس المسند عن القضاة الجلة من التسلسل عن الرسول صلى الله عليه وسلم"،وحسب الحديث الشريف ،فشم النرجس يقطع عدة أمراض من القلب كالجنون و الجذام والبرص.ابن سعد التلمساني ،المصدر السابق ،ص173.وربما هذا ما يفسر اهتمام العلماء ،والمتمصوفة بغرس الأشجار ،والنباتات العطرية والتي استعملت في الطب النبوي للاستبراء من الكثير من الأمراض.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

السمع والبصر¹، وقد كان طلبة العلم في وهران يأخذون بعض الطب من مصاحبة العلماء خاصة الوافدين على المدينة². كما استغل سكان المدينة التبرك بالأضرحة طلبا للشفاء، والتي استمرت إلى اليوم. فضريح سيدي الهواري يستقطب عدد كبير من الواردين الذين يقصدونه طلبا لشفاء من الأمراض العضوية و حتى النفسية مثل البحث عن الاستبراء من سوء الطالع والحسد والسحر³، وغير ذلك.

7/1. ظاهرة الومس والطلاق في مدينة وهران:

ذكر أبو راس الناصري أن مدينة وهران ذكرها صاحب الدرر المازونية في نوازل الطلاق و الومس⁴. مما يطرح عدة تساؤلات حول حقيقة انتشار ظاهرتي الومس⁵ و الطلاق؟ وماهي الأسباب الكامنة وراء ذلك؟ وكيف عولجت هذه الظواهر من الناحية الفقهية حسب النوازل المتوفرة؟

من المعلوم أن النوازل عاجلت الظواهر الاجتماعية التي طفت على الحياة اليومية لسكان منطقة ما، والحياة الاجتماعية لوهران شكلت جزء من نوازل مازونة خاصة أن مفتيها المذكور في نوازل مازونة "أبو زيد بن مقلّاش"، قد أجاب على مسائل متعلقة بقضايا مدينته⁶، كما تضمنت النوازل كذلك فتاوى الفقيه أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني، والذي تولى قضاء الجماعة في

¹ - وأورد أبو عبد الله بن سعيد العقباني "كذلك ما يتعاطاه كثير من يدعي علم الطب، ومعرفة الادواء، وصناعة اليد على جهل منهم لحقائقه الالهة وقفوا عليها أو إشارة نظروا إليها، وهذا شأن من الطب مما تبطن خفاياه، وتعظم زواياه فيسرعون في أجسام المسلمين بالاذاية القتالة...". المصدر السابق، ص، ص83، 84.

² - عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص63.

³ - لاحظت عند زيارتي للضريح تواجد عدد معتبر من النسوة اللاتي يجلسن بجانب المريدة، ووجود رجل آخر يشعل شمعة أمام الضريح ويرفع يديه للدعاء.

⁴ - أبو راس الناصري؛ شرح الحلل السندسية في شأن وهران و الجزيرة الأندلسية، مخطوط، عدد الأوراق 132 ورقة النسخ العربي الحرشاوي، تاريخ النسخ 14 اوت 1886. رقم المخطوط 3182. دائرة الحفظ و المخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة 11.

⁵ - الومس بفتح الواو والميم، وهو الفجور، قال الجوهري و الموهمة المرأة الفاجرة أبو راس الناصري، عجائب الأسفار المرجع السابق، ص68.

⁶ - زمن ذلك جاء "أجاب فقيه وهران أبو زيد عبد الرحمان ن مقلّاش عنها ..". المازوني، المصدر السابق، ج3، ص554.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

مدينة وهران¹ في فترة ما من حياته ق14/8. وسنركز على القضايا التي أجابا عنها العالمين وذلك لصلة المباشرة لهما بالمدينة ، كما أن الظواهر الاجتماعية المعالجة هي ظواهر مشتركة ما بين المدن المغربية عامة.

وحسب ما جاء في فتاوى العالمين فيما يخص مسائل الطلاق سواء كان قبل البناء أو بعده ذكر بعض الأسباب التي كانت وراء هذه المشكلة الاجتماعية منها :

. تزويج المرأة خاصة البكر غضبا ، وقهرا من طرف وليها².

. ظهور أمراض يرفضها أحد الزوجين ، وذكر مثل ذلك الجذام³.

. كما كان لاختلاط الزوجات بين من يشاع أنه من العبيد مع المرأة الحرة دور في طلبها للطلاق لعدم التأكد من ثبوت حرته⁴ .

. زواج الثيب ، وظهور حملها من الرجل الأول⁵.

. الاستهانة بالطلاق ، والتلاعب ، والكذب في استباحة المحرمات بالاستفتاء ، وإظهار التوبة⁶.

وعن ظاهرة الومس ، فقد أشارت النوازل على تفشي بعض الانحرافات الخطيرة وخاصة مشكلة الزنا ، وما ينتج عنها من مواليد غير شرعيين⁷.

1- وقد ذكر بأنه تولى قضاء الجماعة في كل من تلمسان ، وبجاية ، ومراكش ، وسلا ، ووهران ، و هنين ، وهو خطيب الجامع الأعظم بتلمسان في حياة يحي بن خلدون. يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج1. ص123. والرجوع كذلك إلى أحمد بن يحي النونشريسي ؛ وفيات النونشريسي ، تحقيق محمد بن يوسف القاضي ، الناشر شركة نوابغ الفكر ، القاهرة ، سنة 2009. ص81، 80.

2- المازوني ؛ المصدر السابق ، ج2. ص428، 429..

3- المازوني ؛ المصدر نفسه ، ج2. ص437.

4- المازوني ؛ المصدر نفسه ، ج2. ص431.

5- المازوني ؛ المصدر نفسه ، ج2. ص561.

6- وأخذنا هذا السبب لأنه يفسر شيوع ظاهرة الطلاق في المغرب الأوسط ككل ، وذكر : "كثر هذا الفعل من الناس جدا". المازوني ؛ المصدر نفسه ، ج2. ص550 / 623.

7- لمازوني ؛ المصدر نفسه ، ج2. ص473 / 503.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

ولمعرفة أسباب تفشي هذه الظاهرة في المجتمع الوهراني يمكن الرجوع إلى كتب الحسبة التي ترصد مختلف الانحرافات الاجتماعية التي تحدث في المدينة. وتضبط سلوكيات المجتمع الإسلامي وفق معايير، وأسس شرعية . وعن أسباب ظهور الأفعال المنكرة التي لها صلة بظاهرة الومس كثرة خروج النساء من بيوتهم، واستعمال بعضهن لأنواع من الزينة ، وارتيادهن للحمامات¹ والقبور²، و الذهاب إلى سوق الغزل³، والجلوس إلى الصنّاع، و الباعة، وهذا ينتج عنه مخالطتهن للرجال وسفلة السماسرة مما يسبب فعل المنكرات، وارتكاب المحرمات⁴ . وحتى أن بعض النساء كن يحضرن للأعراس مختلطات مع الرجال⁵، وهذا ما استنكرته كتب الحسبة لما فيه من مضرة أخلاقية، وهناك ظاهرة عرفت بها مدينة وهران وهي خروج المرأة المتكرر لجلب الماء من العيون، وكانت تستغرق وقت طويل لتعود إلى بيتها، وذلك لقلّة الماء⁶ وكثرة الزحام عليه⁷. وهذا ما يعرضهن للاختلاط ومن ثمة للمفاسد⁸. كما يمكن ملاحظة تداخل كبير بين سكان الحاضرة وسكان البوادي أدى إلى انتشار بعض العادات الذميمة داخل المدن، وقد أشار المازوني للبعض منها⁹. وتجدر الإشارة كذلك إلى استقبال المدينة للعديد من الهجرات الأندلسية المتوارة مما زاد من تفاقم المشاكل الاجتماعية بسبب عدم قدرة المدينة على استيعابهم. ونلمح من قصة دعاء المتصوف

1- أبو عبد الله العقباي التلمساني؛ المصدر السابق، ص، ص 72، 73.

2- أبو عبد الله العقباي التلمساني؛ المصدر نفسه، ص /ص 74 / 77.

3- ونعتقد أن المرأة الوهرانية كانت تردّاد سوق الغزل لتسويق منتوجاتها من الحياكة نظرا لشيوع صناعة النسيج والحياكة في المدينة .

4- أبو عبد الله العقباي التلمساني؛ المصدر نفسه، ص 78.

5- ووصف خروج المرأة بادية الوجه، وحضورها الأعراس مع الرجال والنساء أنها من عادات البوادي، وهي من المنكرات. المازوني، المصدر السابق، ج 3. ص 520.

6- لا نعلم متى ظهرت هذه المشكلة في مدينة وهران حيث ذكرت أنها مشكلة قديمة لم تعالج حتى حلها المتصوف إبراهيم التازي بادخاله الماء إلى وهران. ابن سعد التلمساني، المصدر السابق، ص 155.

7- الآغا بن عودة؛ المرجع السابق، ص 80.

8- وقد أشار العقباي لذهاب النساء إلى السقايات لسقي الماء، ووقفوهن هناك يجلب الحديث مع فسقة العبيد و بعض الأحرار ظهرت آثاره في كثير من الدور بولادة الخدم فيهن أبناء الزنى. المصدر السابق، ص 80.

9- مثل أخذ النساء بالغصب على عادة أهل البوادي. المازوني، المصدر السابق، ج 3. ص 441.

محمد بن عمر الهواري ت 1439/843 على مدينة وهران يظهر وصفه لها بالفاسقة كثيرة الجور والبغي ذات الأهل الباغية¹، وهذا يعبر على الوضع الذي وصلت له المدينة بسبب انفتاحها على البحر والبادية، وما شكل كل منهما من خطر على استقرارها الاجتماعي، ونعتقد أن عدم استقرار المدينة الاجتماعي كان له تأثير مباشر على بروز منشآت عمرانية مثل الملاجئ².

2. الحياة الثقافية في مدينة وهران :

1/2. توفر عوامل مناسبة لنشاط الحياة العلمية والثقافية:

ان نشاط الحياة العلمية والثقافية لأي مدينة يرجع إلى توفر عوامل داخلية على مستوى مجالها الحضري، وعوامل خارجية تتعلق بحركة العلماء وطلبة العلم منها واليها، والملاحظ على مدينة وهران أنها استفادت من توفر بعض المنشآت الخاصة بالتعليم وبالخصوص المدارس التابعة لزاويتين الهوارية و التازية. كما أنها استقبلت عدد كبير من العلماء لوقوعها في طريق الحج ولأنها كذلك من منافذ التجارة بين العدوتين المغربية والأندلسية. ومن العلماء التجار الذين زاروا المدينة نذكر على سبيل المثال . لا الحصر . الرحالة عبد الباسط . كما أن موقع المدينة سمح لطلبة العلم بها أن يتموا تعليمهم في مختلف الحواضر الاسلامية سواء في المغرب أو المشرق أو الاندلس، وقد ذكر ابن سعد التلمساني تعجب عجز بغدادية من العالم أبي القاسم عبد الرحمان الوهراني عندما أخبرها بأنه قدم الى بغداد لطلب العلم، فردت عليه "جئت من أقصى المغرب الى المشرق تطلب العلم، فأنت من أهل الجنة .."³ والملاحظ أن الكثير منهم ارتقى الى مراتب علمية هامة أكسبتهم أكسبتهم الكثير من الاحترام و التقدير من طرف علماء الحواضر التي استقروا بها، حتى أن من

1-الآغا بن عودة ؛ المرجع السابق، ص 73.

2-ذكرها حسن الوزان ضمن مختلف منشآت المدينة.المصدر السابق، ج.2.ص30.

3- وتورد الحكاية أن العجز " أخرجت من كمها رداء لها ومدته بالأرض وقالت سألتك بالله ألا مشيت عليه مقبلا ومديرا ..وقالت ليكن هذا الرداء كفي .. ". ابن سعد التلمساني، المصدر السابق، ص183.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

جملة ما ذكر عن مدينة وهران للتعريف بها في بعض المصادر هو أنها كانت مخرج لجماعة من العلماء¹. وستتطرق للتعريف ببعض منهم في هذا الفصل.

كما عرفت المدينة بكثرة العلماء الذين استقروا بها². والذين ساهموا في زيادة النشاط الثقافي داخل المدينة، كما استقطبوا عدد من العلماء الوافدين عليهم خاصة في زمن الشيخ المتصوف محمد بن عمر الهواري و ابراهيم التازي خلال القرن 15/9 .

- طريقة التعليم و العلوم الملقنة :

تظهر حالة التعليم في مدينة وهران حسب عبد الباسط (ق 9 / 14) بحفظ القرآن الكريم في الصغر³، و توكل هذه العملية إلى المؤدب و المعلم⁴، وكان المؤدب يستعمل الضرب كوسيلة للتأديب بمهدف المنفعة للصبي، و أن لا يتجاوز المعلم في الضرب ثلاثا الا بعد اذن ولي الأمر⁵، و هذا ربما ما جعل والد الهواري (ت 433 / 1439) يطلب من مؤدب ابنه أن لا يضربه في تعليمه للقرآن الكريم، و جاء " يا علي اياك أن تضجر هذا الولد أو تسوطه "، و في موضع آخر: " لا تضربه و دعه على حاله " ⁶، وقد كان الولي من يدفع الأجر للمؤدب⁷ و يذكر المازوني (ق 15/9) أن أجرة المعلم بلغت أربعين شاة لستة عشر (16) ولدا في السنة (أي حوالي (3) ثلاث نعاج لكل ولد في السنة)⁸، ويبدو أن الدولة الزيانية لم تتكفل بالتعليم في مدينة وهران باستثناء إشراف القاضي على اليتامى. ومراقبة المحتسب للمعاملة التي يوليها المعلمون للصبيان، و هذا ما جعل التعليم يقتصر على فئات اجتماعية تكون قادرة على تحمل نفقات تعليم أبنائها⁹.

1- ابن خلكان ؛ المصدر السابق، المجلد الرابع، ص 385.

2- الأغا بن عودة ؛ المرجع السابق، ص 95.

3- عبد الباسط ؛ المصدر السابق، ص 62.

4- المازوني ؛ المصدر السابق، ج 3، ص 72.

5- عبد الرحمان عثمان حجازي ؛ المذهب التربوي عند ابن سحنون، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة 1416

هـ/ 1995 م، ص 92.

6- ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 48.

7- بونابي؛ التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين / 12 و 13 الميلاديين ،دار الهدى للطباعة والنشر ، ص

236.

8- المازوني ؛ المصدر السابق، ج 3، ص 72.

9- بونابي؛ المرجع السابق، ص 228.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

وتعتبر نهاية المرحلة الاولى من التعليم، والتي يتم فيها ختم القرآن حدث بارز للأسرة الوهرانية حيث تقام وليمة حافلة بالمناسبة السعيدة مثل ما وقع في بيت خطيب مدينة وهران عند ختمه للقرآن الكريم رغم أن أجر المعلم بلغ المائة دينار ذهباً¹.

وقد كان التعليم في مرحلته الاولى يتم في الكتاتيب، ونجد بعض التأليف التي اهتمت بوضع كتب تعالج قضايا التعليم في الكتاتيب على غرار ما قام به العالم الوهراني أبي العباس محمد بن أبي جمعة المغراوي (ت 1512/917)، والذي ألف "الاختصار والبيان فيما يعرض للمعلمين وأباء الصبيان"². لكن أطوار التعليم الأخرى لم ترد حولها معلومات مما يجعلنا نعتقد أنه يشبه نظيره في الحواضر المغربية، وحتى الأندلسية، وقد ذكر أن مدارس وهران تذكر بالتعليم المشهور في كل من قرطبة وغرناطة³.

وبظهور التصوف الاجتماعي⁴ أصبح التعليم أكثر انتشاراً لدى الطبقات الفقيرة، فقد عمد متصوفة متصوفة وهران إلى إنشاء مدارس حظيت بخزائن مملووة بالكتب العلمية و بعلماء أفاضل عمدوا على نشر التعليم للعام والخاص، وللغني و الفقير و للمقيم و الوارد، فعمت الفائدة أكثر رغم تركيزها على العلوم الدينية، والتوجه الصوفي. وقد برزت تأليف وجهت للصغار بهدف تبسيط الاحكام الشرعية فيما يخص العبادات منها تأليف للهواري سماه "السهو في أحكام الطهارة و الصلاة"⁵، وقد ذكر أنه وجه للأولاد⁶، وربما هذا ما جعل مؤلفه لا يهتم بوزن أشعاره.

2/2. الزهد والتصوف في وهران:

¹ عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 47.

² صالح بن قربة وآخرون؛ تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية، الجزائر سنة 2007. ص 123.

³ . Henri Leon Fey .op.cit.p55.

⁴ محمد المنوني؛ المرجع السابق، ص 150

⁵ ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 54.

⁶ الحفناوي؛ المرجع السابق، القسم الأول، ص 147.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

نقل أحد الباحثين أن حركة الزهد برزت في المغرب الأوسط انطلاقاً من القرن الثالث الهجري (3هـ)، التاسع الميلادي (9م) بشكل واضح في جبل وهران مكان تعبد "سيدي هيدور" الذي ينسب إليه الجبل، ويحمل اسمه إلى غاية القرن 16/10¹ ونعتقد أن التاريخ المذكور لظهور الزاهد "هيدور" جاء في فترة متأخرة عن القرن الثالث الهجري حيث لم تذكر المصادر اسم "سيدي هيدور" على الجبل المطل على وهران، وإنما ذكرت اسم آخر للجبل هو "قيدر"، وذكر أيضاً "جيدر"²، وذلك كان في القرن الخامس الهجري (5هـ/11م) ، لذلك فالزاهد هيدور اتخذ جبل وهران مكاناً للتعبد، والزهد بعد هذا القرن؟. وحتى يحيى بن خلدون يذكره باسم "جبل جيدرة المصاقب لوهران"³، وعبد الرحمان ابن خلدون يورد اسم الجبل باسم "كيدرة الجبل المطل على وهران"⁴ أو أن كلمة قيدر أو جيدر هي في الأصل هيدور؟ ، وبذلك يكون القرن الثالث للهجرة هو زمن الزاهد سيدي هيدور. ويبدو أن نفس الموضع يحمل اسم آخر هو مولاي مرجاجو، وكذلك اسم الولي عبد القادر وحسب الكتابات الفرنسية فإن هذا الموضع يحتوي على قبة بيضاء نصبت في أعالي المدينة، ويرجع تشييدها إلى سنة 1425/828 من قبل أحد تلامذة سيدي شعيب الملقب بأبي مدين⁵ (ت 1197/594)، ويبدو أن جبل وهران جذب إليه عدد من المتعبدين، والمرابطين بسبب موضعه على البحر، فهو حامي المدينة، ورباطها، وكذلك لسبب اعتقادي ديني حيث أشيع بأن الصخرة التي "بساحل وهران بأنها المرادة في قوله تعالى حكاية عن فتى موسى بن عمران على نبينا و عليه أفضل الصلاة و السلام" قال أرايت اذ أويتا الى الصخرة فاني نسيت الحوت"⁶. (الآية 63 من سورة الكهف). كما عرفت المدينة بانتشار التصوف حيث برز علماء متصوفة كان أشهرهم محمد بن عمر الهواري، وتلميذه ابراهيم التازي، وسنخصص لهما مساحة أوسع في آخر هذا الفصل لتعريف بهما وبأعمالهما، وذلك لمكانتهما في المجتمع الوهراني.

¹ - الطاهر بونابي؛ المرجع السابق، ص 48.

² - وهذان الاسمان يختلفان الا في الحرف الأول، وكلاهما ذكرهما البكري (ت 487هـ). المصدر السابق، ص 71.

³ - يحيى بن خلدون؛ المصدر السابق، ص 209.

⁴ - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ج 6، ص 64.

⁵ - Eugene Cruck, op, cite, p 176

⁶ - عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 57.

3/2. علماء ومتصوفة وهران:

ونستعرض في هذا العنصر أشهر علماء وهران سواء الذين عاشوا في المدينة أو نسبوا إليها أو اشتغلوا بها حيناً من الوقت. والملاحظ أنهم برزوا خاصة في العلوم الدينية الفقهية، والقضاء وذلك طيلة الفترة الوسيطة وتولوا نتيجة لذلك مناصب داخل المدينة، وفي مختلف الحواضر الإسلامية مشرقاً ومغرباً.

- عبد الرحمان بن خالد البجاني الوهراني ت (1018/411):

ذكر فقط تاريخ وفاته سنة إحدى عشرة وأربع مائة¹. ولا ندري تخصصه العلمي.

- أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله الوهراني المعروف بابن الخراز ت 1018/411:

عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني يعرف بابن الخراز². كان رجلاً صالحاً منقبضاً عن الناس لازم بالقيروان الزاهد أبي العباس تميم بن محمد التميمي أربعة أعوام تأثر بطريقته في الزهد، قام برحلة طويلة دامت عشرين سنة، زار خلالها أشهر بيئات الزهد والتصوف من البصرة، الحجاز، مصر، نيسابور³، بغداد وخراسان، اهتم بعلوم الحديث وقد روي عنه جماعة من أكابر العلماء⁴، توفي بالمرية وعمره تسع وثمانين سنة⁵ (89 سنة).

¹ - ابن عميرة الضبي؛ بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ذيل كتاب جذوة المقتبس للحميدي)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهرسه صلاح الدين الهواري، سنة 1426هـ/2005م ص 336.

² - ابن عميرة الضبي؛ المصدر نفسه، ص 339.

³ - الطاهر بونابي؛ المرجع السابق، ص 50.

⁴ - وقد ذكر أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن خالد الوهراني ضمن سلسلة من العلماء الجلة الفقهاء المعتمدين في نقل المعارف. القاسم بن يوسف التحجيبي السبتي؛ برنامج التحجيبي، تحقيق واعداد عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب ص 30.

⁵ - ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 183، 184.

- أبو عبد الله الوهراني محمد بن محرز الوهراني (ت1179/575):

هو أبو عبد الله محمد بن محمد الوهراني الملقب بركن الدين، وقيل جمال الدين، أحد الفضلاء الظرفاء، قدم من بلاده (وهران) إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين¹ وقد دخل مصر في حدود سنة 1174 / 570 ، واشتهر فيها بالعلم والأدب وحسن الفهم²، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل عماد الدين الإصبهاني الكاتب، وتلك الحلبة علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ولا تنفق سلعته مع وجودهم، فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس³.

- أشهر أعماله الأدبية :

المنام الكبير، وهو في أربعين صفحة من القطع الكبير ضمنه رسالة يرد فيها على بعض أصحابه متماجنا بما ساقه من ألقابه العلمية والأدبية ومن كلام هزلي غلبه النوم في أثنائه، فرأى في حلمه أن القيامة قامت وأن مناديا ينادي الناس هلموا إلى العرض على الله، ويلبي الكثيرون...، ومنهم الصوفية وهم يحملون الأمشاط، وأحلة الأسنان، فقال صلى الله عليه وسلم: من هؤلاء؟ ف قيل له: قوم من أمتك غلب العجز والكسل على طباعهم، فتركوا المعاش وانقطعوا إلى المساجد، يأكلون وينامون فقال: فبماذا كانوا ينفعون الناس ويعينون بني آدم؟. ف قيل له: والله ولا بشيء البتة، ولا كانوا إلا كمثل شجر الخروع في البستان، يشرب الماء ويضيق المكان⁴. ويعتبر ذلك نقد مبكر للصوفية واحتياهم على العامة⁵.

تنقل الوهراني في البلاد، وأقام بدمشق إلى أن توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة

(1179 / 575) بداريا⁶. وذكر ابن سعد وفاته سنة 1161 / 557؟

¹ - ابن خلكان ؛ المصدر السابق، المجلد الرابع، ، ص 385، الرجوع كذلك لمحمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، سنة 1982/1402، ص 494.

² - أبو راس الناصري ؛ المرجع السابق، ص 95، الرجوع للأغا بن عودة، المرجع السابق، ص 94.

³ - ابن خلكان ؛ المصدر السابق، المجلد الرابع، ، ص 385، وأيضا أبو الفلاح بن العماد، شذرات الذهب، المجلد الثاني، ص 253.

⁴ - يرجع للملحق رقم (05) للاطلاع على نص المقام .

⁵ - شوقي أبو ضيف؛ تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف ، ص 245.

⁶ - داريا، قرية على باب دمشق في الغوطة. أبو الفلاح بن العماد الحنبلي، ، المصدر السابق، ص 253.

- علي بن عبد الله بن المبارك أبو بكر الوهراني (ت 615 / 1218):
سكن داريا من قرى دمشق له تفسير القرآن الكريم².

- أبو محمد عبد الله بن جبل ق 12/6:

ذكره عبد الواحد المراكشي أنه من أهل مدينة وهران، وهو من قضاة عبد المؤمن بن علي³.
أما ابن أبي زرع الفاسي، فيصنفه من كتابه⁴. كما ذكره ابن صاحب الصلاة بأنه من أصحاب
الخطيب أبو الحسين الاشبيلي⁵ (ت 567).

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان (ت 601):

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني حسب ابن سعيد موسى الأندلسي⁶
(ت 685). وورد باسم محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني عند أبي عبد الله بن عبد
الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت 703)⁷.

¹ - يبدو أن ابن سعد أخطأ في نقل سنة الوفاة حيث عكس رقم العشرات لأنه ذكر ابن خلكان ومعلوماته عن العالم المذكور
المصدر السابق، ص 184.

² - إبراهيم الوافي؛ التفسير وعلوم القرآن، السجل العلمي، ص 44.

³ - عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص 200.

⁴ - ابن أبي زرع الفاسي؛ المصدر السابق، ص 268.

⁵ - عبد الملك بن صاحب الصلاة؛ تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تقدم عبد
الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة و النشر، بيروت، سنة 1383/1964، ص 150.

⁶ - ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي؛ الغصون الياقة في محاسن المائة السابعة، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط 2.
دار المعارف، مصر سنة 1967، ص 29.

⁷ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي؛ الذيل و التكملة لكتابي الموصول و
الصلة، تقدم وتحقيق محمد بن شريفة، القسم الأول، السفر الثامن، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سنة
1984، ص 339.

وذكر أنه قاضي لأبي يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن الموحيدي (580. 595) وذكر أنه من أهل مدينة وهران¹، ولد بها²، ونشأ بتلمسان شلويني الأصل (من كورة البيرة)³. وهناك من يرجع أصله المرية⁴. وقد كان "فقيها مستبحرا في حفظ المسائل، ماهرا في النظر، بارع الخط⁵، مال لعلم الظاهر، وأكثر من مطالعة كتب ابن حزم⁶ (ت 456) فاشتهر بذلك". استقضى بتلمسين (بتلمسان) وقتا ثم قدمه المنصور في حركته الشرقية الثانية الى قضاء الجماعة⁷. ولكنه عزله وقتا⁸. ومما ذكر عنه أنه "متعرف العدل والنزاهة والتودة، وأنه لم يجلد أحدا أحدا طوال أيام استقضائه بسوط، وكان المنصور معجبا به..". وقد أعاده الناصر (595. 610) للقضاء. وكانت وفاته سنة احدى وستمئة (601)⁹. وقد كان له أبناء علماء استقضوا كذلك وهم موسى ومروان و أبو زكريا.

- موسى بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني (ت 608):

ذكره أبو عبد الله بن عبد الملك الأنصاري المراكشي كذلك، وعرفه بأنه: "تلمسيني وهراني الأصل حديثا شلوينية قديما"، "يكنى أبا عمران سكن مع أبيه (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان السابق الذكر) مراكش...، روى عن أبيه، وتفقه، وبغيره واستقضى بمالقة ثم غرناطة". والتي توفي ودفن بها سنة ثمان وستمئة¹⁰ (608).

- مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمذاني (ق 7 هـ):

-
- ¹ - عبد الواحد المراكشي؛ المصدر السابق، ص 264.
 - ² - ابن سعيد بن موسى الأندلسي؛ المصدر السابق، ص 29.
 - ³ - أبو عبد الله بن عبد الملك الأنصاري المراكشي؛ المصدر السابق، ص 339.
 - ⁴ - ابن سعيد بن موسى الأندلسي؛ المصدر السابق، ص 29.
 - ⁵ - أبو عبد الله بن عبد الملك الأنصاري المراكشي؛ المصدر السابق، ص 339.
 - ⁶ - ابن سعيد بن موسى الأندلسي؛ المصدر السابق، ص 30.
 - ⁷ - أبو عبد الله الأنصاري المراكشي؛ المصدر السابق، ص 339.
 - ⁸ - يرجع لابن سعيد بن موسى الأندلسي للاطلاع على قصة تنحيته من القضاء. المصدر السابق، ص 30، 31.
 - ⁹ - أبو عبد الله بن عبد الملك المراكشي؛ المصدر نفسه، ص 340.
 - ¹⁰ - أبو عبد الله بن عبد الملك المراكشي؛ المصدر نفسه، ص 374 / 527.

الفصل الثامن.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

وهو أخو موسى سابق الذكر، وابن أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان، "تفقه بأبيه وغيره ببلده مراكش، وقد كان فقيها حافظا للمسائل بصيرا بالفتوى في النوازل. استقضى بتلمسين (تلمسان) وبغرنطة ومرسية¹.

- أبو زكريا بن محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني:

ذكره ابن سعيد موسى الأندلسي، ووصفه بأنه مثل أبيه (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان) في "حفظ الأدب و التخصص، ولي قضاء المرية والكتابة عن الأمير أبي البحر". "الا أنه كان نهاية في سوء الخلق و البخل، وهو شاعر تقف على ترجمته في سنة اثنتين وخمسين وستمئة² (658).

- الشيخ الفقيه الصالح أبو تمام أو أبو تميم الواعظ (القرن 7هـ):

ذكر أنه الشيخ الفقيه العابد الصالح المبارك المتعفف المذكر³، من أهل وهران، سكن بجاية، و اشتغل بها بعلم التذكير، وكان جلوسه بالجامع الأعظم، وكان له إتياع من الجمهور، وله كذلك كرامات⁴

- أبو علي بن يوسف السبني ت 753 أو 754/1352 أو 1353:

السيد الشريف المحدث أبو علي حسن ابن السيد الشريف المرحوم أبو يعقوب يوسف بن يحي الحسيني السبني، أخذ عن الأستاذ ابن عبيدة، وابن الشاط، ورحل إلى المشرق فأخذ به عن علماء كثيرين، وولى القضاء بإفريقية ثم بسواحل تلمسان ومنها وهران اشتهر وعلم قدره، فنقل إلى تلمسان ورأس بها الناس، وولى قضاءها، فعدل ولم تأخذه في الله لومة لائم، ثم جالس السلاطين في أعلى طبقات الخطوة، وكان حافظا للعلم محققا للتاريخ، توفي بتلمسان⁵.

¹ - أبو عبد الله بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي؛ المصدر نفسه. ص 373.

² - ابن سعيد بن موسى الأندلسي؛ المصدر السابق، ص 34.

³ - أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني؛ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المطبعة الثعالبية، سنة 1910/1328. ص 116.

⁴ - ابن مريم؛ المصدر السابق، ص 52. كذلك ابن سعد التلمساني، المصدر السابق، ص 185.

⁵ - أبو زكريا يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1. ص 131.

- أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني ت 811 / 1412:
ذكره الونشريسي بأنه تولى قضاء بلدان شتى منها وهران، من آثاره شرح سورة الأنعام و سورة الفتح، وشارح ابن الحاجب الأصلي، والبرده، والعقيدة البرهانية، وغيره، قد شرح كتاب الحوفي¹
- يحيى الهيني: (حي سنة 847 / 1444):
وصفه القلصادي بأنه الفقيه الصدر، وقد التقى به بوهران².
- أبو الحسن علي بن قاسم الشهير بالحداد الوهراني (حي سنة 847 / 1444):
ذكره القلصادي وكان ممن التقى بهم بوهران³، ولكنه لم يذكر تخصصه العلمي، ومكانته في مدينة وهران.
- سليمان الحميدي الوهراني أبو الربيع كان على قيد الحياة سنة (869 / 1465):
يذكره القلصادي من جملة أحبائه وإخوانه بمدينة وهران ووصفه بأنه كان فقيها. كما ذكره كذلك الرحالة عبد الباسط، ووصفه بأنه "من كبار أهل العلم و الفضل بهذه البلدة (وهران)، وأنه استفاد منه وحضر الكثير من دروسه⁴.
- أبو عثمان سعد الشلوفي (حي 847 / 1444):
ذكره القلصادي، الذي اجتمع به بمدينة وهران، ومما ذكر عنه أنه يوده، وهو في مقام والده، وذكر كذلك منصبه في إمامة الجامع الأعظم، وذكر أن أصله من قندية بأرض شاطبة وهاجر منها إلى أرض الإسلام وما يمكن ملاحظته من وصف القلصادي أن أبا عثمان سعد الشلوفي كان شيخ متبرك به⁵.
- أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الوهراني المغراوي (ت 910 / 1504):

¹ - يحيى الونشريسي؛ المصدر السابق، ص، ص 80، 81.

(²) - القلصادي؛ المصدر السابق، ص 112، يمكن الرجوع لأحد بابا التنبكي، المصدر السابق، ج 1، ص 224، وأبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، القسم الثاني، ص 179.

³ - القلصادي؛ المصدر السابق، ص 112. كذلك أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق. القسم الثاني، ص 179.

⁴ - القلصادي؛ المصدر السابق، ص 112. كذلك عبد الباسط، المصدر السابق، ص 46. وايضا أبو القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ص 179.

⁵ - القلصادي؛ المصدر السابق، ص 111.

شارح لامية كعب بن زهير التي اسمها "بانت سعاد" واسم شرحه "تسهيل الصعب، على لامية كعب"، اعتنى بعلم النجوم و الحساب واللغة ¹.

- أبو العباس أحمد بن أبي جمعة الوهراني المغراوي (ت 920 / 1514):

ذكر بأنه تلميذ غانم الغمري، وأنه والعالم أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الوهراني من ذرية محمد الهواري، فهما ابنا ابنه ²، وقد عرف أبو العباس أحمد بن أبي جمعة الوهراني بالفتوى التي تضمنت الهجرة الأندلسية ³.

- شقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة أبو عبد الله المغراوي ت 929/1522:

وهو على ما يبدو من ذرية محمد الهواري كذلك، وما ذكر أنه أستاذ متكلم مقرئ ضابط حافظ أخذ عن الشيخ ابن غازي ورثاه بقصيدة توفي سنة تسع وعشرين وتسعمائة (929/1522)، من خط بعض أصحابنا وله تعاليق منها الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين ⁴. ويبدو أن هذا التوجه في التأليف إلى فن الكتابة الحربية بسبب ما آلت إليه ديار الاسلام في الاندلس والمدن الساحلية من احتلال صليبي، والذي تزايد خطره على كامل المغرب الأوسط.

- أحمد بن محمد بن محمد بن يحيى المعروف بابن جيدة المديوني الوهراني (ت 951 / 1545):

أخذ عن ابن مرزوق الكفيف، وعن الإمام السنوسي مقدمته الصغرى ⁵، وتلميذه محمد بن عيسى. عيسى. توفي عام أحد وخمسين وتسعمائة (951/1545) ⁶، وقد تولى كرسي الإمام ابن غازي ¹. أخذ التصوف عن إبراهيم التازي ².

¹ - الاغا بن عودة ؛ المرجع السابق ، ص 97.

² - الاغا بن عودة ؛ المرجع نفسه ، ص 97.

³ - محمد زروق؛ المرجع السابق ، ص 151.

⁴ - بابا التنبكي؛ المصدر السابق، ج 1، ص 225.

⁽⁵⁾ - ابن مريم ؛ المصدر السابق ، ص 52.

⁶ - أحمد بابا التنبكي، المصدر السابق، ج 1، ص 136، كذلك ابن مريم ، المصدر السابق، ص 53.

- عبد الله بن محمد بن علي الجهني الوهراني:

ذكر عنه أنه فقيه يروي عن القاضي أبي علي الصدي³. ولم ترد سنة وفاته.

4/2. أشهر متصوفة وهران:

1- محمد بن عمر الهواري (ت 1439/843):

ترجم له الكثير من كتاب التراجم، ونُحِص بالذكر ابن سعد التلمساني في روضة النسرين وهو محمد بن عمر بن عثمان سبع بن عياشة بن سيد الناس بن خيلر المغراوي المعروف بالهواري، ولد سنة (1350/751)، وكان والده من حملة القرآن الكريم، ومن أكابر قومه وأفاضلهم وقد اتخذ مؤدب لولده محمد الذي حفظ بدوره القرآن الكريم، وبدأت رحلته مبكرا وهو دون العشر، فطاف في البلاد شرقا وغربا، وتجول في الصحاري الخالية⁴، فهو كثير السياحة لاجل طلب العلم، فأخذ عن موسى العبدوسي (ت 1434 / 837)، والقباب (ت)، ومن بجاية عن الشيخ ابن باديس وعبد الرحمن الوغليسي، وكان يثني على أهل بجاية كثيرا لمحبتهم الغرباء. سافر من فاس إلى المشرق للحج، فدخل مصر فلقى من بها، وأخذ عنهم كالقراقي، وغيره⁵، ومن الحرمين سافر للقدس وجال في بلاد الشام، ثم استقر أخيرا في مدينة وهران مثابرا على العلم والعمل، والصدق في الأحوال⁶.

- أثاره الفقهية:

وقد نظم الهواري كتابه المسمى "السهو في أحكام الطهارة و الصلاة"، وهو من أجمع الكتب لأحكام مسائل الطهارة و الصلاة، وكان ذلك سنة 1375/776⁷. ثم جعل عليه التنبيه، وقد أخذ الفقيه أبو زيد عبد الرحمن مقلّاش⁸ فأصلح فيه أشياء وزنا وإعرابا، وأتى به إلى الشيخ، وقال

¹ - محمد زروق، المرجع السابق، ص 78.

² - ابن مريم؛ المصدر السابق، ص 54.

⁽³⁾ - أبو جعفر أحمد بن عميرة الضبي؛ المصدر السابق، ص 315.

⁴ - ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 47.

⁵ - ابن مريم؛ المصدر السابق، ص 288، وكذلك الخلفاوي؛ المرجع السابق، القسم الأول، ص 174.

⁶ - أحمد بابا التنبكي؛ المصدر السابق، ج 2، ص 151.

⁷ - ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 54.

⁸ هو عبد الرحمن مقلّاش دفين وهران، وأحد علمائها عاصر الشيخ الهواري .

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

له: "يا سيدي أصلحت سهوك"، فرد الشيخ: "هذا السهو يقال له سهو مقلاش وأما سهوي فهو سهو الفقراء يبقى على ما هو عليه، وإنما ينظر فيه للمعنى، ومن أين لمحمد الهواري بالعربية و الوزن ¹". وهذا يوضح اقتصار الهواري على العلوم الدينية الصرفة دون أخذ العلوم النحوية و اللغوية مما جعله يركز في تأليفه إلى الغاية المرجوة من إرشاد الناس إلى الأحكام الفقهية الخاصة بالعبادات أكثر من الاهتمام بالقالب اللغوي لهذه التأليف حتى أنه لم يطلب من تلامذته مراجعة لغوية، ونحوية لتأليفه، مما يعكس الطابع الشعبي لتوجهه إلى العامة حتى أنه اشتهر بالأمثال الشعبية، والتي لقت صدى عميق داخل المجتمع الوهراني، وبقت متداولة عند تلامذته، ومنها نورد:

"العالم لا تعاده والجاهل لا تصافه و الأحق لا تواخه" ².

العلم عندي كالإبر أطرز يطرز .

سلم لي على النبي يا ماشي الى الحجرأ كل سنة نقول نمشي لكن مايلي قدرا
إذا يحفظ شيء يذكر ولا ننساه ولا ننكرو

ويبدو أن الهواري كان يبحث في أقواله عن المعاني و الحكم، وفي التنبيه قال في صدد ذلك "ونعراف في البلاد حكيم".

وفي موضع آخر قال: "كلامي كله حكمة" ³.

- دوره الاجتماعي في وهران:

ومما روي عن الشيخ الهواري كثرة كراماته ⁴، واشتهارها بين العامة، والخاصة، ومن وهران وخارجها وخارجها. وهذا ما جعل تعظيمه، وتسليم التقديس له في الولاية ⁵ لكل من عاصره من الأولياء في

¹ - أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي؛ القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط، تحقيق و تقديم ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، لبنان، سنة 1991، ص 60. وكذلك محمد أبو راس الناصري؛فتح الاله ونته في التحدث بفضل ربي ونعمته (معنون كذلك بحياة أبي راس الذاتية و العلمية)، حققه وضبطه، وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1990، ص 23.

² - القلصادي؛ المصدر السابق، ص 111.

³ - ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص. ص 58- 112

⁴ - لا تخلو ترجمة للهواري من ذكر كرامته في مدينة وهران، وحتى في رحلته إلى المشرق، ومن ذلك "وكان في جامع بني أمية في في سياحته لغيظته، فتأوي إليه السباع، وعادية الوحوش". أحمد بابا التنبكي، المصدر السابق، ج 2، ص 151.

⁵ - أورد لها البادسي تعريف مطول مع ذكر شروطها وأنواعها من ذلك "لايد من توفر الاستقامة بمعنى التماذي على ما أمر به من أداء الفرائض، والمراقبة بمعنى استحضاره رؤية الله للغبد وغير ذلك، أما أنواعها فهي ضربين عام وخاص...". المقصد

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

بلاد المغرب¹ ومن استقراء لكرمات الشيخ محمد الهواري² نلمح المكانة العلمية و الاجتماعية وحتى السياسية التي تمتع بها حيث أصبح محرك للحياة الاجتماعية خاصة رعاية وتبني مشاكل المظلومين و الفقراء . كما أثرى الهواري الحياة الثقافية و الدينية حيث كان طلاب العلم يقصدونه من مختلف الآفاق وكان عادة ما يقدم السمات من الطعام ،إما بالحلم أو الفاكهة اذا تم له نظم تأليف أو أمر ديني.

وقد نشطت الزاوية الهوارية في الجانب الديني و الثقافي ،وكان لها بعد حتى على النشاط الاقتصادي التجاري ؛حيث أصبح التجار يطلبون الدعم و الرضى من الشيخ "فقل أن يرد جفن فيه جماعة من المسلمين إلا وفيه عدة أوصلت لسيدي محمد ،وكانوا يضمرون ذلك في نياتهم عند تحركهم في سفرهم من بلادهم ،فيجدون بركة ذلك "³.

- علاقته بالسلطة الزيانية :

أما عن علاقته بالسلطة السياسية الزيانية فعلى ما يبدو كانت على تجنب الهواري صحبة السلطان ،فيذكر خديمه: "فلما دخلت على الشيخ بكتاب السلطان قال لي قبل أن يرى الكتاب وقبل أن أذكر له السلطان،ولا أخبره بشيء ،يا بختي لا حاجة لنا بصحبة السلطان ،وما الذي ساقنا اليه"⁴. والملاحظ أن السلطة الزيانية أدركت مكانة الهواري لدى المجتمع الوهراني ،وأرادت استغلال ذلك في كسب رضى وموالاته الشيخ ،ومن ثمة جذب موالاته المجتمع ،الذي كان يخضع لسلطة الشيخ أكثر من خضوعه للسلطة الزيانية⁵.

- دعاؤه على مدينة وهران :

الشريف و المنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ،تحقيق سعيد اعراب ،ط2، المطبعة الملكية ،الرباط ،سنة 1993/1414. ص. 18. 28.

¹ ابن مريم ؛ المصدر السابق ،ص 229. وقد ذكر ابن مرزوق (ت 781هـ) " أن والده كان يعظمه كثيرا ... " المناقب المرزوقية ،ص 217.

² ندرج بعض كرامات الهواري كملاحق للاستزادة في هذا المعنى .يرجع للملحق رقم (06).

³ ابن سعد التلمساني ؛ المصدر السابق ،ص. 104. 120.

⁴ ابن مريم ؛ المصدر السابق ،ص 231.

⁵ وفي هذا المعنى ذكر أبو راس الناصري أن الشيخ الهواري كان مطاع في وهران وليس ذي السلطان. المرجع السابق ص113.

الفصل الثامنالحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

وتشير بعض الكتابات أن الاحتلال الاسباني لوهـران كان بسبب دعاء الهواري عليها ،وعلى ساكنيها ،وجاء هذا الدعاء في قوله : "روحي يا وهران الفاسقة ،يا كثرة الجور و البغي و الطارقة ،يا ذات الـاهل الباغية السارقة اني بعثك بالبيعة الموافقة لنصارى مالقة و جالقة ،الى يوم البعث و التالقة ،مهما ترجعي فأنت الطالقة " ،ليضيف التازي : "يا سيدي والفرج لاحقة "فكررها الشيخ الهواري¹. وعن سبب هذا الدعاء القاسي يورد عودة المـزاري قصة مقتل ابن الهواري أحمد الهايج من طرف سكان وهران وذلك بمظلمة منهم ،وقد سعت زوجة الهواري في مطالبة زوجها بالتأثر لـابنهما من سكان وهران حيث قتلوه ظلما وعدوانا بالمحل المسمى به الان "واد الهايج"،وادعوا أنه هاج عليهم بغير حق ،وسمع بذلك الشيخ الهواري لكنه سكت فحرضته أم ولده فلم يلتفت اليها ،فعمدت إلى دجاجة لديها ذات فلـاليس صغار ،وأخذت فلوسا (صوصا) منهم ،والشيخ ينظر فجاءت الدجاجة ،وصارت تضربها على ولدها لتخلصه منها ،ولها صياح ،فـقالت له يا هواري انظر لهذه الدجاجة كيف أخذتها الغيرة على ولدها وكيف بك لم تأخذك الغيرة ،ومهما كانت تفاصيل القصة مؤلمة على الشيخ الهواري إلا أن هذا لا يدفعه إلى هذا النوع من الدعاء على مدينة بكاملها فيها الصالح و الطالح ،كما أن مكانته الدينية و تفقهه في العلوم الدينية يبعده عن هذا الادعاء خاصة أن به استباحة لحرمت المسلمين من النصارى².

وكان " دخول النصارى الاسبان إلى مدينة وهران بعد وفاته بحوالي اثنين و سبعين سنة وبعد وفاة تلميذه إبراهيم التازي بثمان و خمسين سنة "³.

وفاة محمد الهواري : كانت وفاته يوم السبت الثاني من شهر ربيع الثاني من سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة (1439/843م)⁴، وقد ترك الشيخ الهواري طريقة في التصوف دأب عليها الكثير من تلامذته أشهرهم خليفته إبراهيم التازي (ت 1462/866)، ولم يعرف سند الهواري في طريقته في التصوف .

2- إبراهيم التازي (ت 1462/866):

¹ -الأغا بن عودة المـزاري ؛ المرجع السابق، ص 74.

² -ونجد في هذا الصدد "مثل وهران" يحمل في دلـالته عدم صدق اسلام من دعا بالسوء على المدينة أو شيء آخر ماعداها "ألي دعى عليها ما صلى ،ما صام ".زهرة لباني ،المرجع السابق، ص 18 .

³ -أبو راس الناصري ؛ المرجع السابق ،ورقة 11.

⁴ -أحمد بن يحيى الونشريسي ؛المصدر السابق.ص 90.

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

هو إبراهيم بن محمد بن علي اللتي التازي ، وكنيته أبو سالم وأبو إسحاق¹ ، أما اللتي التازي فنسبه إلى بني لنت قبيلة من البربر الكائنين بوطن تازا ، وفيه نشأ إبراهيم التازي ، وقرأ القرآن على يد أستاذه الشيخ أبو زكريا يحيى الوزاعي² ، وبعد هذه المرحلة الأولية ، فان مصادر التعريف بالمترحم لا تذكر شيئا عن متعلمه بعد ذلك بالمغرب ، قبل أن يتم دراسته خلال رحلته للحج وذلك ما يفيد تحليته بالفقيه في إجازات ثلاثة من أساتذته الذين روى عنهم بالحرمين الشريفين وتونس³ . فأخذ بمكة المشرفة على علامة علمائها وكبير محدثيها قاضي قضاة المالكية تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسين الفاسي . انحشر إليها لناس لحسن قراءته ، وطلاق حلاوته ، وقد قام له أولياء الشرق ، وعلماءه⁴ . وبعد رحلته الحجازية نزل مصر ، وغيرها من البلاد وصولا الى تونس ، فأخذ عن أكابر علمائها ، وأفاضل أوليائها ، وكتبوا له خطوطهم بالشهادة ، وكان ممن كتب له الحافظ العلامة العبدوسي (ت 1434/837) وقد أورد ابن سعد أنه اطلع على هذه الاجازة في فهرس التازي⁵ ، وعند قدومه الى تلمسان أخذ عن العلامة محمد بن مرزوق الحفيد⁶ (ت 1439/842) الذي كتب له الإجازة سنة اثنتين و ثلاثين وثمانمائة هجري (1428/832) ، لينتقل إلى مدينة وهران لزيارة شيخ المشايخ ، وحكيم زمانه محمد الهواري وأصبح تلميذه وخليفة طريقته⁷ . ودامت مرافقته له نحو عشرة أعوام ، وهو في أثناء ذلك ينسخ كلام شيخه بخطه ، ويجمعه في دفاتر وأقام للتدريس في وهران ، وجعل بها سوق الأذكار في زاويته الخاصة ، وذلك بعد وفاة محمد الهواري⁸

¹ - ابن مريم ؛ المصدر السابق، ص 85.

² - ابن سعد الانصاري التلمساني ، المصدر السابق ، ص 144.

³ - ابن سعد الانصاري التلمساني ؛ المصدر نفسه ، ص 144.

⁴ - أحمد بابا التنبكتي ؛ المصدر السابق ، ج 1. ص 168.

⁵ - ابن سعد التلمساني ؛ المصدر السابق ، ص 150.

⁶ - أحمد بابا التنبكتي ؛ المصدر السابق ، ج 1. ص 169. وقد ذكر ابن مريم أن التازي "لبس الخرقة من الشيخ ابن محمد

الزواوي بسنده إلى أبي مدين " . المصدر السابق ، ص 60 .

⁷ - يحيى الونشريسي ؛ المصدر السابق ، ص 100.

⁸ - ابن سعد التلمساني ؛ المصدر السابق ، ص 152 . كذلك أبو راس الناصري، المرجع السابق ، ص 39

الفصل الثالث.....الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة

وعرف عليه اهتمامه واعتنائه بكلام شيخه الهواري، وأنه متبرك به في مدينة وهران¹ وذلك راجع لكثرة أعماله، وتأثيره على المجتمع الوهراني بحل مشاكله المستعصية، والتي كان أهمها ادخاله الماء للمدينة²، وما أثاره من فرحة وامتنان لدى سكان المدينة، كما كانت زاويته تقدم أعمال جلييلة³ (من تعليم، وإيواء، وتقديم الصدقات، وغيرها)، حتى أنه كان مطاع بدل من السلطان⁴، ومن أثار محبة سكان وهران للشيخ التازي نسجهم لأمثال شعبية أشادت بأخلاقه الحميدة منها، إذا بالغ أحد في وصف أخلاق رجل قال: "كأنه سيدي ابراهيم التازي". وإذا امتلأ أحدهم غيظا قال: "لو كنت في منزلة ابراهيم التازي ما صبرت لهذا". لما كان يتحملة من اذاية الناس، والصبر على المكاره⁵.

- أعمال التازي:

وللتازي منتوج صوفي ثري، فقد أشار ابن سعد لمؤلفاته بروايته دون أن يحدد أساتذته وعددها ستة: . كتاب "المجالس المكية" لأبي حفص عمر المياني . كتاب "الأمثال الحديثة" لمحمد الحسن بن خلاء. كتاب "التوكل" لابن أبي الدنيا. كتاب "الخطيب"⁶.

كما كانت له القصائد الرائقة الأنيقة، وكان يقرأ بعضها في سوق الأذكار منها "اللامية" و"الحسام". وللتازي مولديات، وانشادات لا تحصى⁷، وقد شاع الكثير منها في الأفاق، وتميزت قصائده بالبعد الروحي الصوفي الرامي إلى الدعوة للمحبة الربانية⁸، ومن تأليفه "فتح العلام لشرح النصيح التام للخاص و العام"⁹.

1 - القلصادي؛ المصدر السابق، ص 111.

2 - ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 156.

3 - للمزيد من المعلومات يرجع للفصل الرابع.

4 - أبو راس الناصري؛ المرجع السابق، ص 113.

5 - ابن مريم؛ المصدر السابق، ص 59.

6 - ابن مريم؛ المصدر نفسه، ص. 58. 63.

7 - نأخذ مقتطف من قصيدتين لتازي. يرجع للملحق رقم (04).

8 - شوقي أبو ضيف، المرجع السابق، ص 207.

9 - ابن مريم؛ المصدر السابق، ص 314.

- علماء أخذوا عن التازي:

وممن أخذوا عن ابراهيم التازي الكثير من العلماء منهم، الحافظ التنسي(ت 1494/899)، والسنوسي (ت 1496/901)، و علي التالوتي (ت 1490/895)، والشيخ أحمد زروق (ت 1494/899)، وغيرهم¹.

توفي ابراهيم التازي بوهراڻ يوم الأحد تاسع شعبان سنة ست وستين وثمانائة (866/1462)².

أما الونشريسي فيذكر تاريخ وفاته سنة سبع وستين وثمانائة³ (867/1463)، ودفن التازي بالقصبة بالبلاصة مع شيخه الهواري.

القادر للعلوم الإسلامية

¹- ابن مريم التلمساني؛ المصدر نفسه، ص 60. وكذلك أحمد بابا التنبكي، المصدر السابق، ج 1، ص 169.

²- ابن مريم التلمساني؛ المصدر السابق، ص 60.

³- يحيى الونشريسي؛ المصدر السابق، ص 100.

الفصل الرابع

جغرافية المدينة وعمارتها

1. الموقع الجغرافي والفلكي للمدينة:

1/1. الموقع الفلكي:

تقع مدينة وهران بين خطي عرض 35° و 42° شمالا، وعلى خط طول 2.59° غربا من خط الزوال¹، أو خط غرينتش.

2/1. الموقع الجغرافي:

تقع مدينة وهران داخل الخليج الذي يحمل اسمها²، هذا الخليج يبلغ طوله (28 كلم و50 متر) عند مدخله، و(11 كلم) في الداخل تجاه اليابس³، مطلة على الضفة الجنوبية الغربية للبحر المتوسط، يبدأ شريطها الساحلي من رأس لامون غربا إلى رأس كناسيتيل شرقا، متخذا شكل هلال الذي يتميز بالتدرج والانحسار⁴. أما عن الاتساع فهو مختلف من جهة إلى أخرى، مع ملاحظة قلة شدة انحداره في الجهة الشرقية⁵، كما أنها تشرف على خليجين هامين إضافة إلى خليجها هما: خليج أرزيو شرقا، وخليج المرسى الكبير غربا⁶، هذا من جهة الساحل، أما من الداخل فجزء من المدينة يقع في السهل، والجزء الآخر في جبل شديد الارتفاع⁷، ويتسم سطح المدينة بالانبساط في الوسط والجنوب والشرق، والارتفاع في الغرب والشمال ويشتد ارتفاعها في الغرب خاصة جبل مرجاجو⁸، ومرتفعات بوصفر والأندلس في الغرب، وهضبات مسيلة

1-Henri Léon FEY ; *Histoire D'Oran (Avant, pendant et après la domination espagnole, Edition Dar El Ghab, p34.*

2- أحمد توفيق المدني؛ حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا(1492-1792م). دار البصائر، سنة 2007، ص 103.

3 - Henri Léon FEY; *op. cite, p34.*

4-نشأ هذا الخليج عن انكسار حدث بالمنطقة في أواخر الزمن الثالث، ثم تعرض إلى حركة أفقية أور جنية استمرت إلى أوائل الزمن الرابع أدت إلى تغطية قاعه برواسب رملية وصخور كلسية، وشعاب مرجانية.

5- بشير مقيس؛ مدينة وهران (دراسة في جغرافية العمران)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1983، ص34

6- يحي بوعزيز؛ مدينة وهران عبر التاريخ، ط 2، دار الغرب للنشر والتوزيع. ص 29.

7- حسن الوزان؛ وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط 2، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1983، ص 30.

8- يسمى كذلك بجبل المائدة وجبل سيدي هيدور.

ومسّوقين وبوتليليس جنوباً¹، تتراوح مساحة الربوة التي أقيمت عليها المدينة من 60 إلى 70 هكتار²، تحيط بالمدينة جبال لا يتجاوز ارتفاعها 589 متر³.

2. مدينة وهران (شروط قيامها، نواتها تخطيطها وتوسعها):

1/2. أصل ومعنى تسمية "وهران":

وهران، بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره نون⁴، وإن كان معظم الباحثين القدامى والمحدثين تعرضوا لنطق الكلمة وحركات حروفها حيث اتفق معظمهم حول نطقها، كما وردت عند ياقوت الحموي وغيره من المؤرخين⁵.

لكن الاختلاف ظهر حول أصل التسمية ومعناها، فبينما لا يوجد مصطلح "وهران" في القواميس العربية⁶، وهذا يعطي انطباع بأنها ليست ذات أصل أو اشتقاق عربي، ويرى السيد محمد محمد الحسيني أنها كلمة بربرية الأصل، تعني مشتقاتها⁷ "مكان الأسد"، وإذا أضفنا كذلك قرب المدينة من جبل أغار⁸، ومعناه في اللهجة البربرية المزابية الأسد⁹ فهذا يجعل من المحتمل أن يكون المكان المقصود هو الجبل، وبالرجوع أكثر إلى المعتقدات الدينية لبلاد البربر يتضح أن الأسد كان

1- يحي بوعزيز؛ المرجع السابق، ص 30

2- بشير مقييس؛ المرجع السابق، ص 37.

3- توفيق المدني؛ المرجع السابق، ص 103.

4- ياقوت الحموي؛ معجم البلدان، المجلد الخامس 05، دار صادر، بيروت، ص 443.

5- أبو الفداء؛ وهران بفتح الوار وسكون الهاء وفتح الراء المهملة، وبعد الألف نون، تقويم البلدان ص 124، ويذكر أبو راس الناصر، وهان بفتح الواو وسكون الهاء، عجائب الأسفار، ص 67 وغيرهم.

6- لا يوجد مصطلح وهران في القواميس العربية مثل لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور، وتاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضي الحسيني الزبيدي.

7- مشتقاتها تتكون من عدة معان:

wi=هي أداة تصدير لمفرده، wa معناها الذي هو "celui de" أو مكان في "l'endroit la" أو إلى ب "aux"

هر Hr: وهو مرادف أهر= إهران "AHR-IHRAN" ومعناها في لغة الطوارق=الأسد.

آن=AN وهي علامة جمع في اللغة البربرية مثل "On".

8- جبل ممتد شرق مدينة وهران.

9- بشير مقييس؛ المرجع السابق، ص، ص 81، 80.

على الدوام محل توقير من طرف البربر ويمثل جزء من معتقداتهم¹ ، ولذلك يتضح أهمية الاعتقاد الديني وربطه بالتسمية، والتي تعطي هبة للأسد و من ثم للمكان (الجل)، حتى أن شكل الجبل يشبه الأسد وهو رابض² ، والأسد من بين الحيوانات التي كانت متواجدة في إفريقيا الشمالية³، ومنها وهران، ويعطي الرحالة عبد الباسط إشارة مهمة على وجود الأسد في ضواحي مدينة وهران حتى القرن التاسع الهجري (9/ 15) فيذكر في رحلته أنه " خرج إنسان من أهل وهران إلى جهة أجنيتها في وقت السحر وإذا بأسد عظيم لقيه..."⁴، فالأسد إذن موجود في هذه المنطقة.

وهناك روايات أخرى مرتبطة بأصل التسمية، منها أن كلمة وهران هي جمع مفردة أهري (AHRI) بمعنى مستودع أو مخزن، أو مؤسسة⁵. ويجمع محمد بن يوسف الزياتي في دليل الحيران، الحيران، سبعة أقوال في أصل التسمية، ومعناها⁶.

1- فهو حاضر في الزخارف المنحوتة في العديد من المعالم الجنازية ، وهو الحضور الذي يجعل ملك الحيوانات يحتل أحيانا مكانة الإله ما بين الأرض والقمر.

2- "نظرا لشكله أطلق عليه العرب اسم جبل السبع" هاينريش فون مالتسان ؛ المرجع السابق ، ص 24.

3- شارل أندري جوليان ؛ المرجع السابق، ص 44.

4- Abdel basit b, halil, « Deux bécits de voyage inédits en Afrique du nord aux xve siècle, Et Aorne thèse complémentaire pour le Dactoratés-let très, Robert Bru schvig, paris ,lavose editeurs, 1936, p63.

5- بشير مقيس؛ المرجع السابق، ص 80.

6- الأول ، أما سميت بذلك: "لكون خزر الذي اختطها لقبه وهران فسميت به، والثاني، إنما سميت بذلك لكون الرجل الذي الذي بنى فيها اسمه وهران فسميت به، الثالث إنما سميت بذلك لكونها مأخوذة من التوهرن وهو التعب والهلاك، لأن مغاوة الذين كانوا بها كانوا في تعب وهلاك مع بني يفرن وعمال الشيعة من صنهاجة وغيرهم... الرابع إنما سميت بذلك لكونها زناتية وذلك أن مغاوة لما شرعوا في حفر أساسها وجدوا به غار فيه ثعلب، واسم الثعلب بلغتهم وهران فسموها بذلك وقالوا مدينة وهران... الخامس إنما سميت بذلك لكونها مركبة تركيبا من كلمتي وهرات... معناه الضعف ورا من معناه الغلف فهي ضعيفة الرأي أي الغلف الذي يكون على قلوب الناس، لأن خزر الذي اختطها كانت عقيدته سالمة لكونه كان سنيا، فلذلك ضعف رأيه. السادس إنما سميت بذلك لكونها مركبة من كلمتي واه رانا وذلك أن بني يفرن لما غزوها كثر بنياؤها لم يهتدوا إليها ، ولم يطالعوا عليها لعدم معرفتهم بها لكونها كانت بمحل مشعر ذا غيظ كبير لا يعرفه إلا صاحبه فألفوا بقرها رجلا ذاهبا منها لبعض مآربه، فتقبضوا عليه وسألوه عنها، فأبى أن يخبرهم بها، فشدوا عليه فجعل عصاه نشانا نحوها، فقال له هي صوب النيشان، فقال لهم : واه. ثم أنهم سمعوا آخر يقول رانا فقصدوه ؛ فعثروا عليها فأخذوها وسلبوها أهلها فقالوا هذه غنيمة واه رانا ولها اسما من ذلك، فحذفوا كلمة غنيمة وألف واه الذي بعد الواو وألف رانا الذي بعد النون ووصلوا الكلمتين فقالوا وهران، السابع إنما سميت بذلك لأنها مقلوبة من كلمتين نار هو أي ظهر أمر خزر الذي اختطها ونار على غيره من قرابته وغيرهم ، وقال بعض

ومن استعراض الأقوال في تسميتها يمكن ملاحظة :

. أنها ترجع في معظمها إلى العصر الوسيط أو قبله بقليل.

. أنها ذات أصل بربري في الاشتقاق والمعنى.

لذا فمن المرجح أن مدلول الكلمة ينطبق على "مكان الأسود"، وذلك لارتباط المعنى بجغرافية المكان (وجود الأسد و الجبل)،وقدسية كلاهما في الاعتقاد الديني لدى البربر¹. أما بقية الأقوال فهي تبدو بعيدة عن الحقيقة التاريخية .

ويمكن للباحث المتخصص في اللغة البربرية وفروعها ومعاني كلماتها أن يكشف معطيات جديدة في مجال المصطلحات التاريخية لمنطقة المغرب عامة و بتاريخ المغرب الأوسط خاصة، ومن ثمة الإجابة عن بعض الإشكاليات التاريخية ، ومنها "تسمية وهران".

2/2. توفر شروط قيام المدينة:

إن قيام أي مدينة واستمرار وجودها يتطلب توفر شروط عديدة، ومتكاملة في الموضع المختار لإنشائها ،وقد اهتم العلماء المسلمون بتوضيح الشروط المناسبة الواجب توفرها في اختيار الموضع، قبل بناء المدينة. ومن هؤلاء العلماء ابن أبي الربيع الذي يرى أن شروط قيام المدينة ستة هي:

سعة المياه المستعذبة،إمكان الميرة المستمدة، اعتدال المكان، وجود الهواء، القرب من المراعي والاحتطاب، تحصين المنازل من الأعداء و الدعار، أن يحيط بها سواد². ويتضح من هذه الشروط أنها تتوفر بشكل كبير في موضع وهران، فمياه وهران ليست نادرة فعلى الخط

النصارى من طلبتهم الذين لهم اعتناء بعلم التاريخ، والبحث عن الأمور إنما سميت بذلك لأنها مأخوذة من اسم ساكنيها، وهم هواره وألفيت في قوله بعدا كثيرا لا يلائم لكون وهران بنيت وسميت بهذا الاسم بأمد بعيد قبل أن يسكنها هواره والله أعلم بذلك . محمد بن يوسف محمد الزباني ؛ دليل الحيران وانيس السهران في أخبار مدينة وهران ؛ مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية (الحامة)، رقم 3324 ، نسخة مصورة ، ص 05 .

1- الجبل مكان مقدس عند البربر منذ القدم، يمكن الرجوع ل : عقون العربي، المرجع السابق، ص 237.

² - شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع؛ سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق، عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سنة 1996، ص 106. حول شروط قيام المدن عند المؤرخين المسلمين يمكن الرجوع إلى عبد الأحد السبتي، وحليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي، ص-ص 13 16.

الساحلي ، فقد أشادت بها المصادر¹، ووهران تتوفر على أراضي زراعية واسعة لامتدادها على سهل كبير وواسع² إضافة إلى ظهير خصب. كما أن لها "نظر كبير فيه قرى كثيرة"³، أما عن هوائها فهو "هواء البلاد البحرية الذي هواؤها متضاعف الحرارة، بما ينعكس عليه من أضواء بسيط البحر، وأشعته فكانت حصاة "سكانها" من توابع الحرارة في الفرح، والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة"⁴، ومن هذه المعطيات فالموضع يتوفر على شروط قيام المدينة ويحفظ استمراريته و توسعها .

3/2. موضع المدينة المبدئي:

بداية وقبل التطرق إلى تخطيط المدينة نطرح إشكالية الموضع المبدئي الذي أقيمت عليه، لأن ذلك من شأنه أن يوضح -ولو نسبيا- تخطيطها وتوسعها فيما بعد. وبالرجوع للمصادر نلاحظ عدم تعرضها لوصف الموضع المبدئي الذي أقيمت عليه المدينة، واكتفت بإعطاء معلومات عامة وقليلة حول هذا الجانب، لذا فالإشكالية المطروحة هنا: هل المدينة أقيمت على طول الخليج الوهراني، وذلك لان بعض المصادر ترجع نشأتها إلى سبب المرسى⁵. وأي مرسى مقصود (المرسى الكبير أو مرسى المدينة)؟ وهناك احتمال آخر في أن المدينة أقيمت على مقربة من الساحل، وعلى سفح جبل مرجاجو؟ وإن صح الاحتمال الثاني فما هي أسباب اختيار هذا الموضع للمدينة؟. وللإجابة عن هذه الإشكالية وترجيح رأي على آخر، نحاول جمع بعض الإشارات الواردة في المصادر والدالة على موضع المدينة، ومنها ما أورده الإدريسي الذي يقول عنها "أنها على مقربة من ضفة البحر الملح"⁶.

¹ - عن المصادر التي ذكرت أن وهران تتوفر على المياه، يرجى الرجوع للفصل الثالث.

² - Bulltins, op., Cite p : 01-02.

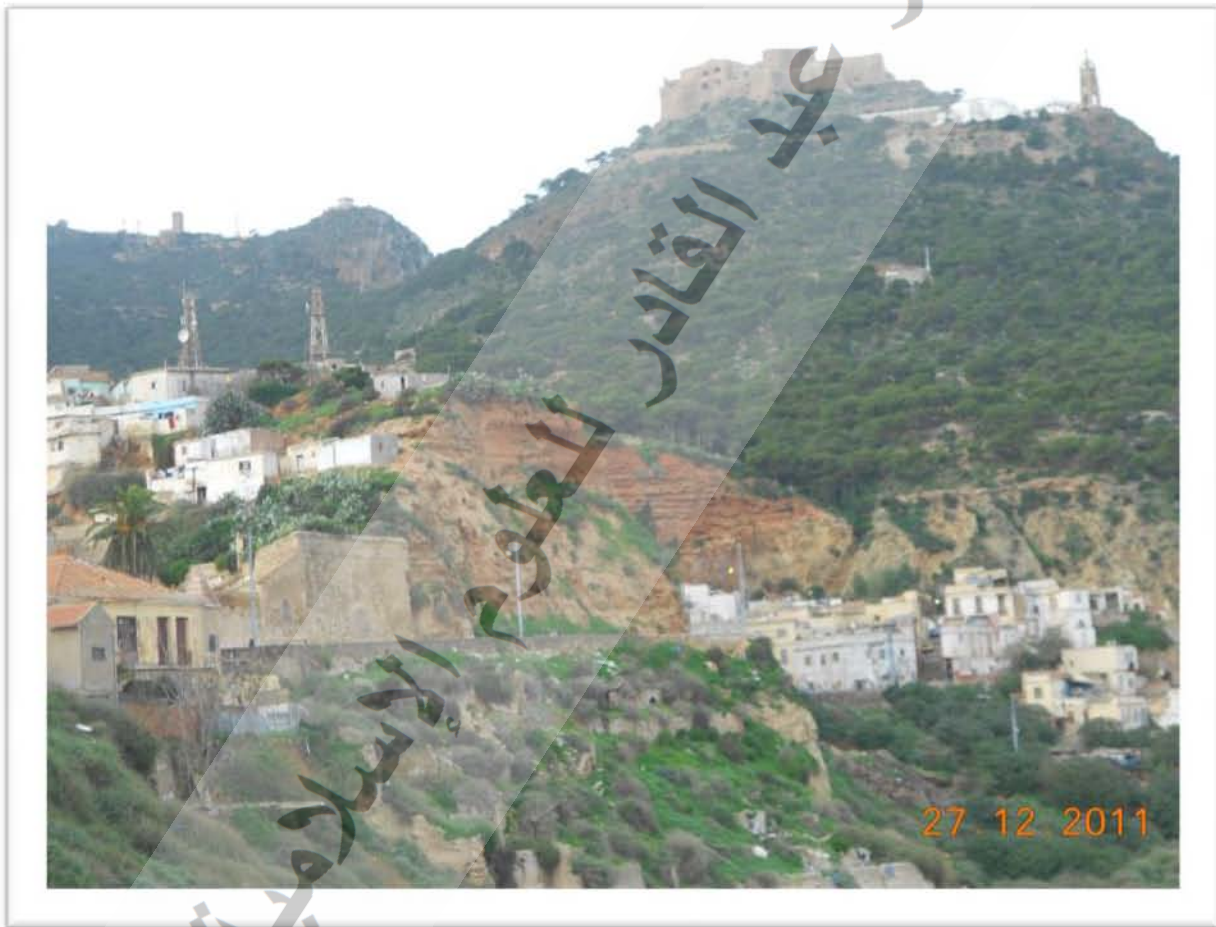
³ - ابن عبد المنعم محمد الحميري؛ الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه، إحسان عباس، طبع على مطابع هيدلبرغ، بيروت، ص 612، وفي الاستبصار: "...ولها نظر كبير فيه قرى كبيرة"، ص 134.

⁴ - ابن خلدون؛ المقدمة، دار الهيثم، القاهرة، سنة 1426هـ/2005م، ص 70.

⁵ - كاتب مجهول؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص 133.

⁶ - الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 153.

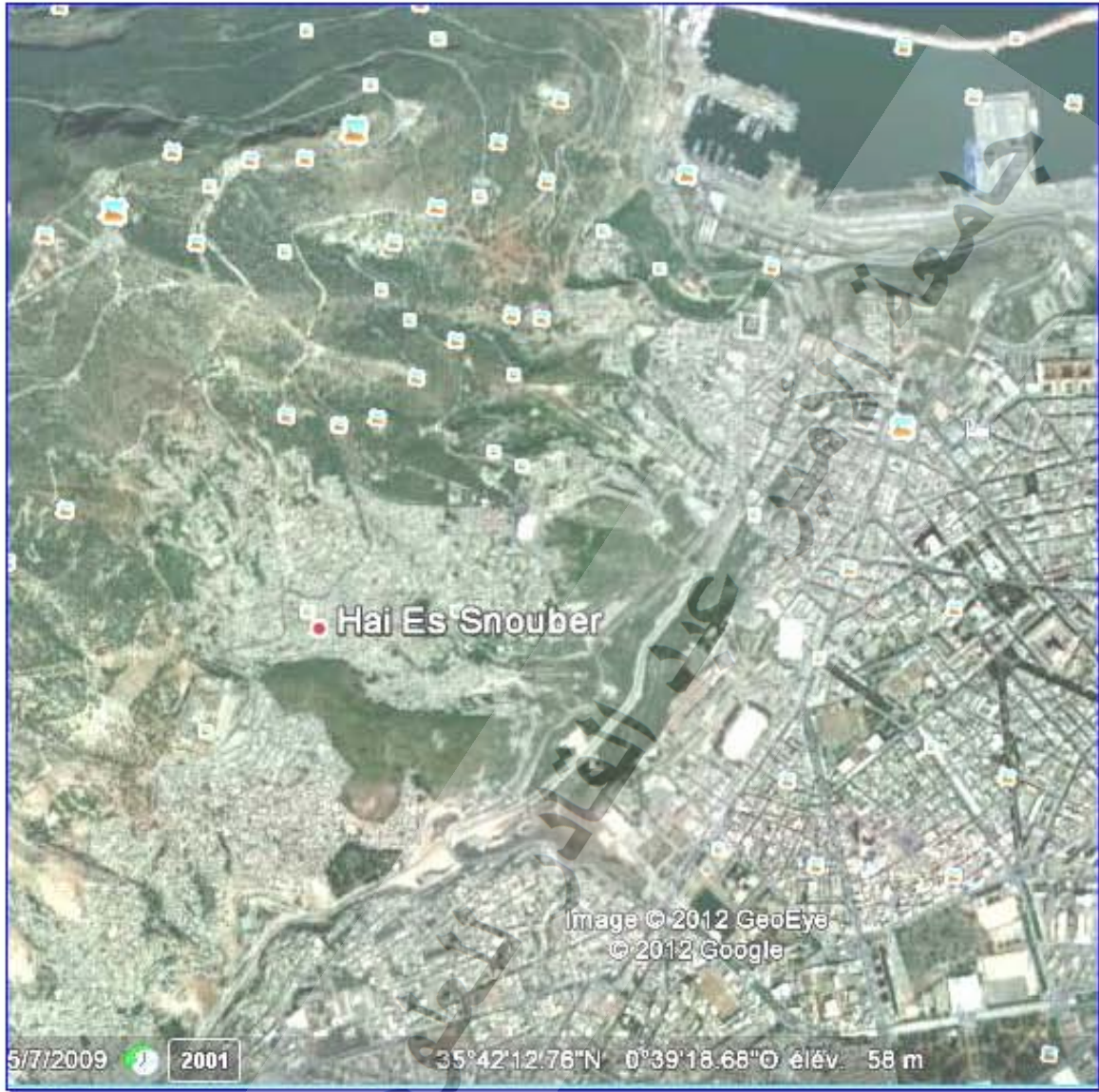
هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد إشارة أخرى عند حسن الوزان الذي يورد أن جزء من المدينة في السهل وجزء آخر في جبل شديد الارتفاع¹ (جبل مرجاجو)، ويتضح من هذين الوصفين، أن المدينة أسست في الداخل بعيدة قليلا عن الساحل. وهي على جبل مرجاجو² في موضع استقرار القبائل الازداجية (بني مسقن ونفزة)، ولم ترد معلومات حول انتقال هذه الجماعات القبلية أو زحزحتهم عن موضعهم بل إن بناء المدينة في موضع استقرارهم جاء ضمن نظرة ثاقبة لما يوفره الموضع من حماية وأمن للمدينة جغرافيا وبشرياً كما أوضحنا سابقاً ونأخذ الصورة الجغرافية لموضع المدينة على المنحدر التوعر من جبل مرجاجو :



توضح الصورة موضع المدينة القديمة (سيدي الهواري) على جبل مرجاجو في الجهة اليسرى من صورة .

1- حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2، ص 30.

2- الكثير من المدن الإسلامية أختير موضعها لتأمين العوامل الدفاعية، فكان منها على المنحدرات و المرتفعات الوعرة. ليوبولدو تورس بالباس، المرجع السابق، ص 177.



تظهر المدينة القديمة على جبل مرجاجو يحدها من الناحية الشرقية مجرى واد الرحي

(وهو الآن طريق معبد) كما توضحه الصورة

ونعتقد أن اختيار هذا الموضع كان له أسباب عديدة جغرافية ،سياسية واقتصادية منها :

- جريان واد الرحي على طول السنة (واد فحل) .
- إمكانية التوسع للمدينة على السهل الكبير المتصل بها من الناحية الشرقية.
- البعد عن أنقاض المدينة الرومانية وهذا ما تجنّبه الكثير من المدن الإسلامية في تأسيسها.

الفصل الرابع جغرافية المدينة وعمرانها

- المجال القبلي الموالي للأندلسيين سواء داخل المدينة أو على مستوى ظهورها أو على امتداد نفوذ القبيلة المغراوية .
- الحصانة الطبيعية للموضع.
- اهتمام الأندلسيون بالمرسى الكبير الذي أشاد به الجغرافيون خاصة حصانته ،ومن ثمة القرب من هذا المرسى المهم ومن باقي المراسي المجاورة.

4/2. التخطيط الأولي للمدينة :

بعد اختيار موضع المدينة تأتي عملية التخطيط ، حيث يرجح أن مدينة وهران عرفت تغييرها من المدن الإسلامية هيكلية بنبوية اجتماعية؛ بمعنى أن الجماعات المؤسسة لها تمايزت في أحياء خاصة بكل جماعة أي أن المدينة عرفت حين أساسيين أحدهما للأندلسيين ، والآخر للقبائل البربرية بني مسقن ونفزة، ولا نعلم إن حافظت الجماعة البربرية على موضعها أم تم تغييره وفقا لتخطيط المدينة. كما لم توضح المعلومات القليلة حول نشأة المدينة عن تهيئة الأرض، و هل تم تسويتها لبناء الدور خاصة أن الموضع منحدر ؟

يبدو أن كل حي عرف وحدات سكنية تخللتها دروب ضيقة وملتوية نتيجة للموضع المتوعر للمدينة، ووقوع واد الرحي في الجهة السفلية منها، وهذا ما أثر على شكل المدينة والذي اتخذ شكل قريب من المثلث، ينحدر من جبل مرجاجو إلى الجهة الغربية لواد الرحي. حيث شكل الحي البربري قاعدته الممتدة على مسار واد الرحي أما رأس المثلث، فالمرجح أنه مثل الحي الأندلسي الذي يناسبه هذا الموضع المتحصن والقريب من البوابة.

ويبدو أن المدينة عرفت شارع رئيسي ينطلق من بوابة المدينة في الجهة الجنوبية الغربية و يمر أمام مسجدتها الجامع الذي أقيمت عليه سوق المدينة الرئيسي . و الشكل التالي يوضح موضع المدينة وتخطيطها الأولي:



كما اعتقد أن كل حي تأثرت منشآته بطبيعة نشاط سكانه الاقتصادي، وتمثيلهم للسلطة السياسية داخل المدينة، فالحي البربري ولطبيعة نشاط سكانه الفلاحي كان به الكثير من البساتين والأجنة إضافة إلى عدد من الرحي كما عرف تواجد لحرف بسيطة مثل الحدادة، و الحياكة والدباغة كعادة الكثير من البربر، أما الحي الأندلسي، فالوظيفته السياسية، وطبيعة نشاط سكانه التجاري، فقد عرف وجود دار الوالي و المسجد الجامع، والذي ربما توسط الحين لتسهيل الوصول إليه من الجماعتين لأداء الصلوات اليومية من جهة، و للربط بين الجماعتين سياسيا واجتماعيا من جهة أخرى. وعادة ما يلازم المسجد الجامع الحمام لما يمثله من عنصر طهارة والتي ارتبطت بصحة للصلاة. وعلى اعتبار أن المدينة كانت مفتوحة على الوافدين من التجار و الحجيج، فقد كثرت بها هذه المرافق و المنشآت، ومنها الدكاكين و مستودعات السلع و الفنادق وغير ذلك من المنشآت التمدنية. ويمكن التأكيد على تسوير المدينة في وقت مبكر لضمان حمايتها

ويبدو أن سور المدينة حدد شكلها العام القريب من شكل المثلث حيث قمته في مرتفع جبل مرجاجو و قاعدته في الضفة الشرقية لواد الرحي ،والذي شكل خندق طبيعي تعززت به أسوار المدينة¹ في هذه الجهة.

5/2. توسع المدينة:

انطلاقاً من الموضع المبدئي الذي أقيمت عليه المدينة، ومن تتبع المعلومات المصدرة المختلفة والتي وصفتها أو أعطت إشارات توحى بدلالات جغرافية خاصة بتوسعها يمكن تقسيم مراحل تطور المدينة إلى:

أ. المرحلة الأولى من التأسيس إلى الحكم المرابطي (ق 6/3 إلى ق 12/10):

تميزت هذه المرحلة بإشراف سلطة سياسية في عملية التخطيط و الإنشاء ،وهذا في كل مرة يعاد فيها بناء المدينة من جديد ، ونعتقد أن هذه المرحلة لم تتوسع فيها المدينة كثيراً بسبب تعرضها للنهب و التدمير و تهجير سكانها في الكثير من المرات ، لذا في كل مرة يتجدد بناء نواحيها و في فترات الاستقرار نمت واتسعت طولياً على واد الرحي مقتربة من الساحل .

ب. المرحلة الثانية من العهد المرابطي إلى نهاية العهد الموحيدي (ق 12/6 إلى ق 12/7):

في هذه المرحلة نعتقد أن المدينة عرفت باب ثاني في الجهة الشمالية الغربية ،والمؤدية إلى المرسى الكبير وهي تحمل اسم " باب المرسى " ،ويبدو أن سبب فتح هذا الباب جاء بعد اهتمام الدولة المرابطية بالرباط الذي في أعلى الربوة المطلّة على المدينة وهو "رباط صلب الكلب" ، مما أعطى حالة من الأمن من خطر الساحل ،وسمح ذلك ببروز طريق جديد يربط بين المدينة و المرسى الكبير،وهو أقصر مسافة سواء براً أو بحراً. مما جعل المدينة تهتم بمرساها الذي دخل في نشاط كثيف مع المرسى الكبير خاصة في العهد الموحيدي بعد اختيار وهران كإحدى المحطات الموحدية في التجارة المتوسطية لذا ازداد عدد فنادقها بازدياد عدد الجاليات الأروبية الوافدة ونعتقد أن هذه الفنادق كانت قريبة من الميناء ،وذلك لاستقبال السلع التجارية القادمة من البحر ،ومن المرسى الكبير في حالة الاضطرابات الجوية مثل ذلك ما يفعله البنادقة¹.

¹ - شكل " النهر الذي يمر أسفل المدينة خندقاً طبيعياً مناسباً ترتفع على أحد جانبيه أسوار المدينة". ليوبولدو تورس بالباس المرجع السابق ،ص 177.

وما يمكن الإشارة إليه أن هذه المرحلة اهتمت بتوسيع دار صناعة السفن للطابع الجهادي للدولتين المرابطية و الموحدية خاصة أنهما كانت بحاجة إلى السفن لأسطولها الموجه للأندلس كما كانت الحاجة كذلك إلى سفن ذات طابع تجاري لتصدير منتوجات المغرب إلى مختلف الجهات من جهة، و استيراد مختلف السلع المتوسطة من جهة ثانية.

ج. المرحلة الثالثة من الحكم الزياني إلى الاحتلال الإسباني (ق 10/7_16/13):

وعلى طول ثلاث قرون ازداد عدد منشآت المدينة، وتوسع مجالها الحضري، رغم تعرضها إلى حملات عسكرية متوالية من المرينيين والحفصيين، إلا أن بعض الحملات كانت ذات فائدة خاصة حملة أبي الحسن المريني، الذي وسع في المدينة في الجهة الشرقية وحصنها ببناء البرج الأحمر في هذه الجهة، إضافة إلى قلعة المرسى الكبير؛ ومع اتساع المدينة زادت الدور والمنشآت العمرانية المختلفة والتي كثرت بعد بناء الزوايا التي تبنت عمل المنشآت المختلفة من إيرادات الأقباس²، ومنها المساجد و المدارس وحتى مدقنات المياه للمدينة، وتدخل المتصوفة في حل هذه المشكلة، فقد تكفل الشيخ إبراهيم التازي (ت 1462/866) بإدخال الماء إلى كامل المدينة كما نجد اهتمام السلطة الزيانية ببعض المنشآت الحيوية مثل القصبة، والتي زاد تحصينها في هذه الفترة لأهمية المدينة عند الأمراء الزيانيين و لا نستبعد وجود فنادق تعود ملكيتها للدولة الزيانية.

ومجمل القول أن عملياته تخطيط مدينة وهران انطلقت بمنهجية تتولاها سلطة سياسية لقت قبول ساكنيها الأوائل، لكن توسعها جاء تلقائي تحكمت فيه عناصر جغرافيا، اقتصادية، دينية و سياسية³.

¹ - حسن الوزان؛ المصدر السابق ج 2 ص 31.

² - ستتطرق إلى ذلك في الحديث عن الزوايا.

³ - يرجع للملحق رقم (09) لتوضيح منظر المدينة من الجهة الجنوبية الغربية.

3. خصوصية المدينة ومنشاتها العمرانية المختلفة :

1/3. تحصين المدينة: (ما بين المناعة الطبيعية والإنشاء العسكري):

1/1/3. خصوصية المدينة من خصوصية مرساها:

إن النماذج الوصفية الجغرافية تشير إلى وضوح رؤية الجغرافيين العرب فيما يتعلق الأمر بالخصائص والمعايير التي تتميز بها المدن ومنها مدن الحصون¹، ومن وصف الجغرافيين والرحالة وحتى بعض الباحثين يتضح أن وهران كانت لها خاصية المدينة المحصنة أو الحصينة، المانعة وغيرها من الموصفات، فالبكري (ت 487 هـ / 1094م) يورد: "...مدينة وهران حصينة ذات مياه سايحة..."²، ويذكرها العبدري في رحلته: "...وهران وهي مدينة مليحة حصينة برية بحرية..."³، أما صاحب حماة (ت 732 هـ / 1331م)، فيصفها: "...وهران حصينة ولها مياه سائحة..."⁴، أما الحاج عبد الله بن الصباح فيرى: "...مدينة وهران، وهي على ساحل البحر، وهي منيعة المكان..."⁵، ويتضح من هذا الوصف أن وهران تمتعت بالحصانة خاصة مناعة الموضع وحصانة المرسى، فقد وصفه البكري وأشار إلى أهميته:

"... مرسى جبل وهران مرسى كبير مشقى من كل ريح..."⁶، كما أشار إليه ابن حوقل (كان حيا سنة 367 هـ / 977م): "... ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح، وما أظن له مثلا في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى⁷، فقد كنفته الجبال وله مدخل آمن..."¹. و نأخذ الخريطة التالية التي رسمها ابن حوقل :

¹ - عبد الجبار ناجي؛ دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، سنة 2001، ص، ص 100، 101.

² - أبو عبيد البكري؛ المصدر السابق، ص 81.

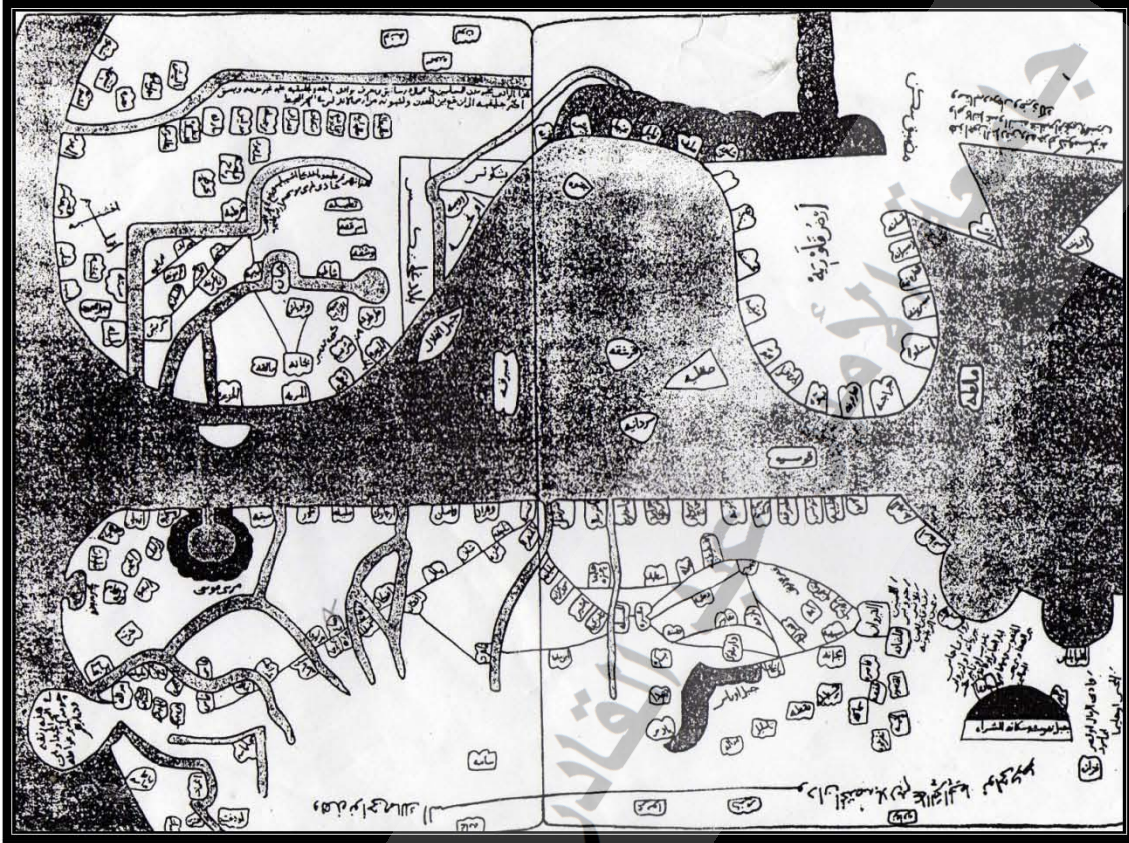
³ - محمد البلنسي العبدري؛ المصدر السابق، ص 131.

⁴ - عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (صاحب حماة)؛ المصدر السابق، ص 137.

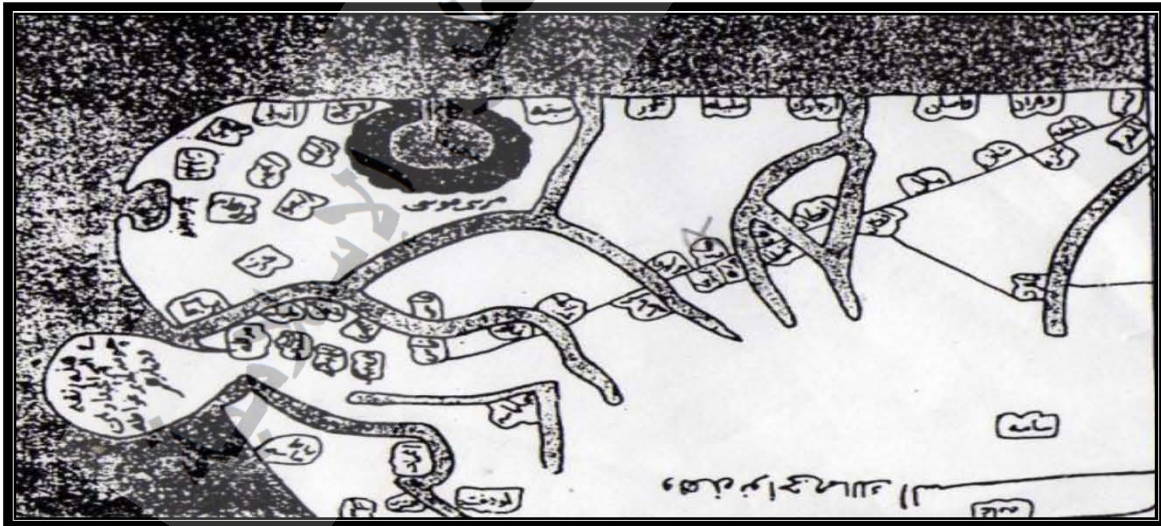
⁵ - الحاج عبد الله بن الصباح؛ المصدر السابق، ص 95.

⁶ - البكري؛ المصدر السابق، ص 81.

⁷ - وتجدد الإشارة هنا إلى ما أورده ابن حيان القرطبي أن عبد الرحمان الناصر بعث مساعدات لمحمد بن الخير على اتجاهين نحو وهران ونحو سبتة (أي نحو المرسى الكبير ومرسى موسى)، ابن حيان، المقتبس، ورقة 122.123 نقلا عن عبد العزيز فيلالي، العلاقات، المرجع السابق، ص 286. ونجد أن الموحدتين اختاروا المدينتين للتجارة مع الجنوبيين، وهذا ما يعبر عن أهميتهما. الرسائل الموحدية، المصدر السابق، ص. ص 173. 175.



خريطة توضح موقع مدينة وهران على الساحل الغربي



خريطة توضح حصانة مرسى موسى (القريب من مدينة سبتة)، والذي شبهه ابن حوقل بمرسى وهران .

¹ - أبو القاسم بن حوقل النصيبي؛ المصدر السابق ، ص 79.

الفصل الرابع جغرافية المدينة وعمرانها

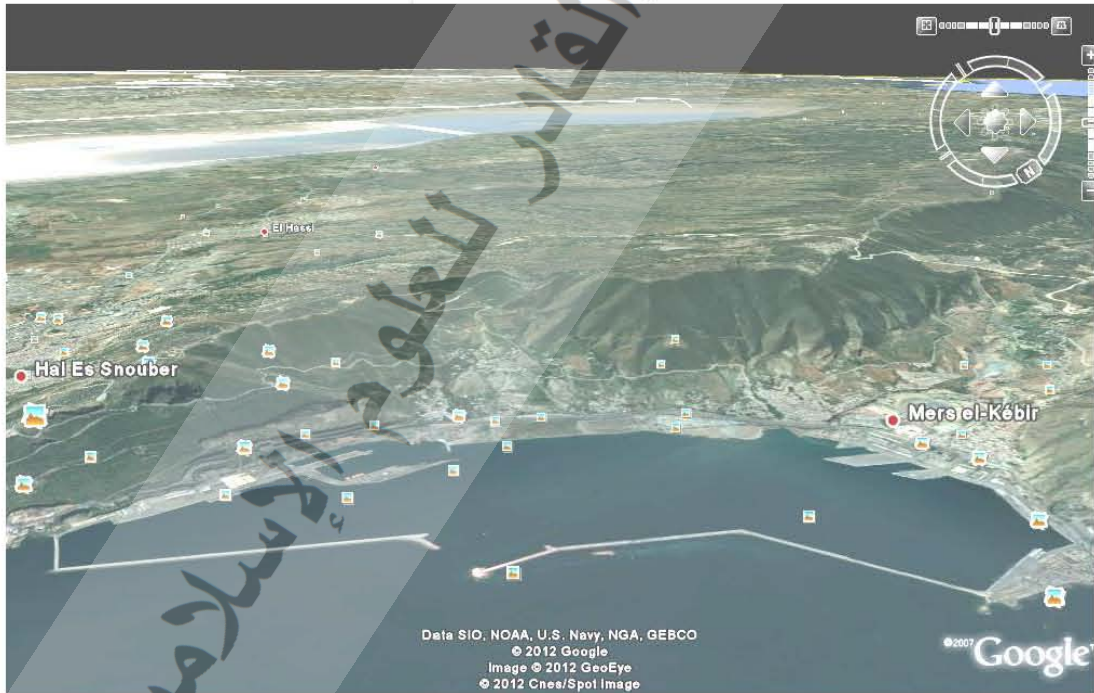
وفي نفس السياق يورد صاحب الاستبصار : "...ولوهران مرسى كبير، مشقى للسفن، يكن من الريح لأنه في حوز جبل مطل على وهران مرتفع¹"، وقد جاء عند الحميري: "...ولها وهران على ميلين منها المرسى الكبير به ترسي السفن الكبار....، وهو يستر من كل ريح، لا مثال له في المراسي"²، ويؤيده في ذلك الإدريسي: "...المرسى الكبير وبه ترسي المراكب الكبار....، وليس له مثال في سائر حائط البحر من بلاد البربر"³. ويشيد حسن الوزان كذلك بالخصائص الفريدة للمرسى الكبير "...ميناء (المرسى الكبير) ما أظن أن في الدنيا أكبر منه، يمكن أن ترسو بسهولة مئات المراكب و السفن الحربية، في مأمن من كل عاصفة، واعصار .."⁴.

ومن هذا الوصف يتضح حصانة مرسى وهران، وهذه الخاصية تنطبق على المرسى الكبير، والذي يبعد عن وهران بميلين (4 كلم) ، ومن المعلومات المتوفرة فإن مرسى وهران المقصود حسب هذه الأوصاف هو المرسى الكبير وليس مرسى وهران الحالي، ويمكننا أخذ الصور التالية لتوضيح موضع المرسى الكبير ومرسى وهران:

ب التواريخ



صورة توضح خليج وهران الممتد من المرسى الكبير الى مرسى وهران



1-وضح الصورة شساعة المرسى الكبير و حصانته من الرياح الغربية القوية في فصل الشتاء، فهو "مرسى شتوي"

وتشير بعض الأبحاث أن الرياح كانت تضرب وهران بمعدل مائتي يوم في السنة، وبالتالي

¹-صورة ساتيليتية مأخوذة من قوقل اورث « Gougale Earth » 2012.

كانت القوارب والسفن تلجأ إلى المرسى الكبير¹، لأنه كان محمي من الرياح القوية والتي شكلت حاجز قوي أمام حركة الملاحة خاصة في فصل الشتاء، حتى ان ابن خلدون يعتبر أن "سفر السفن في البحر إنما هو بالرياح و معرفة جهات مهاجها والى أين يوصل إذا مرت على الاستقامة من البلاد التي في ممر ذلك المهب"². وباعتبار المرسى الكبير مرسى شتوي ذو قدرة على استيعاب السفن الكبيرة وحمايتها من العواصف في الشتاء، فهذا جعله مقصدا لإرساء السفن المتوسطية ومعلوم قلة حركة الإبحار في المتوسط شتاء نظرا لقساوة البحر، حتى أن المدن الساحلية كانت تنهيا لهذه الظروف فتحتزن المؤونة استعدادا لفصل الشتاء³، لذلك تتضح أهمية المرسى الكبير في النشاط البحري، عكس مرسى وهران، الذي لم يكن محمي بشكل جيد من الرياح. وقد كانت من "عادة سفن البندقية أن تلجأ إلى المرسى الكبير عند اكفهارار الجو، وترسل بضائعها في قوارب إلى وهران، وإذا كان الجو صحوا قصدت ساحل وهران مباشرة"⁴ على الرغم من أن المنطقة ككل كانت عرضة إلى نوع آخر من الرياح وهي رياح صيفية جافة وحارة وهي برية تأتي من الجنوب⁵، وتكون خطيرة على السفن إذا "هبت قوية وبصورة خاصة"⁶ حتى أنها كانت جد قاسية على السكان، ولذلك جاء المثل الشعبي معبرا على قساوتها "ضربة السيف، ولا ربح الصيف".

لكن السؤال المطروح: لماذا اختيرت وهران في موضع غير المرسى الكبير؟ على الرغم من إمكانياته المتميزة من الاتساع والحصانة؟. كما انه من المعلوم أن تأسيس مدينة وهران كان بسبب وجود المرسى، فصاحب الاستبصار يورد: "...مدينة وهران على ضفة البحر، بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى"⁷.

¹ -Buiitin, op, Cite, p 01.

² - ابن خلدون؛ المصدر السابق، ص43.

³ - بروديل؛ المرجع السابق، ص 67.

⁴ - حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج2، ص31.

⁵ - وهي قادمة من الصحراء، ومحملة بالأتربة، تسمى السيروكو، ويصل مدى تأثيرها حتى جنوب إيطاليا و فرنسا. الهادي قطش، أطلس الجزائر و العالم، دار الهدى، الجزائر، سنة 2010، ص، 28، 29.

⁶ - "يطلق عليها الاسبان اسم الريح الترابية و لعلها هي ربح السموم المعروفة عند السكان". هاينريش فون مالتسان، المرجع السابق، ص36.

⁷ - كاتب مجهول؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص 133، نفس المعلومة عند الحميري، الروض المعطار، ص 612.

إن اختيار موضع مدينة وهران تحكمت فيه أسباب موضوعية ، كتوفره على الأراضي الزراعية والمياه السائحة على طول السنة (واد رحي loued rehhi) هذا من شئنه تلبية حاجيات المدينة ، وضمان استمراريتها عكس المرسى الكبير الذي يفتقد لهذه الإمكانيات، لذلك اختير موضع وهران لنشأة المدينة¹، وبقي المرسى الكبير كملجأ مؤقت فقط. وربما هذا ما يؤكد البكري في حديثه عن الأندلسيين المؤسسين للمدينة حيث يذكر أنهم كانوا ينتجعون مرسى وهران²، ونعتقد هنا أن الأندلسيين كانوا أصحاب المرسى ولهم حريم مثل ما يكون لأصحاب البحر، لذا فبإمكانهم أن يمنعوا من أراد عمارة مرساهم³، كما أنهم لم يستطيعوا بناء مدينة في موضع المرسى للأسباب المذكورة ، ومن هنا تبرز حتمية وضرة التحالف مع القبائل القريبة واتخاذ موضعها لتأسيس المدينة . لذلك فاختيار موضع المدينة أسفل جبل مرجاجو جاء أيضا للقرب⁴ والتحكم في المرسى الكبير⁵ إن لم نقل أنها أسست بسبب المرسى الكبير في ذلك الوقت.

2/1/3. تحصن موضع المدينة:

¹ - Bulltin, op, Cite, p 01.

² - نعتقد أن مرسى وهران المقصود هنا هو المرسى الكبير لأن المصدر نفسه يورد سلسلة المراسي على طول الساحل المغربي فيذكر: "مرسى جبل وهران مرسى كبير مشتي من كل ربح"، البكري، المصدر السابق، ص، ص 70، 71. ولا يذكر البكري مراسي أخرى لوهران سوى المرسى الكبير؟

³ - ابن بكر الفرستائي ؛ المصدر السابق، ص 538.

⁴ - أورد الإدريسي أن بعد المرسى الكبير من مدينة وهران ميلين ويعني 4 كلم وذلك بالاعتماد على تحويل الوحدات القياسية، قالترهنتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المثري، ترجمة عن الألمانية كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ط2، ص 95.

⁵ - وردت ابن حوقل أن من تنس " إلى مدينة وهران مراس لا مدن لها مشهورة مرسى عطا...." ونلمح من ذلك أن الأندلسيين عمدوا إلى تأسيس مدن تتوسط عدة مراسي، بهدف التحكم فيها، ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78.

أن تحصن المدينة عززته الجبال الغربية، ونقصد جبل مرجاجو حتى أن بناء الأبراج فيما بعد شكل شبه استحالة اختراق المدينة، ونشير هنا إلى محاولة سلطان المغرب الأقصى المولى إسماعيل سنة (1112 / 1700) تحرير وهران من الأسبان. فضرب حول وهران فساطيطه وخيم أحييته، لكنه لم يجد لها محلا يلحقها منه ضرره لمنعها ببرج مرجاجو، فعند ذلك صعد على مائدة مرجاجو، وعاین أحكامها ومنعها فقال: "هذه أفعى تحت حجر تضر ولا تضر"، ثم عاد إلى المغرب الأقصى¹. وقد شبه منظر مدينة وهران من على قلعة سانتا كروز على جبل مرجاجو، وكأنه ملتقط من أعلى منقار الصقر².

والخلاصة أن المدينة تمتعت بموضع جغرافي مهم، أكسبها خاصية المناعة الطبيعية كإمكانية تؤولها للعب أدوار متعددة وقد اكتشفناها من خلال الدراسة .

2/3. منشآت المدينة المختلفة

1/2/3. تحصينات المدينة (السور و الأبراج):

كان السور من أهم الإنشاءات الحربية التي ميزت المدن الإسلامية، وأثرت في تخطيطها تأثيرا واضحا³، ونستشف من المصادر القديمة خاصة من وصف الجغرافيون أن مدينة وهران كانت مسورة، وقد أورد ذلك المقدسي (في ق4هـ / 10م): "وهران بحرية مسورة"⁴، وقال عنها ابن حوقل: "وعليها (مدينة وهران) سور"⁵.

أما عن تاريخ تسوير المدينة، فلم يذكر. وان كان الوصف الجغرافي يرتبط بالقرن الرابع هجري (4 / 10)، إلا أنه وردت إشارة إلى تعرض المدينة لحصار سنة (909/297)

¹ - أحمد أبو راس الناصري؛ عجائب الأسفار، المرجع السابق، ص 46.

² - وحسب أحد الباحثين أن بعض الزوار للقلعة المشار إليها أكدوا أنهم بامكانهم رؤية شواطئ إسبانيا في حالة عدم وجود الضباب .

Eugene Cruck ; ORAN ET Les Témoins de son passé, récits historiques et anecdotes avec un plan de la ville , 1956 . P176

³ - محمد عبد الستار عثمان؛ المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 124.

⁴ - شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المقدسي؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة (1424هـ / 2003م) ص 185.

⁵ - ابن حوقل؛ المصدر السابق، ص 79.

مما يوحي بأنها كانت مسورة في تلك الفترة على الأقل - من الجهة الجنوبية والشرقية على اعتبار أن غربها محصن طبيعياً بجبل (مرجاجو).

وعن طبيعة المادة المستعملة في بناء السور، فيورد الحميري في الروض المعطار أنه من تراب في قوله: "وعلى وهران سور تراب متقن"¹، ويبدو أن هذه الأسوار كمثلتها في المدن الإسلامية كانت لها سلبيات نتيجة إمكانية تسلق السواتر الترابية، لذا عدلت بإنشاء حصون عالية² يصعب تسلقها، والملاحظ أن مدينة وهران استفادت من هذه الأسوار العالية حسب شهادة حسن الوزان الذي أشاد بها بقوله: "أنها كانت محاطة بأسوار عالية جميلة"³. ومن المعلوم أن تحصينات المدينة تزداد في الفترات التي يقل فيها الأمن، وتكثر فيها الحروب والحملات العسكرية، لذا نجد أن مدينة وهران قد عززت بمنشآت دفاعية إضافية خلال هذه الفترات، وهنا نشير إلى قيام أبو الحسن المريني (749.732 / 1334.1348) بتعزيز دفاع الجهة البحرية للمدينة ببنائه للبرج الأحمر⁴، ثم برج المرسى سنة ثمان وأربعين سبع مائة (748 / 1347)، وقد أشاد المؤرخون بالبرجين ومن ذلك "... واجتمعت العجائب بالبرج الأحمر، فإنه يفوق حصون بني الأحمر..."⁵، وقبل ذلك فقد فقدت وهران وجود المحرس في العهد المرابطي والذي ذكر في حادثة قتل "تاشفين المرابطي" بعد محاصرته في المحرس⁶، ويتضح من ذلك أن الواجهة الساحلية للمدينة قبل إنشاء البرجين كانت كانت تحوي محارس و رباطات لحمايتها من جهة البحر. والمدينة تقع أحياءها على الحافة الغربية لواد الرحي، وبعض الحصون والأسوار على حافته الشرقية⁷، ويذكر "ليو في" أن وهران قبل الاحتلال الإسباني كانت محصنة بأسوار قوية تمتد على أرض مرتفعة محيطة بالمدينة وكانت تعلو الأسوار أبراج قوية⁸. ويبدو أن الأبراج كانت كثيرة قبل دخول الإسبان إلى المدينة، وذلك بشهادة الإسبان أنفسهم فقد أورد جندي إسباني عاش من 1577 إلى 1604 يدعى "ديقو سيرا"

¹ - الحميري؛ المصدر السابق، ص 612. كذلك الإدريسي؛ المصدر السابق، ص 153.

² - عبد الستار عثمان؛ المرجع السابق، ص 125.

³ - حسن الوزان؛ المصدر السابق، ج 2، ص 30.

⁴ - يرجع للمحقق رقم (13).

⁵ - أبوراس الناصري؛ شرح الحلال السندسية، مخطوط، ص 26، وكذلك عجائب الأسفار، ص 116.

⁶ - أبوراس الناصري؛ عجائب الأسفار، ص 67.

⁷ - يحي بوعزيز؛ المرجع السابق، ص 143.

⁸ - Leon Fey, op, cite, p66

Diègo Suarez أن "عدد الأبراج في وهران بلغ حوالي 5000 برج وحصن أنشئت من طرف المغاربة" (الوهرانيين)، ورغم أن هذا العدد مبالغ فيه¹ إلا أنه يعبر عن كثرة الحصون و الأبراج المحيطة بمدينة وهران .

2/2/3. الحضور السياسي في منشآت المدينة وتنوع مرافقها: 1. القصة:

وقد ذكرت القصة ضمن الأحداث التاريخية والسياسية التي شهدتها الدولة الزيانية والانشقاق والخلاف الذي حدث داخل البيت الزياني، وقد تم استغلال قصبة وهران في نهاية القرن 14/8 كمعتقل للسلطان الزياني (أبي حمو)، حيث وضعه ابنه تاشفين في القصة، وحسب رواية ابن خلدون فإن هذه القصة كانت مسورة بأسوار عالية و ما لجوء أبو حمو إلى الاستعانة بعمامته إضافة إلى الحبل للنزول منها لدلالة على ذلك، وقد جاء في ذلك: "وتدلى بحبل وصله من عمامته التي كان متعمما بها، فشالوه (أهل وهران) حتى استقر بالأرض." والقصة عبارة عن قصر وقد ذكر بابه عند الحديث عن الرهط الذين أرادوا قتل أبا حمو². أما عن موضع القصة فهو على على الضفة الغربية لواد الرحي على سفح جبل المائدة³ (مرجاجو)، وهي في أعلى المدينة⁴، وقرية، وقرية من باب تلمسان، ويورد " ليو في" أن القصة كانت محصنة فهي تقع بين برجين أحدهما البرج الأحمر⁵.

وعن تاريخ تأسيس القصة لم يؤرخ له ، والمرجح أنها أسست قبل الفترة الزيانية على اعتبار أن المدينة كانت نشأتها ذات بعد سياسي استوجب وجود دار الوالي والتي تطورت إلى القصة. ويبدو أنها توسعت لتصل حدودها الى البرج الأحمر ، كما زادت أهميتها بسبب الأحداث التي عرفتها

¹ - Eugene Cruick, op, cite, p 176

² - عبد الرحمن بن خلدون؛ المصدر السابق، ج 7، ص 192.

³ - يحيى بوعزيز؛ المرجع السابق، ص 152.

⁴ - كانت القصة أو القصر عادة ما يكون في المدينة المتوضعة في المنحدر في أعلى قمة لها. ليوبولدو تورس بالباس ، المرجع السابق، ص 177.

⁵ - ويورد " ليو في" روايات عدة حول تسميته بالبرج الأحمر وتأسيسه، وهو يرجح أنه من تأسيس الحامية المالطية وهذا مستبعد لعدم وجود ظروف تاريخية تؤكد المعلومة. المرجع السابق، ص 66.

الفصل الرابع جغرافية المدينة وعمارتها

المدينة طيلة الفترة الوسيطة، وقد امتدت على شكل مثلث يمتد على الضفة الغربية لواد الرحي، وطرفها الآخر يصل الى عمق جبل مرجاجو¹. وقد استغلها الاسبان بعد احتلال وهران².

2. المسجد الجامع:

ككل مدينة إسلامية، وجد بمدينة وهران مسجد جامع³، ورغم عدم ذكر تاريخ تأسيسه، إلا أننا نرجح تأسيسه سنة (290هـ/902م) أي تاريخ تأسيس المدينة نفسها على اعتبار أن المسجد الجامع من بين الشروط التي يستوجب إنشاءها عند تأسيس أي مدينة إسلامية⁴. فالمسجد الجامع مكان للعبادة، ومركز مهم لبحث مختلف الشؤون (السياسية، التربوية الاجتماعية)⁵ كما لا ننسى قيامه بتنظيم أوقات المدينة⁶ و نشاطاتها المختلفة خاصة التجارية منها.

وحسب الرحالة عبد الباسط (ق 9/15) فإن اسم الجامع هو "جامع البيطار"⁷. وقد ذكر أنه أسس سنة 1347/747 على كدية شمال القصبة، وحوله الاسبان الى كنيسة عام 1509 حملت اسم امرأتنا المنتصرة⁸ "Notre dame de la victoire"، ويورد هاينريش مالتسان، أن الاسبان بعد دخولهم للمدينة حولوا الجامعين الرئيسيين إلى كنيستين⁹، مما يوحي ذلك بأن المدينة عرفت مسجدتين جامعين¹⁰ في أواخر الفترة الإسلامية كأقل تقدير.

¹ - يحي بوعزيز؛ المرجع السابق، ص 152.

² - حول موضع القصبة. يرجع للملحق رقم (12).

³ - البكري؛ المصدر السابق، ص 70.

⁴ - ابن أبي الربيع؛ المصدر السابق، ص 107.

⁵ - محمد عبد الستار عثمان؛ المرجع السابق، ص 210.

⁶ - شوكت القاضي؛ تاريخ العمارة-2 (عمارة العصور الإسلامية)، سنة (2006-2007) بدون صفحة.

⁷ - عبد الباسط؛ المصدر السابق، ص 65.

⁸ - يحي بوعزيز؛ المرجع السابق، ص 166. لم نجد هذه المعلومات في المصادر التي اعتمدنا عليها في هذا البحث لذلك

نأخذها بتحفظ

⁹ - هاينريش فون مالتاس؛ المرجع السابق، ص 29.

¹⁰ - يرجع للملحق رقم (14).

وان صح تاريخ تأسيس جامع البيطار فهذا يجعله هو المسجد الثاني الذي أنشئ بعد المسجد الجامع الأول الذي أنشئ مع انشاء المدينة أو أنه هو الجامع الأول ووسع وجدد فقط في السنة المذكورة .

وعن موضع المسجدين الجامعين في المدينة ، فنعتقد أن المسجد الجامع القديم كان قرب بوابة تلمسان (البوابة الجنوبية الغربية) وقرب القصبة، أما المسجد الجامع الثاني ، فالمرجح أنه قريب من باب المرسى ، وربما هو الآن موضع الكنيسة التي أصبح يطلق عليها اسم المركز الثقافي بحى سيدي الهواري .

3. مساجد المدينة:

يورد حسن الوزان (ق 14/10) أن مدينة وهران بها مساجد¹، مما يعني أنها توسعت وزاد حجم سكانها هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن هذه المساجد ارتبطت وجودها بظواهر عرفها الغرب الإسلامي خاصة، والعالم الإسلامي عامة تمثلت في ظهور الأربطة بداية ثم الزوايا والتي عمدت إلى إنشاء المساجد بل أن البعض من الأربطة كان عبارة عن مسجد كما سنرى نموذج ذلك في رباط الفتح²، أما عن المساجد التي أسستها الزوايا فالمثال واضح في أعمال الزاوية التازية التي قامت حسب ابن سعد التلمساني بإنشاء مساجد تابعة لها منها مسجد وصف بأنه بالزاوية التازية، وهو في غاية الاحتفال والفخامة³، واكتفى ابن سعد بهذا الوصف، ولم يتطرق إلى تفصيل تفصيل ذلك؟ لكنه يتضح من هذا أن المساجد شكلت جزء مهم من عمران المدينة.

4. أسواق المدينة:

اتضح من المعلومات السابقة أن مدينة وهران عرفت بنشاطها التجاري الكثيف وبتوقعها على شبكة مسالك وطرق هامة، هذا يعطي بدون شك حتمية وجود عدد من الأسواق داخل المدينة وعلى بوابتها، ويمكن أن نشير وجود سوقين قرب الميناءان (ميناء وهران، وميناء المرسى

¹ - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 30.

² - سنتطرق له في عنصر الأربطة.

³ - ابن سعد التلمساني، النجم الثاقب، ص 183.

الكبير) حيث يورد حسن الوزان: " وكان يختلف إليهما كثيرا عدد وافر من تجار جنوة والبندقية حيث يتعاطون تجارة نافقة عن طريق المقايضة"¹ .

كما أن المدينة كانت تصدر القمح إلى مختلف الجهات، وهذا يعني وجود أسواق للجملة قريبة من بوابتها خاصة لبيع القمح، و الشعير والصوف وغيرها من سلع البادية على شكلها الخام، وقد استغل جزء منها داخل المدينة، ووجه الفائض من الإنتاج إلى التصدير خاصة إلى الأندلس.

أما عن أسواقها داخل المدينة فاتصفت بأنها "واسعة، و أقيمت على أرض شعبية"²، ونعتقد أن بعضها خصص لمنتجات معينة اشتهرت بها المدينة على غرار "سوق الغزل".

5. الفنادق:

ذكرت الفنادق من طرف حسن الوزان في القرن (15/10)، ولكن وجودها يرجع إلى فترات سابقة على اعتبار أن المدينة استقطبت عدد كبير من التجار و الحجيج و العلماء و المسافرين، فهي مدينة مسلك مغربي، أندلسي ومتوسطي. وعن ملكية الفنادق، فقد تنوعت من خاص سواء ترجع ملكية للأجانب، وذكرت هنا دار للجنوبيين، وتشير بعض الدراسات أن الفندق الذي يعود للتجار المسيحيين يدل في الوثائق اللاتينية الى حي كبير يقع عادة في ريف المدينة الاسلامية، ويتوفر على "كل المرافق التي تخدم حاجيات التجار مثل المتاجر الكبرى والدكاكين الصغيرة، ومقر سكني القنصل، وكذا الكنيسة، والمقبرة والفرن، ومكان كاتب العدل، وربما حمام عمومي". ومثال ذلك ما فعله تجار جنوة في سبتة³، ونعتقد أن نفس الشيء في مدينة وهران. كما لا نشك أن فنادق أخرى عادة ملكيتها لأفراد من المجتمع الوهراني، خاصة أن بعض الدور استغلت لإيواء التجار البدويين وتم تخصيص بعض البيوت لتخزين السلع الثقيلة مثل القمح، والذي كثيرا ما كان يوجه للتصدير، فالمدينة إذن و لطابعها التجاري تكون قد استقبلت تجار الريف مع منتوجاتهم الفلاحية.

¹ - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 09.

² - Henri Leon Fey .op.cite.p.55

³ - ابراهيم القادري بوتشيش؛ تاريخ الغرب الاسلامي، قراءات في بعض قضايا المجتمع و الحضارة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1994. ص 95.

ويبدو أن الدولة الزيدانية كان لها ملكية فنادق ، فقد أشار عبد الباسط أنه كتب له "ظهير من السلطان الزيداني بمساحته في كل ما يتصرف فيه من نوع المتجر ، و إنزاله بمكان بوهران إلى حين سفره ، ورتب له بها شيئاً ما بين لحم ، ودقيق ، وعليق¹ ، ويتضح من ذلك أن هذا المكان ما يكون إلا فندقاً ولم يكن للإيواء فقط بل كان يقدم الطعام للنزلاء .

كما قامت الزاوية في وهران بتخصيص غرف لإيواء عابري السبيل من العلماء و التجار والتكفل بهم من تقديم الطعام و المبيت، وعرفت غرفة خاصة للطلبة الأشراف، وللتجار من أهل البيت في الزاوية التازية، وقد كانت غرفة مرتفعة تحمل اسم "غرفة الشرفاء"².

كما يورد أحد الباحثون أن بعض الفنادق خصصها المسلمون لإيواء الأسرى النصاري في انتظار فدائهم من أهلهم³ . ، و مدينة وهران كانت تعرف ممارسة القرصنة ، والتي أكسبت المدينة عدد كبير من الأسرى⁴، لذا فكثر الفنادق في المدينة ارتبطت كذلك بهذا النشاط البحري لإنجاحه. ويبدو أن الفنادق استبدلت إيداع السلع الموجهة للتجارة ببضاعة جديدة أكثر ربحاً هي الأسرى المسحيين.

أما عن شكل الفندق فعادة ما تتكون من طابقين سفلي ، وعلوي ، فجعل الطابق السفلي للحيوانات ، و السلع أما الطابق العلوي فاللمبيت⁵ .

6 . الأربطة والزوايا:

أ. الأربطة:

يعرف الرباط بأنه المكان الذي يربط به شخص أو مجموعة من المؤمنين للعبادة، وربما للجهاد أيضاً وحماية التخوم الإسلامية المجاورة للعدو، ولهذا فقد أهل أن يكون محصناً لأداء هذا الغرض¹،

¹ - عبد الباسط ؛ المصدر السابق ، ص 48 .

² - ابن سعد التلمساني ؛ المصدر السابق ، ص ، ص 162 ، 163 .

³ - حسين مؤنس ؛ تاريخ المغرب وحضارته ، ص 269 .

⁴ - حسن الوزان ؛ المصدر السابق ، ج 2 . ص 30 .

⁵ - المازوني ؛ المصدر السابق ، ج 3 . ص 130 . ص 185 .

وقد انتشر الرباط بقوة في العهد المرابطي حتى ان المغرب أصبح رباطا شاسعا يقوم بمهمة الدفاع عن الإسلام و المسلمين في الأندلس². وقد جاء ذكر رباط لمدينة وهران في بعض المصادر التاريخية التي ذكرت نهاية تاشفين المرابطي على يد عبد المؤمن بن علي، ومما جاء: " وفي ظاهر وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب وبأعلاها رباط يأوي إليه المتعبدون، وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان... صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الختم..."

لتتواصل الأحداث بمقتل تاشفين وقدم عبد المؤمن الذي غير اسم هذا الرباط من رباط صلب الكلب إلى "صلب الفتح"³. ويتضح من الحادثة المذكورة أن هذا الرباط كان مكانا للتعبد في هذه الفترة. ويرى أحد الباحثين أن هذا الرباط ذكر باسم الرابطة لدى بعض المؤرخين، وذلك لتدليل على التحول الذي طرأ على دور الرباط حيث بدأت تتلاشى وظيفة الحراسة و انتظار العدو إلى ممارسة العبادة و الذكر، وكل ما يصلهم من فنون المعرفة بالله. وانتشر هذا النوع من الرباطات في المغرب نتيجة إحكام الموحدين لسيطرتهم على البحر المتوسط⁴. ونعتقد أن هذا الرباط نفسه تحول إلى مسجد فقد أورد الرحالة عبد الباسط (ق 9/ 15م) موضع لمسجد يطابق موقع هذه الرابطة، وقد جاء أنه: " خرج إلى ظاهر وهران من باب البحر إلى الساحل (فرأى) صخرة عظيمة بالساحل على ظهرها مسجد لطيف يصلى فيه ويدعى، فيقال أنه مشهور بإجابة الدعاء فيه"⁵، وعن بقية الأربطة، فلا نجد ذكر لها في المصادر المتوفرة، وهذا لا يعني عدم وجودها.

ب. الزوايا:

حظيت الزوايا بالمغرب الإسلامي بأهمية كبيرة لارتباطها بالتصوف، وعرفت الزوايا تطورات، وانتشار واسع في هذه المنطقة، وعن مدينة وهران، فيمكن ذكر زاويتين ارتبطتا بمؤسسيهما، ونقصد بذلك الزاوية الهوارية والزاوية التازية، ولم نعر على ذكر لزوايا أخرى ما عداهما.

¹ - إبراهيم فرحات؛ مدخل إلى تاريخ دور الرباطات، مجلة العلوم، ص 23.

² - عمر بنميرة؛ الثقافة و الفقه والمجتمع (نماذج من المغرب الوسيط)، الناشر جندور للنشر، ص 109.

³ - ابن عداري المراكشي؛ المصدر السابق، ج 4، ص 125-126.

⁴ - الطاهر بونابي؛ التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين 12 و 13 الميلاديين (نشأته، تيارته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، طبع شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، ص 62.

⁵ - عبد الباسط، المصدر السابق، ص 57.

وعن الزاوية الهوارية لا نملك معلومات عنها، أما الزاوية التازية، فقد أفرد ابن سعد التلمساني في وصفها ، ويبدو أنها تأسست بعد مغادرة سيدي إبراهيم لزاوية سيدي محمد الهواري (ت 1439 / 843) واعتبر ابن سعد أن الزاوية التازية من أعظم الدلائل على ولاية إبراهيم التازي، حيث شملت "على المساجد الأنيقة العالية والمرافق المعدة للزوار، وأبناء السبيل، ومدارسها المشتملة المنضاة الأنيقة، والحمام الذي ما شوهد مثله في البلاد، والخزائن المملوءة بالكتب العلمية وءالات الجهاد، والسطح المظلل بعريش من شجر الياسمين العنبري الرائحة"¹ والملاحظ على هذه المعلومات الوصفية أن الزاوية التازية اختصت بعدة وظائف منها:

- أنها شكلت مقر لأبناء السبيل.
- القيام بمهمة التعليم والتدريس.
- القيام بدور الجهاد إذ اقتضى الأمر.
- القيام بمهام دينية فيما يخص الصلاة (مكان للتعبد).

إضافة إلى وظائف أخرى أشار لها نفس المصدر مثل: المساهمة في تزويد المدينة بالمياه والذي اعتبر أنه من أجل الأعمال التي قامت بها الزاوية التازية وشيخها إبراهيم التازي وكذلك قيام الزاوية- بمهمة إطعام المساكين والفقراء². اعتبرت مع مهمة التدريس من الادوار المتطورة للزاوية خلال (ق 14/8)³.

ما يمكن ملاحظته من خلال ما أورده ابن سعد أن المنشآت المنجزة من طرف الزاوية التازية يتم الإشهاد عليها بأنها حبوس على الزاوية، كما أن الزاوية التازية احتوت على مكان خاص بالأشراف من الواردين عليها عرف باسم "بيت الشرفاء"⁴. وما يمكن استخلاصه من المعلومات الواردة عن الزاوية التازية أنها شكلت وحدة عمرانية متكاملة المرافق ومتعددة الوظائف وكأنها مدينة مصغرة داخل المدينة الأم، استطاعت أن تبني علاقات متعددة الأوجه مع محيطها الحضري، فساهمت في البناء وفي الحياة الحضرية فاستقطبت أهل المدينة ، خاصتها وعامتها وحتى فقراءها، فكانت القلب النابض للمدينة ويمكن أن نقول أنها كانت في

¹ - ابن سعد التلمساني؛ النجم الثاقب، ص 183-185.

² - ابن سعد التلمساني؛ نفس المصدر، ص 185.

³ - نللي سلامة؛ المرجع السابق، ص 181.

⁴ - ابن سعد التلمساني؛ المصدر السابق، ص 186-188.

عهد مؤسسها إبراهيم التازي مرجعية المدينة سياسيا وثقافيا وحتى عمرانيا لأنها أنشأت عدة مرافق وحلت الكثير من مشاكل المدينة.

7. منشآت تمديدية أخرى :

ككل مدينة متحضرة، كان بوهران إلى جانب ما سبق منشآت مهمة مثل الملاحي والحمامات¹. وغيرها من المؤسسات والمرافق وإن كنا لا نملك وصف لهذه المنشآت داخل المدينة إلا أننا نعتقد بأهميتها ومطابقتها للمواصفات الإسلامية لأنها خضعت لتنظيم محكم حددته الفتاوى المطروحة على علماء المغرب الإسلامي، ونرجح أن مختلف المنشآت والمرافق زاد عددها بعد تزويد المدينة بعنصر المياه في القرن التاسع الهجري على اعتبار أن مختلف المرافق تحتاج إلى الماء خاصة الحمامات، والتي كانت معروفة. كما يمكن الإشارة إلى وجود مدارس في مدينة وهران تشبه مدارس الأندلس مثل غرناطة وقرطبة².

كما يمكن الإشارة إلى وجود مقابر اثنى قديمة بالمدينة، أكبرها المقبرة الإسلامية والتي يرجح وجودها قرب البوابة الجنوبية الشرقية، وبقيت هذه المقبرة خارج أسوار المدينة لان هذه الأخيرة توسعت في غير هذه الجهة، إضافة إلى وجود مقبرتين، مسيحية ويهودية لأنهم شكلوا جالية معتبرة داخل المدينة.

¹ - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 30.

² - Henri Leon Fey .op.cite.p55

الخطبة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة:

يرجع تأسيس مدينة وهران في العصر الوسيط إلى الأندلسيين ،الذين عمدوا و ابتداءا من ق (3هـ/10م) إلى إنشاء شبكة تمدنية ، امتدت على طول المناطق الساحلية للعدوة المغربية، وقد تم إشراك قبائل محلية مستقرة في المنطقة لتدعيم و حماية المدن المحتضنة للنشاط التجاري بين العدوتين، من جهة، و لتأمين الحدود الجغرافية للأندلس من جهة ثانية خاصة من القوى المعادية لها في المغرب. و نخص بالذكر هنا الأدارسة ثم الشيعة.

ومدينة وهران من بين أولى المدن نشأة في المغرب الأوسط، فكان تاريخ ميلادها كمدينة إسلامية سنة (290/ 902)، ويرجع تأسيسها لاعتبارات عديدة خاصة لأهمية موضعها وموقعها الجغرافي و القبلي معا. فموقعها الجغرافي يتوفر على مراسي عديدة من أهمها على الإطلاق المرسى الكبير، والذي نال حظ وافر من الإشادة، والإعجاب.فمدحه الجغرافيون القدماء، وخصه الجغرافيون والرحالة المسلمون بوصف أبرز خصائصه المختلفة، من حصانة ضد الرياح القوية التي هددت خطوط الملاحة في المتوسط. خاصة في فصل الشتاء، وهذا ما جعله مرسى شتوى بامتياز، و عرف المرسى الكبير كذلك باتساعه واستيعابه لعدد كبير من السفن وكبره لذا حمل هذه التسمية المعبرة عن حجمه (المرسى الكبير)، و قد ساهم هذا المرسى في نشأة المدينة و استمراريتها و توسيع نشاطاتها، كما استغله الغزاة في كل مرة كقاعدة للانطلاق لاختراق المدينة واحتلالها.

موقع مدينة وهران وفر لها كذلك ظهير خصب استمدت منه مبرتها، وموارد لتجارها المتوسطية. أما موضع المدينة، فتميز بمناعة المكان، فجزء منها ممتد على جبل هيدور الذي زاد من هيبتها و دعم دفاعاتها إلى جانب أسوارها و أبراجها، فأصبحت المدينة عرين للأسد، فحمل اسمها تطابق مع واقعها التاريخي، ومظهرها الجغرافي والعمراني لذلك فقد شكلت بحصانتها خطورة بالنسبة للقوى السياسية التي كانت بالمغرب أو بالأندلس، وذلك طيلة العصر الوسيط. فعانت المدينة كثيرا من الصراع الحاد بين الأمويين و الشيعة خاصة بدخول القبائل المغربية من زناتة و صنهاجة كحلفاء للقوى المتصارعة في المنطقة المغربية، مما أدى الى تخريب مدينة وهران ،وتدميرها مرتين متتاليتين، ثم إعادة انبعاثها ،و بنائها من جديد. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهميتها العسكرية ،وحيوية موقعها في وجود ،وقوة كل دولة مغربية كانت أو أندلسية.

فالمرابطون جعلوا منها رباطا على الساحل المتوسطي، فأمنت السواحل و استقرت أوضاع المدينة في ظل الأمن، ووحدة المغرب و الأندلس في ظل الحكم المرابطي. كما أعطى لها الموحدون البعد التجاري المتوسطي، واعتبروها من المدن التجارية الاستثنائية للتجارة مع المدن الإيطالية. وفي ظل الحكم الزياني، نشطت مدينة وهران كمنفذ تجاري مهم وفر مداحيل معتبرة للزيانيين مما جعلها كذلك نقطة صراع من أجل الاستحواذ عليها فيما بين أمراء الأسرة الزيانية الحاكمة، واستغلت كمنفى محصن لمعارض الحكم الزيانيين في ظل الاضطرابات و الفتن الداخلية . كما كانت المدينة محل صراع زياني، مريني، وحتى حفصي جعل منها لا تنعم بسلام، وأمن طويل الأمد، ليظهر خطر آخر حملته الواجهة البحرية ممثلا في الحملات الاسبانية التي افتكت المرسى الكبير، واحتلت وهران في الأخير.

مدينة وهران توفرت على الماء الجاري (وادي الرحي)، و الهواء النقي ، والسهل الواسع والساحل الممتد. كل ذلك وجه نشاطها الاقتصادي، فاشتهرت ببساتينها و أرचितها، وأعطى لها ساحلها البعد التجاري المتوسطي ، فتداخلت علاقاتها الاقتصادية مع الداخل المغربي شرقا وغربا وجنوبا ومع الخارج شمالا، فحطت بها حمولة القوافل، و استقبلت تجار من جميع الأفاق من الأندلس وجنوة و البندقية وغيرها. هذه الحركة التجارية ساهمت وبشكل كبير في تعدد فئات المجتمع الوهراني من أندلسيين و بربر و جاليات أروبية وأعراب، والذين على ما يبدو انصهروا في حياة المدينة؛ فشعروا بانتمائهم لها أكثر من أي شيء آخر. فتساحت فئاتهم و تضامنت فيما بينها وفتحت أبواب المدينة للمسافرين، والحجاج، والعلماء. وقد تعاملوا معهم بالرفق، والمودة، والكرم، فزار مدينة وهران العلماء، ومنهم من اختار الاستقرار بها في حين غادرها بعض أبنائها لكنهم حملوا المحبة و الشوق إلى مدينتهم من خلال المحافظة على انتمائهم لها، فالكثير منهم اقترن لقبهم بها، فعرفوا بأسمائهم المضاف لها لقب الوهراني، كما برز تضامنهم فيما بينهم في أي مكان ذهبوا إليه ، فاشتهروا في مختلف الأماكن التي حلوا بها و اشتهرت بهم وهران.

ومدينة وهران عرفت كغيرها من المدن الإسلامية ظواهر اجتماعية و دينية منها التصوف الاجتماعي الذي اختار مشاركة المدينة مشاكلها و حياتها، فبرز شيوخ متصوفون أشهرهم محمد

الهوري و إبراهيم التازي اللذان يرجع لهما الفضل في زيادة تمدن المدينة، و معالجة مشاكلها خاصة نقص المياه، ومشقة الحصول عليه، فدخلوا الماء إلى المدينة. كما أقام التازي سوق يضاف إلى أسواقها التجارية الكثيرة لكنه خصص للذكر، و نتيجة لهذه الأعمال فقد نال متصوفتها الاحترام و التقدير، و كامتنان لهما خلدا ذكرهما في أمثال شعبية مروية عنهما أو وضعت للإشادة بمكارم الأخلاق التي تمتعا بها. كما أصبح ضريح الولي الصالح الشيخ الهوري متنفس للمجتمع الهوراني، فيتبرك به لقضاء مختلف الحوائج، وكأن سكان المدينة بهذه الأفعال أصبحوا يبحثون عن روح المدينة الوسيطة المنبعث من أضرحة أوليائها.

وأما عمران المدينة فلا يختلف عن عمران المدن الإسلامية من حيث التخطيط و المنشآت مثل وجود المسجد الجامع، و الأسواق، و الحمامات و الدروب و السور و الأبواب و غير ذلك، والتي تطورت، و انتشرت باتساع المدينة، وعبرت عن حاجة السكان للمزيد من المرافق والتمدين نظرا لتزايد عددهم خاصة بعد الهجرة الاضطرارية لسكان الأندلس، وهذه المرافق والمنشآت استمدت نموذجها من الحضارة الإسلامية عموما وضبطت خصوصيتها من النوازل و الفتاوى التي المغربية والأندلسية التي أطرت مختلف الجوانب المادية لل عمران و التنظيمية التمدنية داخل المدينة.

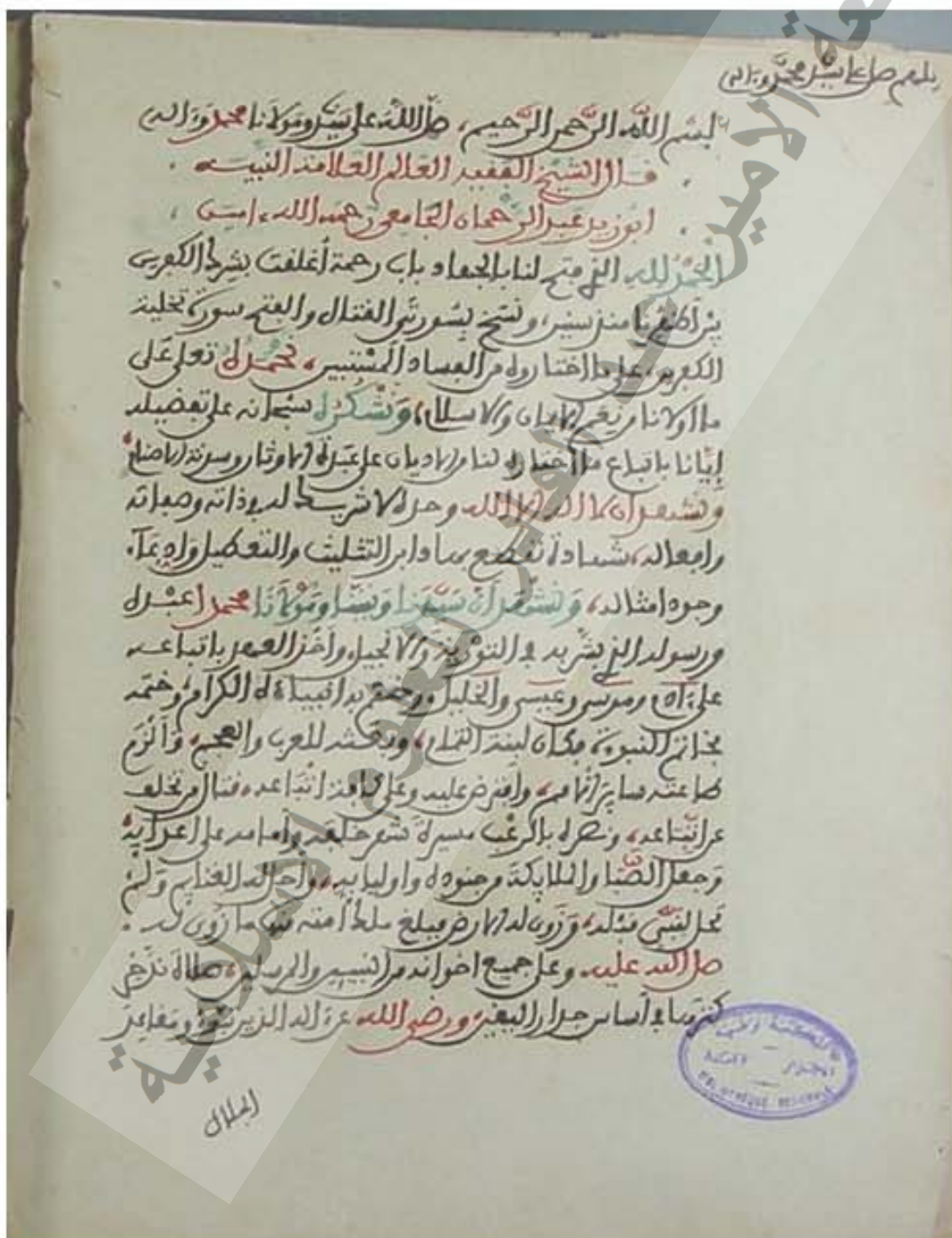
و مهما يكن من أمر، فمدينة وهران جمعت عناصر قوتها و كشفت عن إمكاناتها المتعددة و أبعادها المغربية و الأندلسية و المتوسطية في العصر الوسيط، هذا العصر سمح للمدينة بالظهور على الخريطة التمدنية المتوسطية، ولعب أدوار حربية واقتصادية مهمة حافظت على استمرارية المدينة رغم فترات الضعف والاضمحلال بسبب الأوضاع السياسية المتوترة في بعض الفترات التاريخية العصبية .

حلا في

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم 01 : صفحتان من مخطوط فتح وهران

لأبي زيد عبد الرحمن الجامعي الفاسي



ملحق رقم 02 : صفحتان من مخطوط عقد الجمان النفيس من ذكر الأعيان من أشرف غريس

، لعبد الرحمان التوجيني



ملحق رقم 03:

الرسالة الخامسة والثلاثون:

اتفاقية السلام والتجارة بين المنصور وحكومة بيشة

- تقديم:

في أوائل عهد المنصور، وخلال حركته إلى افريقية طلبت حكومة بيشة تمديد معاهدة السلام والتجارة بين الطرفين، فوافق المنصور على اتفاقية صالحة لمدة 25 سنة تحدد شروط التعامل بين البلدين. وهي مؤرخة بأوائل رمضان 582هـ، وهذا نص الاتفاقية كما وردت عند اماري تحت رقم 05:

- نص الاتفاقية:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً، والحمد لله وحده، الحمد لله المتعالي عن الأنداد والقرناء، المتقدس عن الصواحب والأحباء المحيط علمه سبحانه بما يلتج في الأرض وما يعرج في السماء، والصلاة على محمد رسول المصطفى وبنه الأكرم المجتبي، خاتم الرسل والأنبياء، المبتعث بالحنيفة السمحة المجلية لغياب الكفر المتراكمة الظلماء، الناسخ برسائله الخاتمة، وشريعته الدائمة في ملة ونحلة إلى يوم الدين والخبراء، الموعود وعد الحق بلوغ ملك أمته مازوي له من المشارق والمغارب والأكناف والأرجاء والرضى عن الأمام المعصوم المهدي المعلوم محيي الدين بعد الدروس والعفاء ومعيده إلى حالته الأولى من الوضوح والجلاء، ومظهر معالم الشريعة بعدما تناولها الجهل بيد الإضمار، والإخفاء، وعن خليفته الأهدى وحواريه الأرضي سيدنا الإمام أمير المؤمنين ناشر علومه الباهرة الأضواء، وممشي دعوته العلية إلى غايتها من الإظهار، والإعلاء، ومرفيها من درجات الكمال ومراقي التمام والاستقلال إلى أرفع حالات السمو، والنماء، والدعاء لسيدنا الإمام أمير المؤمنين بن سيدنا الخليفة أمير المؤمنين مقتفي أثرهما الصالح ببالغ الاقتفاء، والمقتدي بهديهما، والمهتدي بنهجهما أتم الاهتداء، وأكرم الاقتداء بوفور الأنصار، وظهور اللواء وعز الأولياء وكبت الأعداء، وفتوح تناسق، ووعود يتسابق نبجازها ويتلاحق، على مرور الأوقات، وتعاقب الأناء هذا ما أمضاه أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيدهم

الله بنصرة وأمدهم بمعونته- من الصح- للقناصلة والأشياخ، والأعيان، والكافة من أهل بيشة وجهاثها من بلد العتيق إلى قاب قرب والجزائر التي هي سردانية وقرصقة، وابليزة والبة وقبرارة ومونت اقرشت وجليه وقرقونة، وكل من فيها- هداهم الله- بعدما أرسلوا من زعمائهم وأعيانهم " اطروان بن تدسك " -وقفة الله- واصحبوه مخاطبتهم، واستتابوه في العقد لهم وعليهم، وأحالوا عليه في إنهاء رغباتهم والإعلام بما عندهم، فعرف رسولهم المذكور برغبتهم في إدامة الهدنة لهم، وحرصهم على إمرارها عنهم من نعمة الاعتلاف بذمة هذا الأمر الغريز، وشملهم، وقرر ما عندهم من الضراعة في حفظ عادته الجميلة عندهم، (ورب ... الإحراق...) لهم، وأنهم ملتزمون لكل شرط يشترط عليهم، ومنهون إلى جميع ما يحل لهم، فأسعف- أعلى الله مقامه ونصر إعلامه. رغبتهم، وأجاب مسألتهم وأمر لهم صلحهم على عادتهم وهدنتهم، وعقد لهم السلم إلى مدة من خمسة وعشرين عاما من تاريخ هذا الكتاب، على الآمنة التامة والمعدلة الشاملة العامة، وأذن لهم أعلى الله إذنه، ووصل إنعامه ومنه في الوصول إلى بلاد الموحدين أعزهم الله للتجارة فيها والتجهز منها، وقصرهم على أربعة بلاد من جملتها وهي سبتة ووهران و بجاية وتونس -حماها الله- ولم ييح لهم النزول بغيرها، ولا الاحتلال بسواها إلا لضرورة من صعوبة البحر تلجهم إلى الإرساء بساحل من السواحل دون أن يبيعوا فيه شيئا أو يشتروه، أو يكلموا أحدا من أهله في ذلك أو يخاطبوه، حاشا ألمرية- حرسها الله- فإن لهم أن يتزودوا منها، ويصلحوا ما اختل من مراكبهم فيها لاغير، متى احتاجوا إلى ذلك، ومتى تعدى أحد منهم هذا الحد المحدود، فدمه وماله مباحان لأهل هذا الأمر لعزیز لاذمة تمنعه، ولا عهد لتعدية يحجزه، ومتى نجم من أهل بلادهم الذين هم في هذا التاريخ قاطنون بها وساكنون فيها ناجم لاغتيال أو مجاهرة أو خرج منهم ممن يتعين عندهم خارج كان خروجهم من بلادهم أو من غير بلادهم لقطع سبيل أو حرابة، أو تعرض منهم متعرض للمسلمين- عصمهم الله- بنوع من أنواع المضرة والاذاية، فعليهم أخذه بجريرته، ومعاقبته بما يوجبون على من جنى عليهم مثل جنايته، دون مسامحة في ذلك ولا مساهلة، ولا مساعدة في شيء منه ولا مDAHنة، وعليهم ألا يحملوا احدا من المسلمين معهم، ولا يسافرون في مراكبهم

ومن فعل ذلك منه، فقد نقص عهده، ووجب لهذا الأمر العزيز أن يمضي فيه بما شاء حكمه، وكان له أن يملك رقبته وتسييح دمه، وعليهم أن يؤدوا ماجرت العادة بأخذه معهم من العشر على العادات المعروفة، والشرائط المعلومة دون زيادة عليهم، ولا إحداث أمر لم يكن يلزمهم إلا في ما صرفوه من سلعهم، وفي ما تبايعوه بينهم من مراكبهم، فإن العشر ساقط عنهم في هذين الوجهين لا يطلبون به في شيء منهما، ومتى وصلوا إلى بلد من البلاد المأذون لهم في الوصول إليها، ولم يريدوا أن يفرغوا فيه مراكبهم، ولا يبيعوا به سلعهم، فليتركوا في ذلك لاختيارهم، ولا يكرهوا فيه على خلاف مرأهم، ولهم أن يحفظوا في بلاد الموحدين - أعزهم الله - على عادتهم، ويجروا من العدل، والحماية على رسمهم ويمنعوا من كل من يريد أذاهم أو التسبب بمكرهه إليهم، وإذا لقيتهم في البحر أساطيل الموحدين، نصرهم الله - فلا سبيل لهم إلى تعرضهم، ولا إلى إذايتهم في نفوسهم، ولا أموالهم، ولا في شيء من شؤونهم أو أحوالهم وفاء بدمتهم، وإمضاء لأحكام سلمهم وهدنتهم.

فعلى هذه الأصول المقررة والفصول المفسرة انتظمت هذه المهادنة، وانعقدت هذه المسالمة والمصالحة، وبالله التوفيق في كل حل وعقد، وعليه التكلان في كل حرب وعهد لارب غيره، ولا خير رجي إلا خره، وجعل - أمام الله تأييده وظاهر سعيه - هذا الكتاب خمس نسخ يسكون منهما واحدة في بلدهم، ويستظهرون بباقيها في البلاد المأذون لهم في الوصول إليها توسعة عليهم، واكمالا للمنة لديهم، وكتب في أوائل شهر رمضان المعظم عام اثنين وثمانين وخمس مائة¹.

¹ - رسائل موحدية، المصدر السابق، ص-ص 147-177

ملحق رقم 04:

من أشعار الشيخ إبراهيم التازي.

1- قصيدة صوفية للدعوة إلى محبة الله

(وهي من البحر الوافر).

أبعد الأربعين تروم هزلا وهل بعد العشية من عرار
فخل حظوظ نفسك واله عنها وعن ذكر المنازل والديار
فما الدنيا وزخرفها بشيء وما أيامها إلا عواري
فتب واخلع عذارك في هوى من له دار النعيم ودار نار
جمال الله مرهم آل جرح وأنقع من زلال للأوار
ولا موجود إلا الله حقا فدع عنك التعلق بالشنار

وله أيضا:

(من البحر الطويل):

حسامي ومنهاجي القويم وشرعتي ومنجاي في الدارين من كل فتنة
محبة رب العالمين وذكره على كل أحياني بقلبي ومهجتي
وأفضل أعمال الفتى ذكر ربه فكن ذاكرًا يذكرك باري البرية
وما من حسام للمريدين غيره وكم حسمووا ظهرا لزار وباهت
وكم بددوا شملا لذى جزئه وكم أبادوا عدوا مسهم بمضرة
وكم دافع الله الكريم بذكرهم عن الخلق من مكروهة ومبيرة
وأفضل ذكر دعوة الحي فتلكن بها لهجا في كل وقت وحالة
فكثرة ذكر الشيء آية حبه وحسب الفتى تشريفه بالمحبة¹.

¹ - شوقي أبو ضيف، المرجع السابق، ص 245.

ملحق رقم 05 :

المقام الكبير لأبي محرز الوهراني (ت1179/575):

-مقتطف من المنام الكبير الذي اشتهر به أبو محرز والوهراني، ففي أثناء نومه رأى حلم بأن القيامة قامت وأن مناديا ينادي الناس هلموا إلى العرض على الله ويلبيه كثيرون بين قدماء ومعاصرين منهم الملوك والحكام والسلاطين والأدباء والشعراء والعلماء من العرب والعجم والفساق والصلحاء، وهو دائما يهذي ويهزل في لقاء كل من يلزم به أو يمر عليه، ويرى بعض عظماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم، كما يرى مالك خازن النار ويحاوره، ويرى الرسول مقبلا في موكب عظيم من المقام المحمود يؤم مورد الحوض الذي يسقى منه أمتة يقول:

"لما انتهى إلى شاطئ المشرعة تقدمت إليه الصوفية من كل مكان وفي أيديهم الأمشاط وأحلة الأسنان، وقدموها بين يديه، فقال: صلى الله عليه وسلم، من هؤلاء؟ فقيل له: قوم من أمتك غلب العجز والكسل على طباعهم، فتركوا المعاش وانقطعوا إلى المساجد، يأكلون وينامون فقال: فبماذا كانوا ينفعون الناس ويعينون الناس ويعينون بني آدم؟ فقيل له: والله ولا بشيء البتة، ولا كانوا إلا كمثل شجر الخروع في البستان، يشرب الماء ويضيق المكان".¹

¹ - شوقي أبو ضيف، المرجع السابق، ص 246.

ملحق رقم 06:

ومن كرامات الشيخ محمد بن عمر الهواري نورد بعض ما أورده ابن مريم البستاني والذي أشاد بكراماته ومكانته في المغرب ،ومما ذكره عنه "محمد الهواري نفعنا الله به فقد بلغت كراماته التواتر المعنوي واشتهرت بين العالم والخاص اشتهاً عظيماً وقد أجمع على تعظيمه وتسليم التقديم له في الولاية كل من عاصرة من بلاد المغرب من الأولياء¹.

"ومن كراماته ما أخبر به الشيخ الولي العلامة العلم سيدي سليمان بن عيسى بجذاء داره بقلعة هواره قال كتبت للشيخ سيدي محمد الهواري كتاباً فيه نحو السبعين سطراً أشكو إليه فيه بأمور وأسأله عن أمور فلما ذهب رسولي بالكتاب بدا لي وقلت لعل الرسول لا يضبط جواب الشيخ فتبعت الرسول فسبقني إلى الشيخ وأعطاه الكتاب وقال له هذا كتاب سيدي سليمان بن عيسى الذي بهواره فقال له الشيخ أنت سقت الكتاب أم صاحبه الكتاب فتعجب ولم يفهم كلام الشيخ فدخلت عليه بالفور فوجدته يقول للرجل أنت سقت الكتاب أم صاحبه والرجل يراجعه ويقول له يا سيدي هذا كتاب سيدي سليمان فلما سلمت على الشيخ رأي الرجل وتعجب من مقالة الشيخ ومن كونه تركني بهواره فسكت حينئذ الرجل وبقي الكتاب مطروحاً بين يدي الشيخ ولم يرفعه ولم يفك عنوانه ولم يسألني عما فيه ثم شرع الشيخ في جواب ما في الكتاب سطراً سطراً على الترتيب حتى أتى على آخره وعلى جميع ما فيه من أوله إلى آخره ثم على كل ما يحدث به الخاطر ولم أحتج على أن أتكلم بكلمته فرجعت وقد قضيت العجب بما رأيته وحلني ذلك على أن جعلت في مدحه وما رأيته له من الخوارق قصيدة تزيد على ستين بيتاً"².

¹ - ابن مريم ؛ المصدر السابق ، ص 229 .

² - ابن مريم ؛ نفس المصدر ، ص ، ص 229 ، 230.

ومن كرامات الشيخ محمد بن عمر الهواري كذلك :

"وحكي بعضهم عن الشيخ سيدي إبراهيم التازي أنه قال كان الشيخ جالسا في معتاد جلوسه فجاء الخبر ان خديمه الذي بعث معه الكتاب كبله عثمان بن موسى، فغضب الشيخ غضبا شديدا حتى اسود وجهه وقام على الفور ودخل خلوته ساعة وسمعتة يقول مفرطخ مفرطخ كأنه يبين لمأمر بإهلاكه صفة هلاكه فاتفق أنه كان بذلك اليوم عرس بموضع عثمان بن موسى فدفع فرسه واجراها في ملعب فاشتهر عند الحاضرين من الرجال والنساء أنهم رأوا شخصا أبيض أخذه من فرسه وضرب به الأرض فوجدوا والعياذ بالله رأسه داخلا في جوفه فقال سيدي علي أخي لامي فدخل علينا الشيخ سيدي الحسن في غدوة ذلك اليوم الذي يلي هلاكه ونحن ننتظره في المسجد للقراءة فتبسم غاية التبسم فلما جلس قال لنا أن اللص قد قضى الله الحاجة فيه أمس، وقد أهلكه الله هلاكا غريبا فاحشا قد عجل عليه الشيخ يعني أنه اشتد غضبه فدعا عليه قبل أن يصل إليه كتاب الشيخ سيدي الحسن مع أخيه الشيخ سليمان ويحاول في قضاء الحاجة منه برفق وبنفس ما أهلك الله اللص أطلقت النساء خدسم الشيخ سيدي محمد الهواري وردوا المال على من انتمى إلى الشيخ إذ تيقنوا أن هلم يهلمه الله إلا بسبب الشيخ وكانت أمه تصيح عليه قبل أن يهلكه الله وتحذره من إغضاب الشيخ وكانت أمه تصيح عليه قبل أن يهلكه الله وتحذره من إغضاب الشيخ والهلاك بسببه فلم يلتفت إلى كلامها ولا إلى غيرها ممن يحذره من الشيخ لما سبق عليه من الشقاء والعياذ بالله من إذاية أوليائه والتعرض لاضفائه"¹.

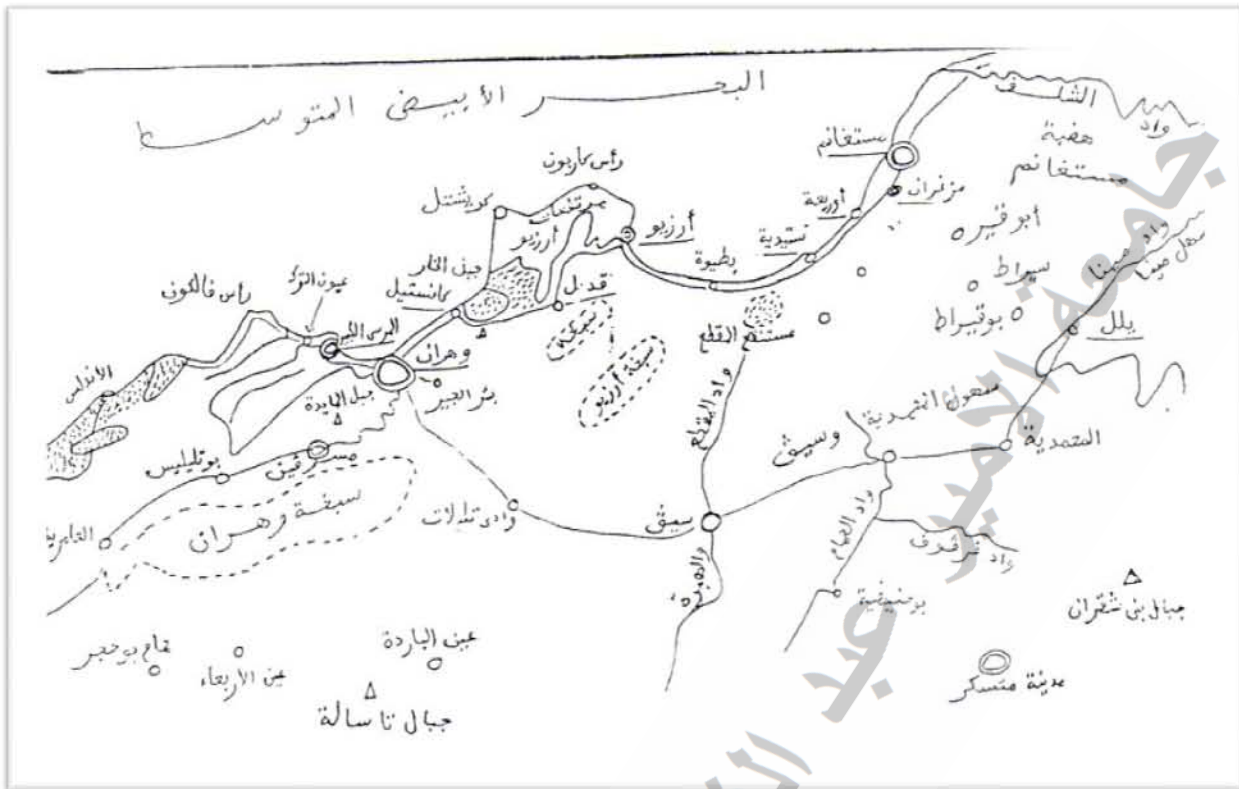
1- ابن مريم ؛ نفس المصدر ، ص ، ص232 ، 233 .

الملحق رقم 07 : مدينة وهران والطريق الجنوبي الغربي.



خريطة مأخوذة من كتاب لصالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 157.

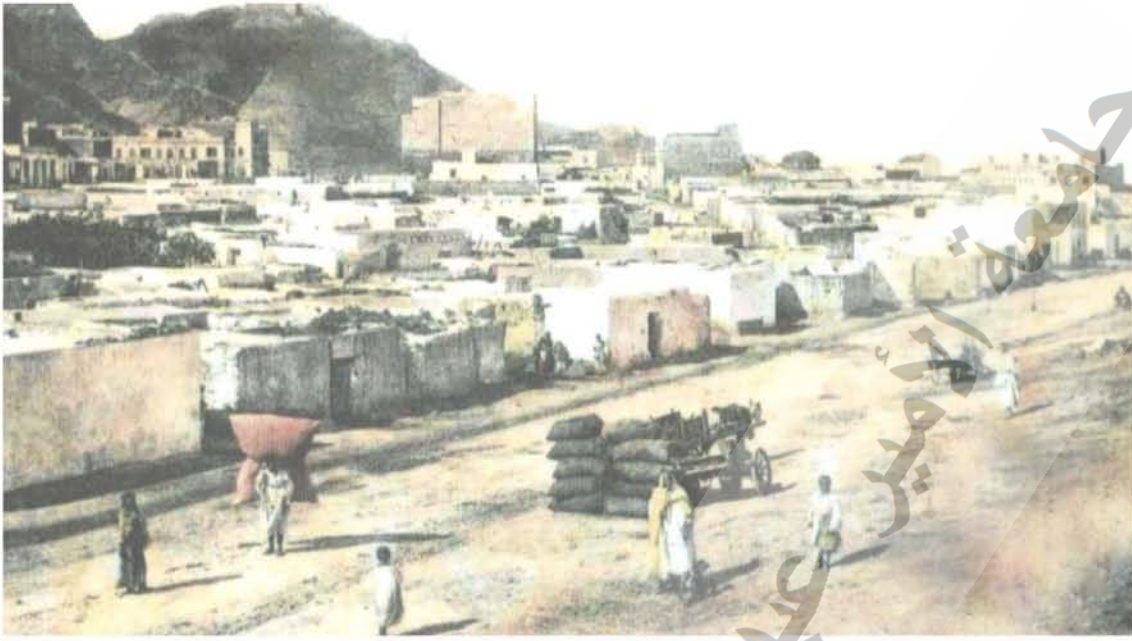
الملحق رقم 08 : خريطة المنطقة الوهرانية قبيل الاحتلال الإسباني



الخريطة أدرجت ضمن تحقيق ودراسة ليحي بوعزيز لكتاب الأغا بن عودة المزاري، المرجع السابق، ص210.

الملحق رقم 09:

منظر للمدينة القديمة (الآن معروفة باسم سيدي الهواري) على سفح جبل مرجاجو ممتدة الى مجرى وادي الرحي الذي يظهر في أسفل الصورة كطريق بعد نضوب مياهه السطحية



الصور ة عبارة عن بطاقة بريدية تعود للعهد الاستعماري في الجزائر

الملحق رقم 10 :

مظاهر الاحتفال بالفروسية في المدينة القديمة وبالضبط « Village Nègre » والمعروف عند العامة

باسم (الطحطاحة)

وهي من العادات الشعبية التي عرفتھا المدينة منذ القدم .



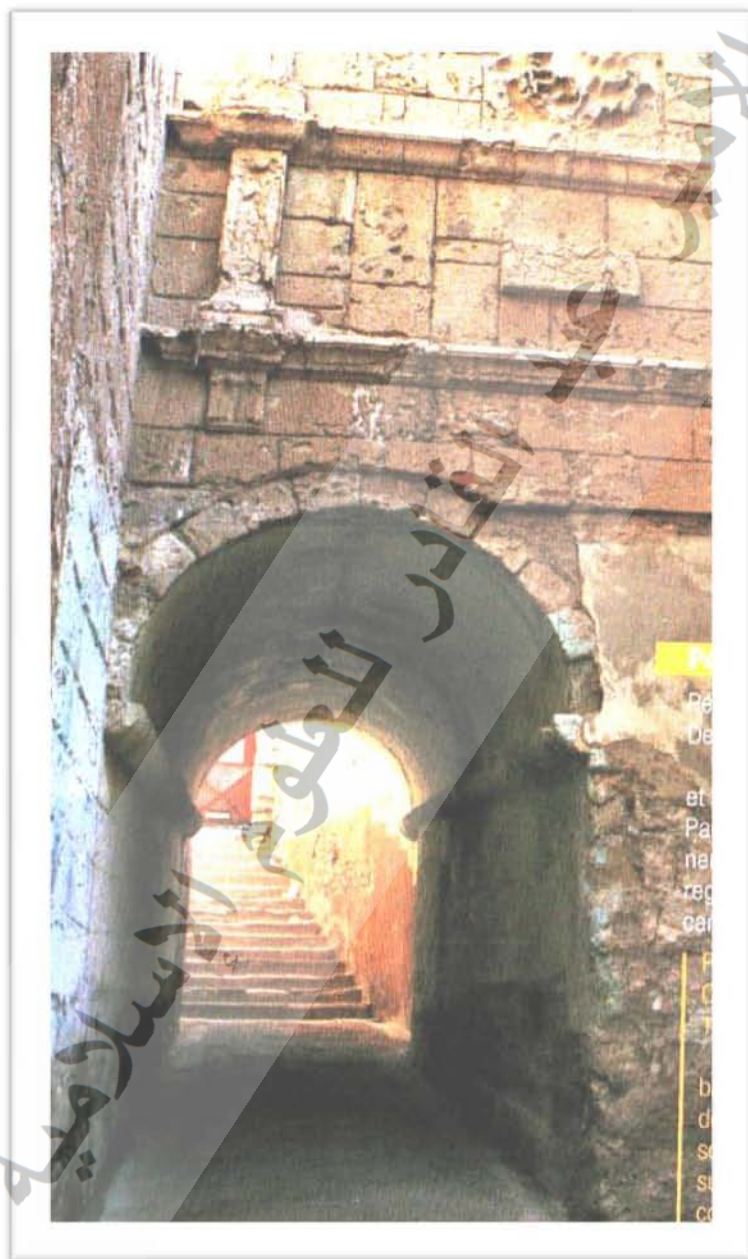
الصورتان عبارة عن بطاقتين بريديتين تعودان للعهد الاستعماري في الجزائر

ملحق رقم: 11

الصور التالية مأخوذة من كتاب : مفتاح وهران (Guide Touristique 2010)

SPOT EDITIONS , ORAN 2010

باب المدينة الاسباني المؤدي الى طريق تلمسان ويحتمل انه موضع باب المدينة الإسلامية القديمة
(باب تلمسان)



الملحق رقم 12 :

منظر لموضع المدينة الإسلامية القديمة وقصبتها ،وهي في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة (في سيدي الهواري حاليا)

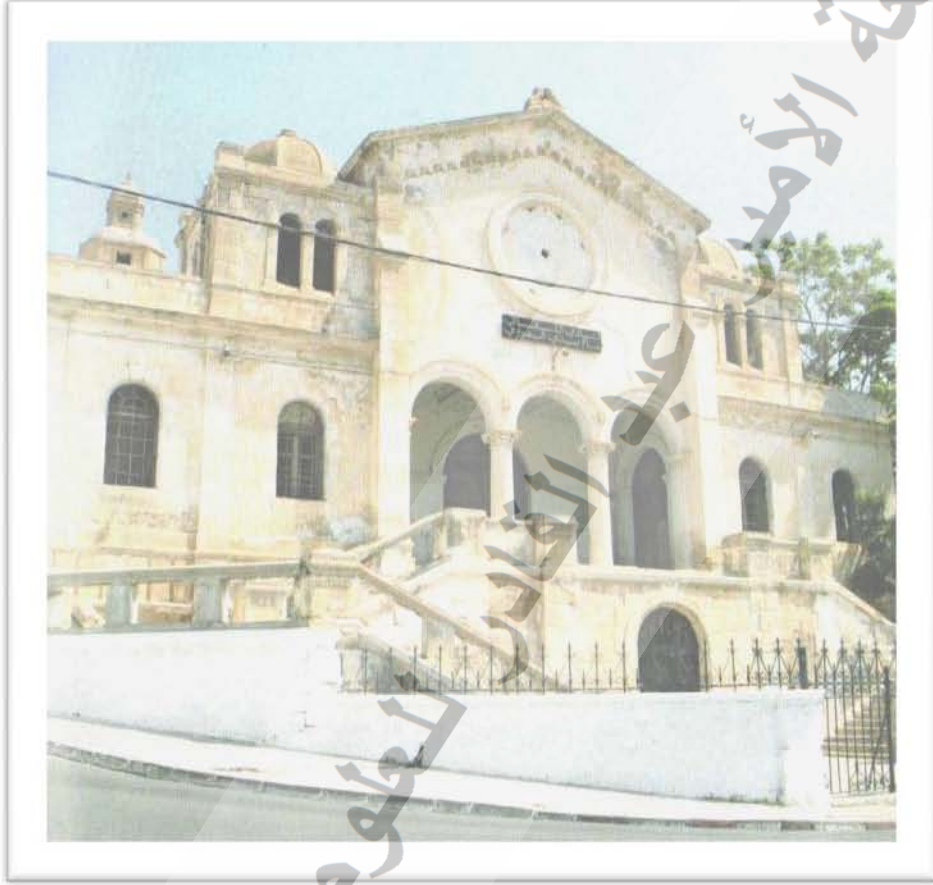


ملحق رقم 13 :



البرج الأحمر الذي يرجع تأسيسه الأول للسلطان المريني أبو الحسن المريني سنة 1347/748

الملحق رقم 14 :



كنيسة تقع شمال غرب المدينة القديمة تعود للفترة الاسبانية، و يرجح أنها احد المسجدين الجامعين اللذين حولهما الأسبان إلى كنيستين بعد احتلال المدينة.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نيابة كلية الآداب لما بعد التدرج و البحث العلمي والعلاقات الخارجية



ملخص مذكرة ماجستير

مدينة وهران خلال العصر الوسيط (290 - 915 هـ / 902 - 1509م)

دراسة مؤرخة جغرافية . التخصص : المدينة و الحياة الحضرية في الغرب الإسلامي .

للمطالعة : وردة شرقي .

نوقشت في رحاب جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بتاريخ 16 جمادى الأولى 1435 هـ / 18 مارس 2014 .

هدد المذكرة أمام اللجنة العلمية المتكونة من الأساتذة :

- | | |
|--------------------------|---------------------------------|
| - أ.د. عبد العزيز فيلالي | جامعة منتوري -2- مشرفا ومقررا. |
| - أ.د. علاوة عمارة | جامعة الأمير عبد القادر رئيسا . |
| - أ.د. محمد فرقاني | جامعة الأمير عبد القادر عضوا . |
| - د. مفتاح خليفات | جامعة المسيلة عضوا . |

وبعد المناقشة منحت اللجنة مذكرة الماجستير في التخصص المدينة و الحياة الحضرية في الغرب الإسلامي، المذكورة أعلاه ، علامة 15من 20 بتقدير حسن.

عرض الملخص :

يتكون البحث من أربعة محاور رئيسية كل محور يركز على أفكار محددة تلمس جوانب مختلفة من حياة مدينة وهران، وذلك طيلة الفترة الوسيطة الممتدة من 290 هـ إلى 915 هـ/ ومن 902 م إلى 1509م.

المحور الأول: يتضمن معلومات تاريخية عن وهران أبرزتها الآثار الدالة على مختلف الحضارات القديمة من ما قبل التاريخ إلى الحضارة الفينيقية/بونية ثم الرومانية كما وجدت آثار استقرار قبائل نفزة وبني مسفن في وهران ومما ساهم في ازدهارها بعد زوال السيطرة الرومانية ، وبعد انفتاح الإسلامى ببلاد المغرب برزت حضارة إسلامية متنامية الأضراف ازدهرت بآزدهار شبكة تمتد في العدوتين . وعن نشأة مدينة وهران فهي ترجع إلى الاتفاق الحاصل بين إرادة سياسة للأمويين في الانتش مع القبائل المحلية (نفزة وبني مسفن) وتكثيف السلطة الأموية كل من محمد بن أبي عون ومحمد بن عتيق ومجموعة من التجار الأندلسيين في تأسيس المدينة وكان ذلك سنة 290هـ/902م، ويظهر الصراع الحاد بين الأمويين في الأندلس وأشبعة في المغرب واستغلالهم لقيال العدو اشغريية ومندتها في هذا الصراع تعرضت وهران إلى التدمير واشرق مرتين وكان ذلك في ظرف وجيز الأول في 297هـ/909م والثاني 343هـ/954م، وقد اكتسبت المدينة من خلال هذا الصراع تجربة بحيث أصبحت تحمي وجودها بدخول في ولاه السلطة الغالبة وتغير ولائها بتغير موازين القوى في المنطقة، وتتفق جل المصادر أن مدينة

وهران استفادت من الفترة المرابطية أواخر ق5هـ/11م إلى منتصف (ق6هـ/12م) ثم الموحدية (ق6هـ/12م) فبعد استغلال إمكانياتها خاصة صناعة السفن ساهمت في دعم الأسطول المرابطي والموحدي ، الموجه للجهاد و إخماد الفتن في الأندلس .وفي (ق7هـ/13م) دخلت وهران في حكم الزيانيين، فتأثرت بالاضطرابات والتدخلات المرينية والحفصية نتيجة للصراع بين مختلف القوى الموجودة في المنطقة، ورغم عدم استقرار المدينة إلا أنها استفادت من زيادة تحصينها من القوى التي ضمتها إليها مثل ما قام به أبو الحسن المريني وبناءه للبرج الأحمر وبرج المرسى (748هـ/1347م)، ومدينة وهران اعتنى بها كثيرا الزيانيون وأبقوها تحت نظرهم وسيطرتهم طيلة فترة حكمهم. لتعرض المدينة إلى نكبة أولى باحتلال الأسبان للمرسى الكبير سنة 910هـ/1504م ثم النكبة الثانية بسقوطها في يد الأسبان سنة (915هـ/1509م) كنتيجة لخيانة اليهود .

المحور الثاني: يبرز إمكانيات وهران الاقتصادية من خلال الازدهار الفلاحي وانتشار العديد من الحرف والصناعات ،وعلاقات تجارية متميزة خاصة مع الأندلس ،وتموينه بحاجياته الغذائية .

المحور الثالث: يتضمن دراسة المجتمع الوهراني بتركيبته المتعددة من قبائل نفزة وبني مسقن، والمورسكيين، الجنوبيين، والأعراب.. الخ . وتميز المجتمع الوهراني بصفات حميدة من كرم، وحب الغرباء ، ومن التقاليد والعادات المنتشرة في المدينة، إحياء المناسبات الدينية مثل إحياء ليلة المولد النبوي الشريف، ومن مشاكل المدينة نزوب مياه واد الرحي، وانتشار أمراض اجتماعية مثل الطلاق والومس ،وذلك بعد توافد الكثير من المهاجرين الأندلسيين وسكان البادية حاملين معهم أمراض جسدية وفساد الأخلاق مما أثر على سكان المدينة . ومن شواهد الحياة الدينية بروز الشيوخ المتصوفة ونقصد بالخصوص الشيخ الهواري (ت843هـ/1439م) وإبراهيم التازي (ت866هـ/1462م) ودروهما في الحياة الاجتماعية في وهران.

المحور الرابع: ويتضمن الموضع المبدئي لنواة المدينة، تخطيطها وتوسعاتها مع إبراز الخصائص الفريدة للموضع المتنوع من جبل هيدور غربا وواد الرحي شرقا متخذة المدينة شكل مثلث، كما تميز المرسى الكبير بشساعة واتساع وحماية من الرياح القوية هذا زاد من أهمية المدينة. و تنوعت منشآت مدينة وهران من منشآت دفاعية سياسية مثل السور، الأبراج والقصبة، ومنشآت اقتصادية من أسواق وفتادق، م منشآت أخرى مثل الملاجئ والحمامات وغيرها.

RESUME DU MEMORANDUM

Intitulée : " la ville d'Oran au moyen âge (290-915 Ah / 902-1509Ad) "
" Etude Monogreveh"

Option: la ville et la vie urbaine dans l'occident musulman.

Soutenu le : 18 mars 2014

I. Le premier axe:

Comprend des informations historiques sur Oran, les plus essentielles, les vestiges des différentes civilisations préhistorique, jusqu'à la civilisation phénicienne, punique et la Roumanie. Il est à constater également, les traces de la stabilité des tribus Nefsa et Beni -Mesrghine à Oran, et leurs pratiques de l'agriculture après la défaite des Roumain, et après la conquête islamique du Maghreb, une civilisation islamique est apparue, elle a prospéré d'une façon tentaculaire.

L'apparition de la ville d'Oran, est due à l'accord conclu entre une volonté politique des Omeyyades en Andalousie avec les tribus locales (Nefsa et Beni -Mesrghine). et l'autorité des Omeyyades à charge Mohamed ibn Abi Aoun et Mohamed Ben Abdoun et un groupe de commerçants Andalous et que c'était pour instaurer la ville en 290 Ah / 902 Ad.

Puis, avec le conflit entre les Omeyyades en Andalousie et les chiites au Maghreb et leurs exploitations des tribus magrébines et leurs villes, Oran a subi des actes de destruction deux fois successives pendant un laps de temps très court : le premier en 297 Ah/ 909 Ad, et le deuxième en 343 Ah / 954 Ad.

Après ce conflit la ville d'Oran a acquis une expérience pour protéger son existence en devenant une alliée à l'autorité dominante ; et changer sa position en fonction des forces existantes dans la région, et la majorité des sources documentaires confirment que la ville d'Oran a bénéficié de la période de almoravide afin du 5^{ème} siècle Ah / 11^{ème} siècle Ad jusqu'à la moitié du 6^{ème} siècle Ah / 12^{ème} siècle Ad. Puis la période almohade (6^{ème} siècle Ah / 12^{ème} siècle Ad).

Après l'exploitation de ses capacités industrielles potentielles, et surtout la fabrication navale, elle a contribué au soutien de la flotte de Almurbati et almohade, destinée à apaiser les conflits en Andalousie.

En (7^{ème} siècle Ah / 13^{ème} siècle Ad.) Oran a été sous le règne des Azayanianes, et elle a subi des troubles et des interventions des mérinides et des hafsidés comme conséquence du conflit entre les différentes forces dans la région. malgré l'instabilité de la ville, Oran a bénéficié de l'augmentation de fortifier les pouvoirs qui lui sont annexés, comme ce qu'il avait fait Abouelhassen El Marini avec la construction de la tour rouge et la Tour d'El Marsa en (748 AH / 1347 AD).

la ville d'Oran, était la préoccupation majeure de beaucoup d'Azayanianes, elle était sous leur autorité durant la période de leur règne, jusqu'à ce qu'elle a subi la première défaite avec l'occupation des espagnols d'El Marsa El Kebir en 910 Ah / 1504 Ad. puis la deuxième fois avec l'occupation par les espagnols en (915 Ah / 1509 Ad). après 5 ans d'occupation d'El Marsa El-kebir, suite de la trahison des Juifs.

II. Le deuxième axe :

Expose les capacités économiques de la ville d'Oran à travers la prospérité agricoles et la propagation de nombreuses artisanat et industries, et des relations commerciales très distinguées surtout avec L'Andalousie et son Approvisionnement besoin alimentaire

III. Le troisième Axe:

comprend une étude de la société d'Oran (Wahrani) et sa composition multiples par les tribus de Nefsa et Beni -Mesrghine, et d'autres éléments , tel que les Maures ,les Génois ,... etc ,

la société d'Oran (Wahrani) se distingué par plusieurs qualités tel que la générosité , l'amour des étrangers , et les traditions et les coutumes répandues dans la ville , la célébration des fêtes religieuse comme l'anniversaire du prophète , et parmi les problèmes de la ville d'Oran. .d'épuisement de l'eau Wade al Eroha , et la propagation des maladies sociaux comme le divorce, après l'arrivée de nombreux immigrants de la ville Andalous et les habitant des campagnes , apportant avec eux des maladies organique , et des fléaux touchants les valeurs morales et affectant toute la population de la ville .

parmi les preuves de la vie religieuse de l'apparition des soufis en particulier Cheikh Houa ri (843 Ah / 1439 Ad) et Ibrahim Tazi (866 Ah/ 1462 Ah) et leurs rôle dans la vie sociale à Oran .

IV. Le quatrième axe :

comprend La position initial du noyau de la ville d'Oran , son plan d'extension , et les caractéristiques uniques de sa postions , la montagne hidour à l'ouest et oued Erroha à l'est donnant la forme d' un triangle al ville .

El marsa El kebir , se caractérise par sa vaste étendu , et sa protection contre les vents forts ce qui a accru l'importance de la ville , la ville de Oran à une diverse infrastructure de défense politique telle que les muraille ; les tours ; la casbah et des infrastructures économique comme les marches , les hôtels et d'autres infrastructures tel que les camps et les bains maures .

مصادر ومراجع البحث

مصادر ومراجع البحث

1. المخطوطات :

- التوجيني. عبد الرحمان:
عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس، المخطوط رقم 3323. عدد الأوراق 155، المكتبة الوطنية الجزائرية "الحامة" مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة .
- الجامعي الفاسي. أبو زيد عبد الرحمان :
فتح وهران ، رقم المخطوط 2521. عدد الأوراق 60 ، المقياس 175x220 ، المكتبة الوطنية الحامة ، الجزائر .
- الزباني. محمد بن يوسف:
دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الناسخ البشير بن قدور محمودي، تاريخ النسخ 1380هـ/1961م، رقم المخطوطات 3324 المكتبة الوطنية الجزائرية الحامة، دائرة الحفظ والمخطوطات عدد الأوراق 124.
- الناصر .محمد أبو راس ت 1823/1238:
شرح الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، الناسخ، الحرشاي، تاريخ النسخ 14 أوت 1886، رقم المخطوط 3182، المكتبة الوطنية الجزائرية -الحامة-، دائرة الحفظ والمخطوطات عدد الأوراق 132 ورقة.

المصادر

- ابن أبي الربيع . شهاب الدين أحمد. ق 9/3:
سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق ، عارف أحمد عبد الغني ، دار كنان للطباعة و النشر و التوزيع ، سنة 1996 .
- ابن أبي بكر الزهري . أبو عبد الله . ت في أواسط ف 12/6 :
كتاب الجغرافية ، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق الناشر ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد مصر .
- ابن أبي زرع . علي الفاسي ق 8/ 14 :
. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ؛ دار المنصور للطباعة والورقة - الرباط - سنة 1973 .
. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة و الورقة (الرباط) .
- ابن الآبار . محمد بن عبد الله القضاءي ت 1259/658 :
التكملة لكتاب الصلة (القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ قدارة زيد في مجريط سنة 1886.1889) ، عني بطبعه وتعليق حواشيه ، الشيخان الفريد بال ، وابن أبي شنب طبع بالمطبعة الشرقية للأخوين فونتانا .
- ابن الأثير . عز الدين أبي الحسن بن عبد الكريم الجزري الشيباني (ت 1232/630) :
الكامل في التاريخ ، اعتنى به محمد العرب ، المكتبة العصرية (صيدا) .
- ابن الأحمر . اسماعيل ، ت 1404/807 :
. روضة النسر في دولة بني مرين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط 3 . المطبعة الملكية (الرباط) ، سنة 1423هـ 2003م .
. بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة و الورقة ، الرباط .
- ابن الخطيب . لسان الدين الغرناطي ت 1374/776 :

- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام تحقيق و تعليق ، أحمد مختار العبادي ، واحمد إبراهيم الكتاني ، نشر و توزيع ، دار الكتاب (الدار البيضاء) سنة 1964م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، حققه و قدم له ، محمد عبد الله عنان ، المجلد الأول ، دار المعارف بمصر .
- ابن الرامي البناء . أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللخمي . ت. منتصف القرن 14/8 :
- الإعلان بأحكام البنيان ، تحقيق فريد بن سليمان ، مركز النشر الجامعي ، سنة 1999.
- ابن الصباح . عبد الله ، القرن 14/8 :
- أنساب الأخبار ، وتذكرة الأخيار ، هذبها وأصلح خللها وعلق حواشيها ، محمد بنشريفه ، دار أبي فراق للطباعة والنشر ، الرباط ، سنة 2008.
- ابن العربي . أبو بكر . ت. 1149/543 :
- كتاب شواهد الجلة ، دراسة وتحقيق ، محمد يعلى ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية (الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي).
- ابن القطان المراكشي . أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي . ت. ق. 13/7 :
- نظم الجمان (لترتيب ما سلف من أخبار الزمان) ، درسه و قدم له و حققه ، محمود علي المكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، سنة 1990.
- ابن بشكوال . أبو القاسم خلف بن عبد الملك :
- كتاب الصلة (في تاريخ علماء الأندلس) ، اعتنى به و وضع فهرسه صلاح الدين الهواري ، المجلد الأول ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، سنة 1423هـ/2003م.
- ابن حوقل . أبو القاسم النصيبي ت 977/367 :
- صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (لبنان). 1992.
- ابن خلدون . أبو زكريا يحيى بن محمد الحضرمي ت 1378/780 :
- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تقديم وتحقيق و تعليق : الدكتور عبد الحميد حاجيات ، ج 1 ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، سنة 1400هـ/1980م .

- ابن خلدون. أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي ت 1406/808:
تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدأ ز الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، منشورات محمد علي بيضون (دار الكتب العلمية) ، بيروت ، سنة 1413هـ 1992م.
المقدمة ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، سنة 2005/1426.
ابن خلكان:
وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، المجلد الرابع ، دار صادر (بيروت).
ابن سعيد المغربي:
المغرب في حلى المغرب ، حققه وعلق عليه ، شوقي ضيف ج 2. دار المعارف ، مصر.
● ابن صاحب الصلاة. عبد الملك ت 594 / 1198م:
تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بان جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ؛ المستخرجة من أكسفورد ؛ عبد الهادي التازي السفر الثاني دار الأندلس ، للطباعة والنشر (1313هـ - 1964م).
● ابن سعد . محمد بن سعيد الأندلسي التلمساني (ت 1495/901) :
روضة النسرين في التعريف بالأشيلخ الأربعة المتأخرين ، تحقيق يحيى بوعزيز ، المؤسسة الوطنية للإشهار ، الجزائر ، سنة 2004.
● ابن عبد الله الجذامي المالقي النباهي. ابو الحسن علي. ت 14/8:
تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفنيا ن ، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه الدكتور صلاح الدين الهوا ري ، المكتبة العصرية صيدا (بيروت) سنة 1426هـ-2006م.
● ابن عبد الله الغبريني . ابو العباس أحمد بن أحمد (ت 1304 / 704):
عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، الطبعة الثعالبية ، مكتبة الجزائر المحمية ، سنة 1910/1328.

- ابن عبد الملك (عبد الرحمان بن عبد الله) :
- فتوح أفريقية و الأندلس (257.187هـ/871.803م) دار الكتاب اللبناني (بيروت).
- ابن عذاري المراكشي. ق 14/8:
- البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق و مراجعة إحسان عباس ، دار الثقافة.
- ابن عميرة الضبي. أبو جعفر أحمد بن يحيى الحميدي . ت 1203/599 :
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ذيل لكتاب جذوة المقتبس للحميدي)، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صدا- بيروت، سنة (1426هـ - 2005م).
- ابن فضل الله العمري. شهاب الدين احمد بن يحيى ت 1348/ 749 :
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،السفر الرابع ،يصدره فؤاد سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا ،ايكاردنو يياور ،معهد تاريخ العلوم العربية و الإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ،ألمانيا الاتحادية ،سنة (1408هـ /1988م).
- ابن قنفذ. أبو العباس احمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني. ت 1418/ 821 :
- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ،تقديم و تحقيق ،محمد الشاذلي النيفر ،عبد المجيد تركي الدار التونسية للنشر ،سنة 1968.
- ابن مرزوق .أبو عبد الله محمد التلمساني . ت 1379/781:
- المناقب المرزوقية ،دراسة و تحقيق ،سلوى الزاهري ، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1429هـ/2008.
- ابن منظور .محمد بن مكرم ت 1311/711:
- لسان العرب ،دار صادر، بيروت 1388/1968.
- ابن مريم .محمد بن محمد المليتي التلمساني ق 17/11:
- البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ،تحقيق محمد بن أبي شنب ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1986.
- ابن موسى الأندلسي. أبو الحسن علي ت 1286/ 685 :

الغصون اليناعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق إبراهيم الاياري ، ط 2. دار المعارف بمصر .

• الادريسي . أبو عبد الله الشريف . ت 1164/560 :

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تحقيق اسماعيل العربي ، نشر الجزء الخاص بالقارة الافريقية و جزيرة الأندلس ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، سنة 1983 .

• أبو الفداء . عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر . ت 1331/732 :

تقوم البلدان ، دار صادر ، بيروت .

• التنبكي أحمد بابا ت 1626/1036 :

كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، دراسة وتحقيق ؛ الأستاذ محمد مصلح ج 1 فضالة ، المحمدية (المغرب) ، سنة 1421 هـ .

• التنسي . محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التلمساني (ت 1493/899) :

نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق محمود بوعياذ ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1405 هـ / 1985 .

• البكري . أبو عبيد ت سنة 1094/487 :

المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك يطلب من مكتبة المثنى ببغداد .

• البلاذري . أحمد بن يحيى بن جابر . ت 892/279 :

كتاب فتوح البلدان ، نشره و وضع ملاحقه و فهارسه صلاح الدين المجد ، القسم الاول مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

• الحفناوي . أبو القاسم :

• تعريف الخلف برجال السلف ، مؤسسة الرسالة ، المكتبة العتيقة (تونس) . سنة

1402 هـ / 1982 م .

• الحموي . أبو عبد الله ياقوت الرومي ت 1228/626 :

معجم البلدان ، المجلد الخامس 05 ، دار صادر ، بيروت . 1397 هـ / 1977 .

• الحميري محمد بن عبد المنعم القرن 14/8 :

- الروض المعطار في خبر الاقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، طبع على مطابع هيدلبرغ، بيروت 1984.
- العبدري. محمد بن محمد البلسني. ق. 13/7:
- الرحلة المغربية، تحقيق، احمد بن جدو، نشر كلية الآداب، الجزائر.
- العقباني. ابو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني 1455/860:
- كتاب تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر تحقيق علي الشنوفي من Bulletin d'études orientales. العدد 19. 1965، 1966.
- الفرستائي النفوسي (أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر) (ت 504هـ 1110م):
- القسم و أصول الأرضين، كتاب في فقه العمارة الاسلامية، تحقيق و تعليق و تقديم بكر بن محمد الشيخ بلحاج، محمد بن صالح ناصر، جمعية التراث، القرارة (غرداية)، سنة 1418هـ 1997م.
- القاضي عياض. ت. 1149/544 و ولده محمد :
- مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام، تقديم و تحقيق و تعليق، محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، ط 2. بيروت، سنة 1997.
- القلصادي. أبو الحسن علي البسطي ت 1486/891:
- رحلة القلصادي، دراسة و تحقيق محمد ابو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع تونس، سنة 1978.
- القلقشندي. أبو العباس أحمد بن علي ت 1418/821:
- صبح الأعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر القاهرة.
- الكرسيفي السوسي. عمر بن عبد العزيز. ت. 1800/1214 :
- المؤلفات الفقهية الكاملة (للعامة الكرسيفي السوسي)، جمع، و تحقيق عمر أفا منشورات وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، سنة 1427هـ/2006م
- المازوني (أبو زكريا يحيى بن موسى المغيلي التلمساني ت 1429/883):

الدرر المكنونة في نوازل مازونة ،تحقيق حساني مختار ،نشر مخبر المخطوطات جامعة الجزائر ،سنة 2004م.

● المراكشي .عبد الواحد ت 1346/647 :

المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين)
ضبطه وصححه وعلق حواشيه وانشأ مقدمته ؛ محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ،
مطبعة الاستقامة بالقاهرة 1368هـ/1949م.

● المقدسي . أبو عبد الله محمد بن احمد محمد بن أحمد بن أبي بكر .ت 990/380 :

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، علق عليه ووضع حواشيه ،محمد أمين الضناوي ، دار
الكتب العلمية،بيروت،سنة 2003/1424.

● المقرئ .أبو العباس أحمد التلمساني ت 1631/1041 :

نفتح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق احسان عباس ،دار صادر ،بيروت
1388هـ/1968.

● الوزان الفاسي .الحسن بن محمد ت 1559/957 :

وصف إفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية ، محمد حجي ، محمد الأخضر، ط2، ج1، دار
الغرب الإسلامي بيروت (لبنان) سنة 1983م .

● الونشريسي .أبو العباس أحمد ابن يحيى ت بفاس سنة 1508/914 :

. المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب ، أخرجه جماعة
من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، ج2 . نشر وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية للمملكة المغربية (1401هـ /1981م).

. وفيات الونشريسي ،تحقيق محمد بن يوسف القاضي ،الناشر شركة نوابغ الفكر القاهرة
،سنة 2009.

رسائل موحدية تحقيق ودارسة غراوي(أحمد)، مجموعة جديدة ، ج1 ، جامعة ابنوظفيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة ، سلسلة نصوص ووثائق، رقم 02 .

- رحلة ابن خلدون (1352-1401)، عارضها بأصولها وعلق حواشيها بن تاويت الطنجي(محمد)، حررها وقدم لها، نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع - بيروت سنة 2003.
- مجهول. كاتب ق 12/6:
- الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة، مصر وبلاد المغرب). (ق 6هـ - 12م) نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد. وزارة الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- مجهول. مؤلف:
- مفاخر البربر، دراسة و تحقيق، عبد القادر بوباية، دار اقرأ للطباعة سنة 2001.
- مجهول. مؤلف، يرجح أنه من القرن 14/8:
- تاريخ الأندلس، دراسة و تحقيق، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان)، سنة 2007. ص 199
- مقيدش. محمود:
- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الرواري، محمود محفوظ، المجلد الأول، دار الغرب الإسلامي، سنة 1988.
- *Abdel basit b, halil, « deux bécits de voyage inédits en Afrique du nord aux xve siècle, Et Aorne thèse complémentaire pour le Dactoratès-let très, Robert Bru schvig.paris ,lavose editeurs,1936,*

= المراجع:

- ابن عميرة .محمد:
دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، سنة 1984.
- ابن قرية .صالح و آخرون:
تاريخ الجزائر الوسيط من خلال المصادر (سلسلة المشاريع الوطنية للبحث)، طبعة خاصة
وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة
نوفمبر 1954م. سنة 2007م.
- أبو راس الناصر .محمد بن أحمد :
عجائب الأسفار و لطائف الأخبار ،تقديم و تحقيق المخطوط من طرف ،محمد غانم
،مركز البحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية صدر من منشورات، ORASC.
- احمد .مصطفى بوضيف :
القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين و بني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية -
الجزائر ، 1982م .
- الجنتحاني.الحبيب :
دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي ،دار الطليعة
،بيروت (لبنان)، كانون الثاني (يناير) 1980.
- المجتمع العربي الإسلامي ،عالم المعرفة ،صدرت السلسلة في يناير 1980. بإشراف احمد
مشاري العدواني ،الكويت ،سنة 1990.
- الزباني .أبو القاسم :
الترجمة الكبرى (في أخبار المعمور برا وبحرا)، حققه وعلق عليه، عبد الكريم الفيلاي سنة
1967 .
- السبتي .عبد الأحد ، و فرحات .حليمة :
المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي.
- السويسي . محمد :

أنماط العمران البشري بإفريقية وجزيرة المغرب حتى العهد الحفصي مركز النشر الجامعي،
سنة 2001 .

● الشقراني .أحمد بن عبد الرحمن الراشدي :

القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط ،تحقيق و تقديم ناصر الدين
سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان سنة 1991

● الطمار .محمد بن عمرو :

. تلمسان عبر العصور (دورها في سياسة و حضارة الجزائر)،المؤسسة الوطنية للكتاب
(الجزائر) .

. المغرب الاوسط في ظل صنهاجة ،ديوان المطبوعات الجامعية،سنة 2010.

● العبودي .جاسم :

ناظر الاحباس في الاندلس والمغرب في القرنين الثامن و التاسع الهجريين حسب المعيار
المغرب للونشريسي الاندلس قرون من التقلبات و العطاءات ،مطبوعات مكتبة الملك عبد
العزیز العامة ،القسم الخامس ،سنة 1996 .

● العروي .عبد الله :

محمل تاريخ المغرب، ط3، الناشر المركز الثقافي العربي، سنة1996.

● الأغا المزاربي . بن عودة :

طلوع سعد السعود في أخبار وهران ز الجزائر و اسبانيا وفرنسا ،تحقيق و دراسة يحيى
بوعزيز ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، ط 2. سنة 1990 .

● البادسي :

المقصد الشريف و المنزاع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ،تحقيق سعيد اعراب ط2،
المطبعة الملكية ،الرباط ،سنة 1414هـ/1993م:

● المدني.أحمد التوفيق:

حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1792.1492م.دار البصائر ،سنة 2007م.

- القاضي. شوكت :
- تاريخ العمارة-2- (عمارة العصور الإسلامية)، سنة (2006-2007).
- الملي. محمد مبارك:
- تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج 2 . دار الغرب الإسلامي (بيروت).
- الناصري. محمد أبو راس :
- فتح الاله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته (معنون كذلك بحياة أبي راس الذاتية و العلمية)، حققه وضبطه ،وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة 1990 ,
- الهادي . حارش محمد :
- التطور السياسي والاقتصادي في نويميدا (منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46 ق م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- الوافي. إبراهيم :
- التفسير وعلوم القرآن، السجل العلمي
- بعيزيق . صالح :
- بجاية في العهد الحفصي (دراسة اقتصادية و اجتماعية)، منشورات كلية الآداب جامعة تونس، سنة 2006.
- بلغيث. محمد الامين:
- دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار التنوير للنشر و التوزيع ، سنة 1426هـ 2006.
- بنمليح . عبد الاله :
- الرق في بلاد المغرب والأندلس ، مؤسسة الانتشار العربي ، سنة 2004
- بنميرة . عمر :
- الثقافة و الفقه والمجتمع (نماذج من المغرب الوسيط) ، الناشر جذور للنشر.
- بوتشيش. ابراهيم:
- حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت (لبنان)، سنة 2006.

- بوعزيز. يحيى:
مدينة وهران عبر التاريخ ، ط2 . دار الغرب الإسلامي للنشر و التوزيع.
- بونابي. الطاهر :
التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين /12 و13 الميلاديين ، دار الهدى للطباعة والنشر.
- تركي. عبد المجيد :
قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي (نصوص و دراسات)، دار الغرب الإسلامي ، بيروت (لبنان) سنة 1409هـ 1988م.
- حجازي . عبد الرحمان عثمان :
المذهب التبروي عند ابن سحنون، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة 1416
هـ/ 1995 م
- زروق . محمد :
الأندلسيون و هجراتهم في بلاد المغرب خلال القرنين 16.17م. ط3. إفريقيا الشرق سنة 1998م.
- زغروت. فتحي:
الجيوش الإسلامية و حركة التغيير.
- سالم السيد. عبد العزيز:
المغرب الكبير. 2. العصر الإسلامي (تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، سنة 1981م.
- سالم . سحر عبد العزيز :
أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، سنة 2006.
- سعد . فاروق :
مع الفارابي و المدن الفاضلة، دار الشروق ، سنة 1402هـ/ 1982م.
- سويسبي . محمد :

أنماط العمران البشري بأفريقية و جزيرة المغرب حتى العهد الحفصي ،مركز النشر الجامعي ،سنة 2001م.

● شحاته .عطا علي محمد :

اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين و الوطاسيين ،دار الكلمة للطباعة والنشر و التوزيع ،دمشق ،سنة 1999.

● شرحبيلي.محمد بن الحسن :

تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،سنة 1421هـ 2000م.

● عثمان .محمد عبد الستار :

المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

● عقاب .محمد الطيب :

لمحات عن العمارة و الفنون الاسلامية ،الناشر مكتبة زهراء الشرق القاهرة ،سنة 2002م.

● عمار المهاجي .قدور ابراهيم :

الشيخ ابراهيم التازي الوهراني ،حقوق الطبع محفوظة للمؤلف (1426هـ 2005م).

● عمارة.علاوة :

دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الاسلامي ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

● عمر موسى .عز الدين :

النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ،دار الغرب

الإسلامي ،بيروت ،سنة 2003.

● عقون .محمد العربي :

الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر سنة

2008.

● غانم.محمد الصغير :

- . معالم التواجد الفنيقي . البوني في الجزائر ،دار الهدى ،الجزائر .
- مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم ،دار الهدى الجزائر .
- فتحة .محمد :
- النوازل الفقهية و المجتمع ،أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9 الهجري 15.12 ميلادي)، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ،الدار البيضاء سنة 1999.
- فيلاي .عبد العزيز :
- . العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،سنة
- . تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية اجتماعية، ثقافية)، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2002، 1982 .
- . دراسات في تاريخ الجزائر و الغرب الإسلامي ،دار الهدى ،الجزائر ،سنة 2012 .
- لقبال.موسى :
- الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة و تطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي ،دار هومة (الجزائر).
- مجاني .بوبة وغيرها :
- من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي ،منشورات مخبر البحوث و الدراسات في حضارة المغرب الإسلامي ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع (قسنطينة)،سنة 2007.
- حسن.محمد :
- المدينة و البادية بافريقية في العهد الحفصي ،ج1. المجلد 2. تونس،سنة 1999.
- محمود.حسن أحمد و محمود.منى حسن :
- تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة ،دار الفكر العربي ،سنة 1419هـ 1999م.
- مرمول .محمد الصالح:
- السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،سنة 1983م.

- مصطفى .شاكر :
الأندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الاوقاف ، دمشق.
- مقيس .بشير :
مدينة وهران (دراسة في جغرافية العمران ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر سنة 1983.
- مؤنس .حسين :
فتح العرب للمغرب ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة ، سنة 1416/1996.
تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح إلى الغزو الفرنسي ، المجلد الثاني ، ج2. (دول
المرابطين و الموحدين و الحفصيين) ، العصر الحديث للنشر و التوزيع
- موسى .عز الدين عمر :
النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الغرب
الإسلامي ، ط2. سنة 1464هـ 2003م.
- ناجي .عبد الجبار :
دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، سنة
2001.
- يوسف .جودت عبد الكريم :
الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع
الهجريين (109م. ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر) .
العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة 1984م.
- يوسف .جوزيف نسيم :
دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب (في العصور الوسطى) ، دار المعرفة
الجامعية ، سنة 1426هـ 2006 .

مراجع مترجمة :

- أندري جوليان . شارل :

تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي ، والبشير سلامة، النشرة الرابعة، الدار التونسية للنشر، سنة 1983.

● بالباس .ليو بولدو تورس:

المدن الاسبانية الإسلامية، ترجمة من الاسبانية ،اليودورو دي لابينيا ،راجعه نادية محمد جمال الدين ،عبد الله بن إبراهيم العمير ،مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية ،الرياض (العربية السعودية) ،سنة العلاقات بين الأمويين و الفاطميين في الأندلس و الشمال الإفريقي 300هـ-350هـ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ،مصر 1427هـ-2006م 1423هـ-2003م.

● برنشفيك.روبار:

تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م نقله إلى العربية حمادي الساحلي ج 1 ، دار الغرب الإسلامي .

● بروديل:

المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وايجاز، مروان أبي سمرة ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، سنة(1413هـ/1993م) .

● بروفنسال .ليفني:

تاريخ اسبانيا الإسلامية (من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية 711هـ-1031 م .ترجمه إلى الاسبانية ، اميليو جارثيا جومث ،المجلد الثاني ،(الجزء الأول)، ترجمة ،علي عبد الرؤوف البمبي،علي إبراهيم المتوفي ،السيد عبد الظاهر عبد الله ،مراجعة،صلاح فضل ،المجلس الأعلى للثقافة (مصر)،سنة 2002.

● كولان :

الأندلس، لجنة الترجمة من دائرة المعارف الإسلامية ، ابراهيم لخورشيد وغيره ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتب المصري ، ط 1 ، سنة 1980.

● لوبيز .روبرت :

ثورة العصور الوسطى التجارية (950-1350)م، ترجمة وتقديم، محمود أحمد أبو صبرة،
مراجعة صلاح الدين حسن السوري، منشورات ELGA سنة 1997.

● مارسية.جورج :

بلاد المغرب و علاقاتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ،ترجمة عن الفرنسية محمود
عبد الصمد هيكل ،راجعته و استخرج نصوصه مصطفى أبو ضيف احمد توزيع منشأة
المعارف الإسلامية.

● مالتسان .هاينريش فون :

ثلاث سنوات في شمال إفريقيا ،ترجمة أبو عبد العيد دودو ، ج 2. الشركة الوطنية للنشر و
التوزيع ،الجزائر،سنة 1979.

مراجع بلغات أجنبية:

- *Henri Léon fey ; histoire d'Oran (avant ; pendant et après la domination espagnole ; édition dar el- gharb*
- *Bulletins la Société archéologique de Sousse, imprimerie française, Boulevard pichor*
- *Robert tin thon; Histoire d'Oran, Document obtenu à partir du Guide agréé par la municipalité, édition, 1949,1950*
- *Stéphane Gsell; les Monuments Antique de l'Algérie, ouvrage publie sous les auspices du gouvernement Général de l'Algérie, tom 1ére, paris, 1901*
- *Maya Shatzmiller ; L'organisation du travail dans L' Islam médiéval d après les fatwas ; Le cas du mi' ya , Hommages claude cahen , Res Orientale , VI.*
- *Eugene Cruck ; ORAN ET Les Témoins de son passé, récits historiques et anecdotiques avec un plan de la ville , 1956 .*
- *commandant l. demaeght ; géographie comparée de la Maurétanie césarienne correspondant à la province d'Oran.*
- *M. MAHDAD« le pays Orano -Tlemceniel du 6eme siecle, » centre national d'études , majallat-El-Tarikh,ns,Alger,1980*

- Dhina , atallah; les etats de l'occident musulman aux XIII.XIV siècles ,office des publication,universitaire ,Alger

المجلات:

- مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، العدد العاشر ، محرم 1430 ، جانفي ، جامعة الأمير عبد القادر
- مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، سنة 1414 هـ/1993 م. -وهران.
- مجلة الاصاله .
- مجلة الباحث،المطبعة المركزية للجيش ،العدد 03. سنة 1985.
- مجلة الثقافة العدد 91. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،ورشة أحمد زيانا ،الجزائر ،سنة 1406 هـ.
- مقالات متعددة لمجموعة من الأساتذة ، تحت عنوان ،التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور ،أعمال الملتقى الدولي للتاريخ المنظم يومي 24.23.أفريل في جامعة منتوري سنة 2001.
- أشغال الندوة التاريخية المنظمة من 24 إلى 26 فبراير ،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ،المغرب.
- . Revue Africaine,N°02, Décembre 1856.

= الرسائل الجامعية:

- بلغيث .محمد:
- الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين (أطروحة لنيل درجة الدكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي)المجلد الأول ،جامعة الجزائر السنة الدراسية 1424/1423 هـ/2002/2003 م.
- بلهوارى .فاطمة:

النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي
(رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط)، جامعة السانبا (وهران)، السنة الجامعية
(2004-2005).

● عياتي .خوخة:

التعدين القديم في شمال الجزائر (دراسة الأدوات المعدنية المحفوظة في متحف سيرا
والباردو) رسالة لنيل الماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، سنة
2001-2002.

● باقة .رشيد:

نشاط جنوة الصليبي و التجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى الخامس
عشر الميلادي (من السادس إلى التاسع الهجري)، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، كلية
الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الدراسية
2006-2007.

● دكاني .نجيب :

الوجود الاسباني على السواحل الجزائرية ورد الفعل الجزائري خلال القرن السادس عشر
، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 2001/2002.

- NICOLAS CARAYON ; LES PORTS PHENICIENS ET PUNIQUES
Géomorphologie et infrastructure, thèse de doctorat en science de l'antique
archéologie, université Strasbourg, marc bloch u f r des sciences historique.

= قواميس وأطالس و معاجم وموسوعات:

- قاموس الجغرافية القديمة تأليف أحمد زكي بك، المطبعة الكبرى الأميرية، ببلاق، مصر المحمية،
سنة (1317 - 1899)

● أطلس الجزائر و العالم ،دار الهدى ،الجزائر، سنة 2010.

- المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المثري لقالتريهنتس، ط2، ترجمة عن الألمانية
كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية.

- قاموس ألف وواحد مثل وهران (غرب الجزائر). زهرة لباني و آخرون ، دار الأديب.
- موسوعة تاريخ الأندلس . حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1. سنة 1996/1416.

= مواقع الكترونية :

- حبار. مختار: الحضور الصوفي في الجزائر في العهد العثماني (شبكة دهشة)، موسوعة دهشة. .
www.Dahsha.com
- التواتي . بوبكر :الأسطول الفاطمي ، شبكة دهشة.

جامعة الأمير عبد القادر
المفها رس
العلوم الإسلامية

1. فهرس الأعلام :

الأعلام	الصفحات
ابراهيم التازي	ص، 69 107 111 112 117 124 126 136 137 138 139 140 152 172
ابراهيم بن أحمد بن أبي عون	ص، 39
ابراهيم بن تاشفين بن يوسف	ص، 50
ابراهيم بن عبد الملك الكومي	ص، 57
ابن أبي الربيع	ص، 145
ابن أبي زرع الفاسي	ص، 129
ابن الوردي	ص، 110
ابن حوقل	ص، 09 28 29 72 81 94 11 112 153 154 159
ابن خلكان	ص، 39
ابن ذكوان	ص، 45
ابن سعيد موسى الأندلسي	ص، 129 130
ابن صاحب الصلاة	ص، 129
ابن سعد التلمساني	ص، 112 114 117 123 128 133 138 163 167 168
ابن عذاري المراكشي	ص، 10
ابن مريم التلمساني	ص، 65
ابن يوسف الزياتي	ص، 30
أبو البهار بن زيري بن مناد	ص، 43
أبو الحسن المريني	ص، 56 57 58 72 110 152 160
أبو الحسن علي بن قاسم الشهير بالحداد لوهراني	ص، 128

ص، 60	أبو العباس أحمد بن أبي سالم
ص، 104 105 125 132	أبو العباس أحمد بن أبي جمعة الوهراني
ص، 68 92	أبو الفداء
ص، 115	أبو الفضل العقباني التلمساني
ص، 123 127	أبو القاسم عبد الرحمان الوهراني المعروف بابن الخراز
ص، 39	أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني
ص، 62	أشطورا (أسطورا)
ص، 56	أبو تاشفين الأول
ص، 131	أبو تمام الواعظ
ص، 57 58	أبو ثابت الزباني
ص، 50 52	أبو حفص بن يحيى
ص، 56	أبو حمو الأول
ص، 66	أبو حمو الثالث
ص، 130	أبو زكريا بن محمد بن مروان بن جبل الهمداني
ص، 65 109 120	أبو راس الناصري
ص، 55	أبو زكريا الحفصي
ص، 120 134	أبوزيد بن مقلّاش
ص، 127	أبو عبد الله الوهراني محمد بن محرز
ص، 132	أبو عبد الله بن أبي جمعة الوهراني

ص، 87 120 131	أبو عبد الله بن سعيد العقباني التلمساني
ص، 129 130	أبو عبد الله بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي
ص، 61	أبو عبد الله محمد القضار
ص، 36	أبو عبد الله الداعي
ص، 36 37 39	أبو عبيد الله المهدي
ص، 52 129	أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني
ص، 58 109	أبو عنان فارس المتوكل المريني
ص، 131	أبو علي بن يوسف السبني
ص، 66	أبو قلمس الزباني
ص، 126	أبو مدين شعيب
ص، 58	أبو موسى عمران فارس الولادي
ص، 55 56	أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المريني
ص، 129	أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي
ص، 65	أحمد الشقراني
ص، 65	أحمد بابا التنبكتي
ص، 39	أحمد بن محمد بن عبدوس
ص، 133	أحمد بن محمد بن محمد (ابن) جيدة المديوني الوهراني
ص، 123	أحمد بن موسى بن يوسف

ص، 60	أحمد العاقل
ص، 139	أحمد زروق
ص، 30	ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن
ص، 09 73 103 146 155	الادريسي
ص، 09 26 36 38 41 68 85 91 158 153 111 105 94	البكري
ص، 139	الحافظ التنسي
ص، 22 68 73 90 155 160	الحميري
ص، 41	الخير بن محمد بن خزر
ص، 49	البرتيز
ص، 09 61 63 71 84 86 98 166 165 162 143 132 124 123 116	الرحالة عبد الباسط
ص، 127	الزاهد أبو العباس تميم بن محمد التميمي
ص، 139	السنوسي
ص، 09 64 74 75 93 94 153	العبدري
ص، 70	العمري
ص، 51	القائد بن زجو
ص، 57	القائد عبو بن سعيد بن أجانا
ص، 90 91 93 103 131 132	القلصادي
ص، 36	القاضي النعمان
ص، 75 115	المازوني
ص، 50 88 90 159	المقدسي

الملك الاسباني فردناند	ص، 62
المنصور بن أبي عامر	ص، 43 46
النبي موسى (عليه السلام)	ص، 126
الونشريسي	ص، 140 131 104
بروديل	ص، 98 81
بطليموس	ص، 16
بلكين بن زيري	ص، 42
تاشفين بن علي	ص، 166 160 117 89 51 50 49 48
جورج مارسية	ص، 69
جوهر الصقلي	ص، 42
حسن الوزان	ص، 93 74 71 23 163 160 155 147 114 112 110 107 100 97 164
حمامة مظهر (شيخ بني عبد الواد)	ص، 51
خزر بن حفص بن صولات بن وزمار بن صقلاب	ص، 30 29 26
خلوف بن أبي بكر	ص، 43
دواس بن صولات اللهيصي	ص، 37 36
دييقوا سيرا	ص، 161
زيري بن عطية	ص، 44
زيري بن مناد	ص، 43 42
سليمان بن واندين	ص، 52
سليمان الحميدي الوهراني	ص، 132
سيد الناس بن أمير	ص، 51

	الناس (شيخ بني يلومي)
ص، 132	شقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة
ص، 22 26 35 71 85 111 155 158	صاحب الاستبصار
ص، 37 38 41 42 82	عبد الرحمان الناصر
	عبد الرحمان الوغليسي
ص، 127	عبد الرحمن بن خالد البجاني الوهراني
ص، 20 21 24 30 31 34 36 37 38 41 46 49 54 109 115 157 161	عبد الرحمن بن خلدون
ص، 79	عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمذاني الوهراني
ص 53	عبد الله بن جبل
ص، 10 112 113 118 153	عبد الله بن الصباح
ص، 132	عبد الله بن محمد بن علي الجهني الوهراني
ص، 44 46	عبد الله بن ياسين
ص، 48 50 51 52 53 129 166	عبد المؤمن بن علي الموحدي
ص، 53 88 91 92 93 110 129	عبد الواحد المراكشي
ص، 31	عثمان بن عفان (رضي الله عنه)
ص، 51	عطية الخير (من بني توجين)
ص، 128	علي بن عبد الله بن المبارك أبو بكر الوهراني
ص، 139	علي التالوتي

قزال	ص، 05 13 18 22
لسان الدين بن الخطيب	ص، 30
ماسوناس (ماسينا)	ص، 19 20 21
محمد بن أبي حمو	ص، 60
محمد بن أبي عون	ص، 26 27 33 36 37 38 39 40 81
محمد بن خزر	ص، 30 36 37 42
محمد بن عبدون	ص، 26 27 33 39 81
محمد بن عمر الهواري	ص، 105 120 122 124 126 133 134 135 136 137 138 140 172
محمد بن ميمون (قائد الأسطول)	ص، 50
محمد بن يوسف الوراق	ص، 09
مروان بن محمد بن مروان بن جبل الهمداني	ص، 130
مصالة بن حبوس الصنهاجي	ص، 37
منيب بن سليمان المكناسي	ص، 39
موسى بن أبي العافية	ص، 37 38
موسى العبدوسي	ص، 134 138
موسى بن برغوث	ص، 58
موسى بن محمد بن مروان بن جبل الهمداني	ص، 130
ميسور الشيعي	ص، 38
هاينريش مالتسان	ص، 05 163
هنري ليو في	ص، 05 15 18

وزمار بن صقلاب	ص، 24 25
ياقوت الحموي	ص، 84 93 143
يدو بن يعلى بن محمد اليفري	ص، 44
يعلى بن محمد اليفري	ص، 38 40 41 42
يغمراسن بن زيان	ص، 55 103
يحي الهنيبي	ص، 131
يحي بن خلدون	ص، 55 59
يوسف بن تاشفين	ص، 46 47 48

2. فهرس القبائل و الأمم و الشعوب:

الصفحات	القبائل و الأمم والشعوب
ص، 21 25 27 33 34 35 38 103 105 112 147	ازداجة (يزداجة)
ص، 28	الأدارسة
ص، 28	الأغالبة
ص، 26 27 28 32 33 34 35 41 81 82 103 104 105 113 119 149 158 170 171	الأندلسيون
ص، 63 97 98 99 100	الانفرجة (الافرنج)
ص، 28	الأغالبة
ص، 17 23	الافريقيون
ص، 84 108 137 161 162	الاسبان
ص، 151	البنادقة
ص، 56	الثعالبية
ص، 97 98 99 107 164	الجنويون
ص، 19	الجيتول
ص، 55 152 171	الحفصيون
ص، 28 32	الرستميون
ص، 17 18 23	الروم
ص، 57 63 65 105 108 109 114	العرب المالكية، الأعراب
ص، 41 43 44 83	الفاطميون
ص، 14 15 16	الفنقيون
ص، 97	القطالونيون
ص، 109	المحاميد (أهل حداد)
ص، 46 47 171	المرابطون

المصامدة	ص، 25 47
المور	ص، 19
بنو أمية (الأمويون)	ص، 26 28 29 30 31 32 38 42 43 44 82
بنو توجين	ص، 54
بنو راشد	ص، 57
بنو سندم	ص، 49
بنو سويد	ص، 109
بنو عامر	ص، 109
بنو لنت	ص، 107
بنو مرين	ص، 55 56 57 152
بنو مسقن، بنو مشقن، بنو مسكين	ص، 21 23 26 27 33 35 36 103 105 113 147 149
بنو يرنيان	ص، 20
بنو يفرن	ص، 20 21 44
جدالة	ص، 47
حميان	ص، 64 109
ديار هبرة	ص، 71 109
زناتة (الزناتيون)	19 20 24 25 26 29 30 35 36 37 41 42 43 47 49 52 55 170
صدينة	ص، 37
صنهاجة	ص، 42 46 83 170
عبد الواد، بنو زيان	ص، 55 56 57 91 95 152 171
قريش	ص، 31
قوم عريف بن يحيى	ص، 57

قيزة	ص، 65
كتامة	ص، 36
كندة	ص، 109
مغراوة	ص، 20 21 24 25 26 29 30 31 36 37 41 44 46 55 57 105
نفزة	ص، 27 35 103 113 147 149
لمتونة	ص، 44 47 50
هواره	ص، 106

المكان	الصفحات
احساء عقبة	ص، 92
أخميل	ص، 13
أرزاء ، أرزيو	ص، 16
أروبا	ص، 69
أرجكوك	ص، 91
أزميرين	ص، 92
أشكوبرس	ص، 82 90
أشير	ص، 42
افرن	ص، 13
افكان	ص، 41 42 106
أفلندة	ص، 76 98
أندلسيات	ص، 15
الإسكندرية	ص، 91 98
الأندلس	ص، 02 03 15 26 27 28 30 31 37 41 44 46 48 50 65 73 81 82 90 95 96 98 101 103 104 111 133 152 166 170 171
الأوراس	ص، 20
البصرة	ص، 127
البطحاء	ص، 37
البندقية	ص، 164 171
البيرة	ص، 129
الحجاز	ص، 127
السوس الأقصى	ص، 20 37
القلعة	ص، 03

ص ، 57 85 92 93 95 101	القيروان
ص ، 02 03 40 41 42 44 46 95 98 100 152 171	المغرب (الاسلامي)
ص ، 25 46 64 153 154	المغرب الأقصى
ص ، 03 04 05 20 21 24 28 29 30 32 33 36 37 38 46 56 57 58 62 64 77 91 108 132 145 170	المغرب الأوسط
ص ، 16 32 65 66 88 89 95 142 146 151 152 153 155 156 157 158 164 170	المرسى الكبير
ص ، 40 50 59 77 90 95 127 129	المرية
ص ، 03 48 60 91 95 99 100 104 131.	بجاية
ص 104	برشك زوالة
ص ، 99 100	برشلونة
ص ، 92	بسكرة
ص ، 39 40 123	بغداد
ص ، 92 94 95 97 98.	بلاد السودان
ص ، 134	بلاد الشام
ص ، 17 143	بوتليليس
ص ، 16	بورتيس ديفيني
ص ، 16	بورتيس ماغنيس
ص ، 94	تاتانلوت
ص ، 94 107 137	تازا
ص ، 85 88	تانسالمت
ص ، 03 36 37 40 41 42 94 105 110	تاهرت
ص ، 32 33 37 46 77 91 116	تنس
ص ، 24 38 46 50 52 55 58 60 61 66 85 87 92	تلمسان

93 94 95 96 98 100 111 115 118 129 130 131 161 163	
ص، 92	تقودا
ص، 55 64 91 92 95 96 98 100 137 138	تونس
ص، 51	تينملل
ص، 143	جبل أغار
ص، 48	جبل التيطري
ص، 24	جبل مدبولة
ص، 33 34 39 55 85 109 125 126 142 146 147 149 151 158 159 160 161 162 170	جبل هيدور (جبل مرجاجو جبل قيدز)
ص، 91 101 110	جزائر بني مزغنة
ص، 15	جزيرة ايريا
ص، 63	جزيرة حبيبة
ص، 100 164 171	جنوة
ص، 22	جيلفا كلونيا
ص، 142	خليج أرزيو
ص، 128	دمشق
ص، 142	رأس لامون
ص، 47 89 117 151 163 166	رباط صلب الكلب (رباط صلب الفتاح)
ص، 17	روما
ص، 17 18	ريجيا
ص، 16	سانت لو
ص، 37 91 93 98 100 164	سببة

ص، 36 44 95	سجلماسة
ص، 85 88	سوق عبيدون بن سنان الازداجي (جراوة لعزيروا)
ص، 103 110 132	شاطبة
ص، 106	شاطي بني واطيل
ص، 33 37 101	شرشال
ص، 24 43	شلف
ص، 36	طبنة
ص، 21 92 95	طرابلس
ص، 42 91	طنجة
ص، 98	عناية
ص، 106	عيون سي
ص، 20	غدامس
ص، 104 105 125 130	غرناطة
ص، 38 93 94 95 115	فاس
ص، 97	فرنسا
ص، 23 85 88 92 93 94	قصر ابن سنان الازداجي
ص، 106	قصر الفلوس
ص، 100	قطلونية
ص، 14 15	قرطاج
ص، 28 38 39 44 45 82 125	قرطبة
ص، 93	قرية تانيت
ص، 159	قلعة سانتا كروز

قيطون بياضة	ص، 92 94
كناستيل	ص، 142
كهف تروقلديت	ص، 13
كهف الضحاك	ص، 48
كويزا	ص، 16 18
مازونة	ص، 92 104
مالقة	ص، 130
مدينة باديس	ص، 92
مدن بنطيوس	ص، 92
مدينة العلويين	ص، 92
مراكش	ص، 50 92 130
مرتفعات بوصفر	ص، 142
مرسى ءاسلن	ص، 91
مرسى أرزاو	ص، 81
مرسى الماء المدفون	ص، 91
مرسى عين فروج	ص، 91
مرسى قصر الفلوس	ص، 91
مرسى مغيلة	ص، 91
مرسى موسى	ص، 153 154
مرسية	ص، 130
مرسيليا	ص، 97 98
مستغانم	ص، 33 109
مسرخين (مسرخين)	ص، 17 22 23 88 143
مصر	ص، 98 127 138

ص، 112	مكة المشرفة
ص، 37	مكناسة
ص، 92 56	مليانة
ص، 18 16	موريتانيا القيصرية
ص، 101 100	ميورقة
ص، 57 56	ندرومة
ص، 127	نيسابور
ص، 142	هضبات مسيلة
ص، 64 57 56 43	هنين
ص، 79 72 69 38 33	واد الرحي
171 162 161 160 158 151 149 148 115 88	
ص، 94	واد الصفاصف
ص، 69	واد المقطع
ص، 69	واد الهبرة
ص، 69	واد تليلات

فهرس المواضيع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المواضيع

الموضوع.....الصفحة

مقدمة2.

1 -/ الفصل الأول: نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها:
❖ وهران قبل الإسلام :

- التواجد البشري في المنطقة منذ القدم13.
- المدينة الفينيقية و الرومانية14.
- تاريخ القبائل في المنطقة وإشكالية الاستقرار.....19.
- الفتح الإسلامي للمنطقة ورد فعل القبائل التي تستوطنها:
- الفتح الإسلامي للمنطقة23.
- إسلام مغراوة والقبائل الازداجية24.

❖ نشأة المدينة والأحداث القبلية والسياسية التي أثرت فيها:

- النشأة الإسلامية للمدينة26.
- الروايتان26.

- طبيعة الاتفاق الحاصل بين الجماعات المؤسسة للمدينة:

● موضع المجال الحضري الأندلسي و تحمل الجماعة الأندلسية تكاليف

البناء.....32.

● الجماعة الازداجية قاعدة بشرية تمدنية ودفاعية.....34.

➤ الأحداث السياسية والقبلية التي أثرت في المدينة36.

- تأثير الصراع الأموي / الشيعي على المدينة (القاعدة) :

● اضطراب المدينة بسبب الصراع.....36.

● النفوذ الشيعي بأيدي صنهاجية على وهران.....42.

- استقرار المدينة في العهد المرابطي والموحدي:

● العهد المرابطي.....46.

● وهران في ظل الحكم الموحي.....51.

- وهران والحكم الزياني والتدخلات المرينية والحفصية.....54.

- مكانة وهران عند الزبانيين.....59.
- الاحتلال الاسباني لوهران.....64.

2/- الفصل الثاني : الحياة الاقتصادية في المدينة:

❖ النشاط الفلاحي لوهران:

- ظروف الإنتاج.....68.
- طبيعة المنتجات الفلاحية70

❖ النشاط الحرفي والصناعي:

- ظروف الإنتاج.....74.
- طبيعة الصناعات والحرف.....75.
- صناعة النسيج و مساهمة المرأة.....75.
- الخياطة.....77.
- صناعة السفن(صناعة قديمة و متجددة)78.
- الحدادة.....78.
- الصناعات الغذائية وما ارتبط بها79.
- النجارة و الخزازة.....80
- الصناعات الجلدية.....80.

❖ النشاط التجاري في المدينة :

- أهمية الدافع التجاري في إنشاء المدينة وإعادة انبعاثها من جديد:
- حقيقة الدافع التجاري لنشأة المدينة81.
- تجارة الذهب و الصراع الأموي الشيعي.....82.
- تزايد الأهمية التجارية للمدينة في العهد الموحد و الزياني.....83.
- تجارة المدينة الداخلية:
- التجارة داخل المدينة84.
- التجارة مع ضواحيها.....85.
- اشكالية المكوس على السلع الواردة الى المدينة.....86.
- التجارة الخارجية للمدينة :

- المدينة وانفتاحها على شبكة طرق ومسالك تجارية :

- طريق المدينة البري الساحلي.....88.
- الطريق من وهران الى الاندلس.....90.
- وهران وشبكة الطرق المغربية91.
- الطريق من وهران الى بلاد السودان94.

- تجارة المدينة مع الحواضر الاسلامية:

- التجارة مع الأندلس96.
- التجارة مع بلاد السودان97.

- تجارة المدينة مع المدن الأوروبية :

- التجارة مع المدن الايطالية97.
- التجارة مع مرسيليا98.

➤ تجار وهران ، وتزاوج بين التجارة والقرصنة البحري.....100.

3- الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية والثقافية في المدينة:

❖ الحياة الاجتماعية لمدينة وهران:

➤ تركيبة السكان :

- الأندلسيون.....103.
- القبائل الازداجية و المغراوية.....105.
- الجاليات الأوروبية.....107.
- اليهود في مدينة وهران.....108.
- الأعراب.....109.
- تعداد سكان مدينة وهران.....110.
- صفات أهل وهران الجسمانية و الأخلاقية.....111.
- المستوى المعيشي لسكان المدينة.....113.
- عادات وتقاليد سكان وهران.....116.
- بعض الأمراض و الأوبئة التي عرفتھا المدينة.....118.
- ظاهرة الومس والطلاق في مدينة وهران.....120.

❖ الحياة الثقافية و الدينية في وهران :

- توفر عوامل مناسبة لنشاط الحياة العلمية والثقافية.....123.
- الزهد و التصوف في وهران.....125.
- علماء و متصوفة وهران.....126.
- أشهر متصوفة وهران:
- محمد بن عمر الهواري133.
- ابراهيم التازي137.

4/- الفصل الرابع : جغرافية المدينة وعمرانها:

❖ الموقع الجغرافي والفلكي للمدينة.

❖ مدينة وهران (شروط قيامها ، نواتها ، تخطيطها وتوسعها):

- أصل ومعنى تسمية "وهران"143.
- توفر شروط قيام المدينة145.
- موضع المدينة المبدئي.....146.
- التخطيط الأولي للمدينة149.
- توسع المدينة.....151.

❖ خصوصية المدينة ومنشأتها العمرانية المختلفة :

- تحصين المدينة: (مابين المناعة الطبيعية والإنشاء العسكري):
- خصوصية المدينة من خصوصية مرساها.....153.
- تحصن موضع المدينة159.
- منشآت المدينة المختلفة :
- تحصينات المدينة (الأسور و الأبراج).....159.
- الحضور السياسي في منشآت المدينة وتنوع مرافقها:
- القصبة.....161.
- المسجد الجامع162.
- مساجد المدينة163.

- أسواق المدينة.....164.
- الفنادق165.
- الأربطة والزوايا:
- الأربطة.....166.
- الزوايا167.
- منشآت تمدنية أخرى168.
- ❖ خاتمة170.
- ❖ الملاحق174.
- ❖ الفهارس :
- فهرس الاعلام194.
- فهرس القبائل والأمم والشعوب202.
- فهرس الاماكن205.
- فهرس المصادر والمراجع:
- المصادر المخطوطة212.
- المصادر المطبوعة213.
- المراجع باللغة العربية221.
- المراجع باللغة الأجنبية229.
- ❖ فهرس المواضيع234.